



قسم اللغات الشرقية

شعبة اللغة العبرية

محاضرات في مقارنة الأديان (اليهودية والإسلام)

إعداد

د. محمود جابر عبدالله

مدرس الديانة اليهودية

٣	علم مقارنة الأديان
٣	علم مقارنة الأديان ونشأته في الفكر الإسلامي
٥	علم مقارنة الأديان ونشأته في الفكر الغربي
٩	الفصل الأول: أحكام الغسل والكفن في اليهودية والإسلام
٩	المبحث الأول: أحكام الغسل والكفن في اليهودية
٩	أولاً: דיני הרחיצה... أحكام الغسل
٢٥	ثانياً: דיני תכריכין... أحكام الكفن
٣٩	المبحث الثاني: أحكام الغسل والكفن في الإسلام
٣٩	أولاً: أحكام الغسل
٥٧	ثانياً: أحكام الكفن
٧٩	أوجه الشبه والاختلاف بين الغسل والكفن في اليهودية والإسلام:
٧٩	(أ) من يغسل الميت
٨٠	(ب) في عملية غسل وتكفين الزوج لزوجته وكذلك العكس:
٨٠	وقد اتفقا أيضاً في الأمور التالية:
٨٠	(أ) عدم غسل وتكفين الشهيد:
٨١	(ب) قص شعر الميت وتقليم أظفاره:
٨١	(ج) كون التكفين منهج قديم في الديانتين:
٨١	(د) لون الكفن ونوعه:
٨٣	الفصل الثاني: أحكام الجنازة والدفن في اليهودية والإسلام
٨٣	المبحث الأول: أحكام الجنازة والدفن في اليهودية
٨٣	أولاً: דיני הלוויה... أحكام الجنازة
١٠٢	ثانياً: דיני הקבורה... أحكام الدفن ^١
١١٨	المبحث الثاني: أحكام الجنازة والدفن في الإسلام
١١٨	أولاً: أحكام الجنازة
١٤٥	ثانياً: أحكام الدفن
١٥٥	أوجه الشبه والاختلاف بين الجنازة والدفن في اليهودية والإسلام:
١٥٥	اتفقت اليهودية والإسلام في الجنازة في بعض الأمور، منها:
١٥٥	(أ) عظمت الديانتين تشييع الميت
١٥٧	اتفقت اليهودية والإسلام في الجنازة في بعض الأمور منها:
١٥٧	(أ) وجوب دفن الميت
١٥٨	(ب) كيفية الدفن
١٥٩	(ج) دفن اثنين أو أكثر في قبر واحد
١٦٠	الفصل الثالث: الربا بين اليهودية والإسلام
١٦٠	أولاً: في اليهودية
١٦٦	ثانياً: الربا في الإسلام

علم مقارنة الأديان

يختص علم مقارنة الأديان بالوقوف على حقيقة المعتقدات الدينية، والتعرف على مدى صحتها وما تشابه منها، ومواطن الخلاف بينها. إلا أن المسائل المتعلقة بمفهوم هذا العلم ومقاصده ثم إمكانية الحصول عليه، لم تكن محل اتفاق بين العلماء على مر العصور؛ لأسباب بعضها يعود إلى مسألة مفهوم هذا العلم وإمكانية صياغة المنهجية المتبعة في دراسة الأديان، ثم مدى موضوعية علم مقارنة الأديان، وبعضها الآخر يتعلق بتحديد الموضوع الذي يتصل به علم مقارنة الأديان وهو الدين ومفهومه.

علم مقارنة الأديان ونشأته في الفكر الإسلامي

لم يظهر علم مقارنة الأديان في الفكر الإسلامي حقلاً علمياً مستقلاً بذاته، مثل أصول الفقه أو الحديث أو التاريخ مثلاً؛ فهو بطبيعته من العلوم البينية، التي تشتبك في الموضوع والقضايا مع غيرها، وإن استقل عنها في مناهج الدرس والمعالجة.

وهذا العلم من الناحية التاريخية كان جزءاً من الثقافة الإسلامية منذ عورها الأولى؛ إذ ظهرت في الدوائر المعرفية والأكاديمية للفكر الإسلامي—منذ بداية القرن الثالث الهجري—كتابات علمية ذات طابع كلامي، تهدف إلى دراسة أصول الأديان وطوائفها المختلفة من حيث معرفة تواريخ نشأتها ومعرفة أفكارها العقدية والفكرية. ولا يلبث القارئ لدراسات علماء المسلمين ألقاظاً تضمنت الجهد المعرفي المقارن للدين دون ذكر لفظة مقارنة، مثل: "الملل والنحل"، أو "الفرق بين الفرق"، و"الأهواء والملل والنحل"؛ بمعنى أنهم وظفوا مفهوم علم مقارنة الأديان دون ذكر المصطلح. وهؤلاء وإن لم يذكروا لفظ مقارنة، فإنهم درسوا الأديان والمعتقدات، عبر تطبيق مناهج وصفية وتحليلية نقدية، من خلال الإشارة إلى الفروق الجوهرية والشكلية بين تلك الأديان وتعاليم الإسلام. وظهرت

الملاحم الأولى لعلم مقارنة الأديان في الفكر الإسلامي من الناحية التاريخية ضمن علم الكلام، الذي كانت وظيفته بيان المعتقدات الدينية والدفاع عنها. لكننا نلاحظ أن هذا العلم اكتسب استقلالية وبدأ يأخذ مكانته العلمية على يد العامري ت: ٣٨١هـ والبيروني ت: ٤٤٠هـ وغيرهم من عمالقة تاريخ الفكر الإسلامي.

ومن المشاهير الذين كتبوا في مقارنة الأديان؛ النوبختي المتوفى سنة ٢٠٢هـ الذي ألف كتاب "الآراء والديانات"، ويعتبر الباحثون هذا الكتاب أول كتاب في علم مقارنة الأديان.

والمسعودي المتوفى سنة ٣٤٦هـ الذي ألف كتابين في الديانات:

الأول: "المسائل والعلل في المذاهب والملل" ***** الثاني: "سر الحياة"

- المسيحي: المتوفى سنة ٤٢٠هـ وكتب كتابه "درك البغية في وصف الأديان والعبادات" وهو كتاب مطول يقع في حوالي ثلاثة آلاف ورقة.

وكثر بعد ذلك التأليف في هذا المجال، ومن أبرز المؤلفين الذين كتبوا في هذا المجال من يلي:

- أبوالحسن العامري: المتوفى سنة ٣٨١هـ الذي ألف كتابه المشهور ب: "مناقب الإسلام"
- أبوالريحان البيروني: المتوفى سنة ٤٢٥هـ الذي ألف كتاب "تحقيق ما للهند من مقولة مقبولة في العقل أو مردولة".
- أبومنصور البغدادي: المتوفى سنة ٤٢٩هـ الذي ألف كتاب "الملل والنحل" رد فيه على الملل والنحل مدافعاً عن الإسلام.
- ابن حزم الأندلسي: المتوفى سنة ٤٥٦هـ الذي ألف كتاب "الفصل في الملل والأهواء والنحل".
- الشهرستاني: المتوفى سنة ٤٥٨هـ الذي ألف كتابه "الملل والنحل".

وقد أشاد العلامة هـ. بينارد دولا بولي H. Pinard de La bouilaye في كتابه "الدراسة المقارنة للأديان" بابن حزم الأندلسي باعتباره رائد لمقارنة الأديان، في الفكر الإنساني كله. أما الأستاذ إيريك ج شارب Eric J. Sharps فيرى أن شرف كتابة أول تاريخ للأديان في العالم يختص به الشهرستاني، الذي صنف اديان العالم العشرة المعروفة في العالم آنذ، إلى حدود الصين، اعتماداً على منهج تاريخي وعلمي دقيق.

علم مقارنة الأديان ونشأته في الفكر الغربي

إن مصطلح مقارنة الأديان لم يكن حاضرا في الأدبيات المعرفية لدى الأوربيين في العصور القديمة، ولم يظهر مصطلح علم مقارنة الأديان في الكتابات الباحثين الأوربيين الذين درسوا الفكر الديني في العصور الوسطى، حتى نهاية القرن التاسع عشر الميلادي؛ إذ أطلقها لأول مرة ماكس ميلر بقوله: لماذا نتردد عن تطبيق منهج مقارن لدراسة الدين؟ ومن ثم فإن عدم ظهور المصطلح في أوروبا إلا في عصور متأخرة (القرن التاسع عشر)، معناه غياب رؤية علمية ذات أسس منهجية لدراسة الأديان عن الأوساط العلمية والمعرفية في أوروبا.

ومن حيث التعريف العلمي لهذا العلم في الغرب، يشير إيريك ج. شارب Eric J. Sharps في مدونته تاريخ مقارنة الأديان، إلى أن مفهومه الاصطلاحي لم يحظ بتعريف علمي جامع مانع، إلا في بداية القرن العشرين الميلادي، خاصة في مدونة جوردن "مقارنة الأديان: جذورها وتطورها"، التي طبعت عام ١٩٠٥م، وفيها عرف جوردن على مقارنة الأديان، بأنه: "الدرس العلمي الذي يقارن بين أصول المعتقدات وأشكال الطقوس والعبادات لأديان العالم، لمعرفة أوجه التشابه والتباين بينهم، وتحديد القواسم المشتركة وعلاقة بعضها ببعض، ومعرفة مواطن القوة والضعف فيما بينهم من خلال المقابلة والموازنة، كأجناس".

وفي هذا التعريف تحديد لعنصرين مهمين لهذا العلم، هما؛ مفهوم هذا العلم ووظيفته، يتمثل الأول في دراسة أصول المعتقدات وأشكال الطقوس والعبادات لأديان العالم على نحو مقارن، في حين تمثل الثاني في معرفة أوجه التشابه والتباين بينهم، وتحديد القواسم المشتركة وعلاقة بعضها ببعض، كأجناس. ولأنه تضمن هذين العنصرين، اكتسب هذا التعريف قبولاً واسعاً في الأوساط العلمية الغربية - كما يشير إلى ذلك إريك شارب. فقواميس الدين المقارن في الغرب تدور في فلكه.

وعلى سبيل المثال لا الحصر، نجد تعريفاً مشابهاً للتعريف الأول من حيث المضمون، في الموسوعة الإلكترونية ويكيبيديا، وإن اختلف عنه في التعبير، مفاده، أن مقارنة الأديان هي: "مجال دراسة الدين، الذي يقوم بتحليل أوجه التشابه والاختلاف بين الموضوعات، والأساطير، والطقوس والمفاهيم بين أديان العالم".

ونلاحظ أن هذين التعريفين اتفقا على أن موضوع علم مقارنة الأديان هو المعتقدات الدينية، وأن وظيفته هي المقارنة الموضوعية للدين، التي تتوقف عند وصف المبادئ والقيم الدينية وتحليلها، وتحليل تواريخها، وتحديد مدى التشابه والتباين بينها.

ومع أن تعريف جوردن تضمن ذكر كون المعتقدات الدينية مجالاً للدراسة، إلا أن تعريف ويكيبيديا أضاف "الأساطير أو الخرافة" بوصفها جزءاً من مادة الدرس العلمي لمقارنة الأديان. أي أن التعريف الأخير لعلم مقارنة الأديان غاب (أو غيب) عن هذين التعريفين، وهو عدم تضمنها العنصر المعياري لهذا العلم (judgments). الذي به تتميز المعتقدات إلى حق وباطل؛ حق يجب الأخذ به، أو باطل لا قيمة له. ولم يصرح كل من هذين اللغويين بصريح كل من هذين التعريفين ما إذا كان يحق لمؤرخة الأديان تمييز المعتقدات إلى حق وباطل أم لا. وسواء كان غياب العنصر المعياري من تعريف مفهوم علم مقارنة الأديان عن قصد، لكون الكاتب لا يؤمن بضرورة إدخاله، أم لكونه يؤمن بفقدان التعاليم الدينية للقيمة الذاتية (القدسية)، أو غير قصد.

يظهر جلياً أن الفكر الإسلامي هو السياق لهذا العلم ولكن بعد ضعف المسلمين واستسلامهم لأدبيات التخلف، اتجه الفكر الغربي نحو هذا العلم ميرزه من جديد، فأصبحت كبريات الجامعات الغربية كجامعة شيكاغو (Chicago) التي فتحت فيها قسم خاص سمي (الأديان المقارنة) سنة ١٨٩٣م، وجامعة مانشستر (Manchester) سنة ١٩٠٤م، وجامعة السربون (Sorbonne) فقد قرر البرلمان الفرنسي سنة ١٨٨٥م فتح قسم سمي (علم الأديان)، كما فتحت أول كرسي لعلم الأديان في ألمانيا (برلين) سنة ١٩١٠م. وقد فتحت كذلك بإيطاليا أول كرسي لعلم الأديان بجامعة ميلانو (Milano) سنة ١٩١٢م.

وقد تعرض علم مقارنة الأديان في الغرب لمقاومة شديدة من التيار اللاهوتي المسيحي ومن بعده الماركسي، يقول مؤرخ الأديان شاربي E. Sharpe: "إن الانغلاق الصارم والتعصب كانا وراء الاعتقاد بأن أي دراسة للأديان الأخرى لن تقود إلا إلى تناقض حاد مع المسيحية". لكن بالرغم من هذه المقاومة، فلم يمنعنا نمو علم مقارنة الأديان نمواً واسعاً منذ مطلع القرن العشرين. كما ظهر اهتمامهم بهذا العلم بصورة ملحوظة في أوائل القرن العشرين بوجود دراسات وأبحاث ودوائر معارف كاملة عن الأديان، وفتح أقسام لهذا العلم في جامعاتهم مثل القسم الخاص بهذا المجال في جامعة بنسلفانيا بأمريكا، ووزعت هذا الجامعة المنشورات للإعلان عن افتتاح هذا القسم مع ذكر ألوان التيسيرات التي تقدم للطلاب.

ومن المستشرقين الذين لهم نشاط بارز في علم مقارنة الأديان من يلي:

١- "البارون كارادي فو" الذي عقد موازنة بين ما كتبه كل من البيروني والمسعودي

عن المسيحية، ورأى أن البيروني أكثر معرفة من المسعودي بالمسيحية.

٢- "سحاو" الذي ترجم كتاب "تحقيق ما للهند من مقولة مقبولة في العقل أو

مرذولة" للإنجليزية وطبع سنة ١٩١٠م للمرة الثانية.

٣- "بركلمان" و "فينان" لهما أعمال مشتركة في الموسوعة الإسلامية، ولا ننكر أن "بركلمان" له "تاريخ الأدب العربي" وهو مجلدات كثيرة.

٤- الأب "بيناردي لابوليه" صاحب كتاب "الدراسات المقارنة للديانات".

٥- "آسين بلانيوس" نشر النص العربي لكتاب "الرد على اليهود" للرقيلي وكتاب "الرد على النصارى" لأبي القاسم القيسي مع ترجمته إلى الأسبانية في سنة ١٩٠٩م، وتوفى هذا المستشرق سنة ١٩٤٤م.

٦- "أرندونك" كاتب مادة ابن حزم في الموسوعات الإسلامية.

ومن دوائر المعارف في الأديان التي التي أصدرها المستشرقون منذ بداية القرن العشرين ما يلي:

١- دائرة معارف الدين والأخلاق التي نشرها "ستنجر" لأول مرة عام ١٩٠٨ ميلادية.

٢- دائرة المعارف الألمانية عن الدين في الماضي والحاضر وقد ظهرت طبعتها الأولى عام ١٩١٤ ميلادية، والطبعة الثانية ظهرت عام ١٩٢٧ ميلادية.

٣- دائرة المعارف الإسلامية لمجموعة من المستشرقين وقد ظهرت طبعتها الأولى سنة ١٩٢٧ ميلادية بالإنجليزية والفرنسية والألمانية، وقد ترجمت بعض أجزاءها إلى اللغة العربية.

٤- دائرة المعارف المختصرة عن الأديان التي نشرها الأستاذ "زينر" وهو أستاذ مقارنة الأديان بجامعة أكسفورد عام ١٩٥٩ ميلادية.

.....

الفصل الأول: أحكام الغسل والكفن في اليهودية والإسلام

المبحث الأول: أحكام الغسل والكفن في اليهودية

أولاً: דיני הקהילה..... أحكام الغُسل

تمر عملية غُسل الميت، في اليهودية بعدة مراحل، حيث تغسل أجزاء الجسد بترتيب معين، وتستخدم فيها مواد محددة وأواني مختلفة. كما يتخلل الغسل قراءة الدعوات لله والثناء عليه وطلب الرحمة للميت^(١). وقد اعتاد اليهود في العصور الوسطى عند غُسل موتاهم بأن يحضروا الماء ثم يقومون بتدفنته قليلاً، ويغسلون كل جسد الميت وأعضائه ووجهه ورأسه. ثم يحضرون بعد ذلك بيضاً وخمراً ويمزجونهم ويغسلون بهما رأس الميت، ومن يقومون بذلك يغسلون أيديهم بالماء والملح. كما كانوا يمشطون شعر الميت مثلما يمشط الأحياء، ويقلمون أطراف يديه وقدميه، ثم ينظفوا ما بين أصابع اليدين والقدمين حتى يذهب إلى مثواه الأخير وهو في كامل طهارته، مثلما كان يعتاد أن يتطهر عند ذهابه إلى المعبد يوم السبت^(٢). وقد وردت نفس هذه الأقوال في وصية الرباي اليعازر بن شموئيل:

^(١) أ.د/سامي الإمام: الموت ومصير الروح والدفن في اليهودية (مع مقارنة جزئية بما لدى الكنعانيين والآكديين والمصريين القدماء)، مجلة كلية اللغات والترجمة-جامعة الأزهر، العدد التاسع والعشرون، ١٩٩٨م، ص ١٢٧.

^(٢) يקותيال יהודה גרינוואלד: כל בו על אבלות (מבאר ומסדר כל הלכות דינים ומנהגים מיום שנחלה האדם עד תום ימי אבלות)، חלק א'، עמ' פו.

”בקשתי מאד שיטהרני במתן מאד ובטהרה ובנקיות בין אצבעות ידים ורגלים ובין האיחור ויחופו ראשי, ויסרקוני במסרק כדרך החיים, ויטלו צפורני ידי ורגלי כדי שאבוא טהור ונקי למנוחה כמו שהלכתי לבית הכנסת בכל שבת בחסיפה ובנסילות צפרנים ובסריקה ובבדיקת נקבים כן יעשו לי גם למנוחת עולמים“

(¹)

”طلبت بشدة أن يغسلوني بترؤ وينظفوا ما بين أصابع يدي وقدمي ورأسي وأن يمشطوني بأداة التمشيط كما يمشط الأحياء، ويقصون أطراف يدي وقدمي حتى أعود طاهراً إلى مئوأي الأخير كما كنت أذهب إلى المعبد في كل سبت بطهارة، وأطافري مقلمة وشعري ممشط وفتحنا البراز والبول نظيفتان، هكذا يفعلوا بي أيضاً لأستريح إلى الأبد“.

ويجب أن يتم غسل اليهودي بواسطة أعضاء الحفرا قاديشا، كما يجب أن يكونوا من اليهود التقاه، وقد شدد الحكماء على أن غسل وطهارة الميت لا بد أن يكون علي أيديهم، ولا يلمس الوثني الميت أثناء الغسل ولا بعد الغسل ولا أثناء حمل الميت⁽²⁾. وإذا رفض أبناء الميت تسليمه لأعضاء الحفرا قاديشا لكي يغسلوه، وقاموا هم بتغسيله فإنه لا يمكن منعهم من دفنه في مقابر اليهود لأن الغسل يعد تكريماً للميت⁽³⁾. كذلك لا يحضر الغسل ولا يشارك في عملية الغسل والدي المتوفى ولا والدي زوجته ولا زوج أمه ولا زوج أخته. ولا يكون التلميذ حاضراً في غسل معلمه⁽⁴⁾.

وهناك بعض الأمور التي يجب أن تراعى عند غسل الميت منها أنهم يغسلون بالماء الدافئ كل جسد الميت ورأسه. وينظفون بين أصابع يديه

(¹) שם: שם.

(²) יקותיאל יהודה גרינוואלד: כל בו על אבלות (מבאר ומסדר כל הלכות דינים ומנהגים מיום שנחלה האדם עד תום ימי אבלות), חלק א', עמ' פז.

(³) שם: עמ' פט.

(⁴) יחיאל מיכל טוקצינסקי: ספר גשר החיים, חלק א', עמ' ס.

وقدميه جيداً. ويقصون شعر رأسه ويقلمون أظافر يديه وقدميه. ويجب التحذير بالألا يتم قلب الميت على وجهه أثناء الغسل لأن ذلك يعد إهانة للميت لكن من الممكن أن يرقدوه على جنبه ثم بعد ذلك على الجنب الآخر^(١). على لوح الغسل الخاص بالحفرا قاديشا وفي الأماكن التي من الصعب فيها إحضار لوح الغسل الخاص، فإنهم يرقدونه على منضدة. أو يرقدونه على ظهره ووجهه إلى أعلى ورجلاه إلى مخرج الباب ويغطي بملاءة بيضاء ويكون الغسل بأكمله من خلال هذه الملاءة حتى تكون العورة مغطاة في وقت تلاوة فقرات المقرأ^(٢).

وعند تلاوة فقرات المقرأ إذا كان هناك غائط أثناء فترة الغسل، فإنه يجب إزالة الغائط أو تغطيته. وإذا كانت هناك رائحة كريهة ولا تفيد التغطية، فإنه يجب الابتعاد عند تلاوة الفقرات إلى مكان تزول فيه الرائحة، وإذا لم يكن الابتعاد عن الرائحة ممكناً، أو أن الرائحة كانت تغطي المكان بأكمله فإنه لا يجوز تلاوة الفقرات المقدسة^(٣). كما يجب أن يحرص المغسل في لحظة غسل الميت وتطهيره ألا يأخذ إناء الماء من يد زميله مباشرة. حيث لا بد من وضعه على الأرض ثم يتناوله المغسل الآخر من فوق الأرض^(٤). وقبل البدء في عملية الغسل لابد من تغميض عيني الميت، وإن فتح فاه يربطون لحبيه ويسدون فتحاته، ويقصون شعره وأظافره ويغسلون جميع أجزاء جسده حتى تكون نظيفة من أي دنس. أثناء الغسل كانوا يدلكون رأسه بالبيض المخفوق بغلافه الخارجي (טחים ראשו בבצים טרופות)^(٥). واعتاد اليهود أن يخلطوا

^(١) שלמה גאנצפריד: ספר קיצור שלחן ערוך، עמ' ע"א קיז.

^(٢) יחיאל מיכל טוקצינסקי: ספר גשר החיים، חלק א', עמ' סא.

^(٣) שם: עמ' סג.

^(٤) שלמה מוסאויוב: סדר לה' צומות חקת עולם، חלק שלישי، עמ' ע"ב רה.

^(٥) שם: שם.

البيض بالخمير وفي الأماكن التي ليس فيها خمير فإنهم يخلطونه بالماء^(١) على غرار ما كان يفعله يهود العصور الوسطى. إلا أنهم لم يعتادوا في القدس خلط البيض بالخمير ووضعهم على رأس الميت كما لم يعتادوا تقليم أظافر الميت وتمشيط شعره^(٢). وموضوع خلط البيض بالخمير موضوع قديم وغير مستخدم الآن^(٣). وأخيراً إذا كان الميت به عملية جراحية في البطن وكانت إزالة السلك لا تتسبب في نزيف فإنه يجوز أن يزيلونه وإن كان غير ذلك فإنهم يتركونه^(٤).

كذلك كان اليهود قبل البدء في عملية الغسل يدهنون موتاهم بالزيت، ثم بعد ذلك يقومون بغسل الجسد بالماء حتى يذهب الزيت الذي امتلأ بالغانط والدنس من علي جسده^(٥). كما كان المُغسل قبل البدء في عملية الغسل يقوم بغسل يديه أولاً، وبعد ذلك يغسل الذين يشاركون معه في الغسل أيديهم، ويكون غسل اليدين ثلاث مرات مثل غسل اليدين في الصباح، ثم يقول الأكبر سنًا في أعضاء الحفرا قديشا هذا الدعاء سبع مرات ويردد الحاضرون خلفه:

^(١) שלמה גאנצפריד: ספר קיצור שלחן ערוך, עמ' ע"א קיז.

^(٢) יקותיאל יהודה גרינוואלד: כל בו על אבלות, חלק שני (שאלות ותשובות)،

ברוקלין, תשי"א, נדפס בדפוס (הדר ליינאטייפינג, פאב.קא), עמ' מא.

^(٣) אליעזר ליזר בר מאיר לאנדסהוטה: סדר בקור חולים מעבר יבק וספר החיים،

עמ' צ.

^(٤) יחיאל מיכל טוקצינסקי: ספר גשר החיים, חלק א', עמ' סג.

^(٥) יקותיאל יהודה גרינוואלד: כל בו על אבלות (מבאר ומסדר כל הלכות דינים

ומנהגים מיום שנחלה האדם עד תום ימי אבלות)، חלק א', עמ' פה.

רבונו של עולם חמול על פרכי המות הלז שהוא כן
 אכרהם יצחק ויעקב עבדיך ותנחם נפשו ונשמתו
 עם הצדיקים כי אפה מניה המות וממית חיים.
 ברוך אפה מוחל וסלח לחטאת ולעונות מתי עפה
 ישראל בתחנונים: וכבן יהי רצון מלפניך יי אלהינו
 ואלהי אבותינו שהסבב מלאכי רחמים לפני המות שהוא
 עבדך בן אמה. ואפה יי אלהינו ואלהי אבותינו משכיל
 אלדל מלטהו מכל צרה ומיום רעה ומדינה של--
 גיהנם: ברוך אפה גדול החסד ובעל הרחמים: ברוך
 אפה העשה שלום במרומו לעבדיו וליראי שמו: ברוך
 פודה עמו ישראל מפיני פרעניות ברחמים: וכבן יהי
 רצון מלפניך יי אלהינו ואלהי אבותינו שתזכור זכות
 בנות הדגש אשר אשר ויהיה פדונו לו משורפת גיהנם
 ותחליצהו. ברוך אפה בורת הכרית ברחמים: הסתר
 והעלם פשעי המות הזה עבדך. משרפת אש תחליצהו.
 שהוא צריך לרחמיך הרבים יי. ואפה יי אלהינו טוב
 וסלח לכל קוראיך: ברוך אפה גדול העצה ורב העלילה
 ברחמים: עם רגלי הצדיקים כגן עדן ירוך כי מקום
 ישרים הוא. רגלי חסדיו ישמר: ברוך אפה הנותן
 רחמים גדולים ורב תחנונים למתי עמו ישראל. אמן
 כן יהי רצון:

(1)

"رحم يا رب العالمين فلان ابن فلان هذا الميت الذي هو ابن إبراهيم اسحق
 ويعقوب عبيدك وان تجعل روحه مع الصالحين لأنك محيي الأموات ومميت
 الأحياء مبارك أنت الذي تعفو وتغفر خطايا وذنوب شعبك إسرائيل بحنو. لتكن
 إرادتك إلهنا واله إياتنا أن تجمع حول هذا الميت ملائكة الرحمة لأنه عبيدك
 ابن أمتك. وأنت يا رب إلهنا واله إياتنا تنظر إلى هذا العبد الضعيف خلصه
 من كل ضيق ومن يوم الشر ومن حكم جهنم، مبارك أنت عظيم الإحسان
 وصاحب الرحمة، مبارك أنت صانع السلام في سمواته ولعبيده ولمن يهاب

⁽¹⁾ אליעזר ליזר בר מאיר לאנדסהוטה: סדר בקור חולים מעבר יבק וספר החיים,

اسمه. مبارك المخلص شعبه إسرائيل من أنواع السخط برحمته، لتكن إرادتك يا رب إلهنا واله أبائنا أن تذكر فضل العهد المقدس الذي في جسده وأن يكون منقذاً له من نار جهنم وأن تخلصه. مبارك أنت قاطع العهد برحمة. استر وامح ذنوب هذا الميت عبدك ومن لهيب النار خلصه. لأنه محتاج لرحماتك الكثيرة يا رب. وأنت يا رب إلهنا صالح وعاقر لكل من يدعوك. مبارك أنت عظيم المشورة وقوي الفعل برحمة. يستقر مع أرجل الصالحين في جنة عدن لأنه مكان المستقيمين. يحرس أرجل أتقيائه. مبارك أنت الواهب رحمة عظيمة وعطف كبير لموتي شعبه إسرائيل. آمين اللهم استجب".

وهناك دعاء آخر قبل غسل الميت يقوله المغسلون وينطبق هذا أيضاً على من يقومون بالدفن^(١):

אָנָּא הַשֵּׁם אֱלֹהֵי הַחַסְדִּים וְהַרְחֵמֵם אֲשֶׁר כָּל אֹרְחוֹתַיִךְ חֶסֶד וְאַמֶּת
 וְתוֹרַתְךָ כָּלָה חֶסֶד וְאַמֶּת. וּבְרַאתְךָ הָעוֹלָם בְּחֶסֶד וְאַמֶּת. וְצַנְנוּ
 לְהַתְעַסֵּק בְּמַתִּים בְּחֶסֶד וְאַמֶּת. וְלִקְבוֹר הַמַּתִּים בְּחֶסֶד וְאַמֶּת.
 דְּכַתִּיב. כִּי קְבוֹר תִּקְבְּרֵנוּ. וּבְכֵן יְהִי רְצוֹן מִלְּפָנֶיךָ הַשֵּׁם אֱלֹהֵינוּ
 שְׁתַּאֲמִצְנוּ וְתַחַנְקֵנוּ לַעֲשׂוֹת מְלָאכְתָּנוּ מְלָאכְתֵּי שָׁמַיִם לְהַיּוֹת עֲסָקֵנוּ
 בְּמַתִּים בְּטַהֲרָתָם וּבְלִבִּישָׁתָם וּבְקִבּוּרָתָם וְאַף שְׁלֵא יִדְעֵנוּ כִּנְתָתָם
 לְכֹזֵן בָּהֶם יְהִיוּ כְּאֵלֵינוּ נִתְפַּנְּנוּ בָהֶם. וְתִשְׁמְרֵנוּ שְׁלֵא נִכְשַׁל בְּמַעֲשֵׂה
 יְדֵינוּ. וְיִתְקַיֵּם בָּנוּ לֹא יִאָּנֶה לְצַדִּיק כָּל אָוֶן. כִּי שְׂגִיאוֹת מִי יִבִּין
 וְתִשְׁמְרֵנוּ מִכָּל נֶזֶק וְתַקְלֵה לְקַיֵּם בָּנוּ מִקְרָא שְׂכַתִּיב. שׁוּמֵר מִצְוָה
 לֹא יִדַּע דְּבַר רָע. וְתַעֲמוֹד לָנוּ זְכוֹת מִצְוֹת גְּמִילוֹת חֶסֶד וְאַמֶּת.
 וְלִכָּל בְּנֵי בֵיתָנוּ. לְמַלְאוֹת יְמֵינוּ כְּשׁוֹב וּבְנֵעִימִים כְּשִׁיבָה שׁוֹכָה. וְאַף
 שׁוֹב חֶסֶד וְרַחֲמוֹתֵינוּ כָּל יְמֵי חַיֵּינוּ. וְשַׁבְתֵּנוּ בְּבֵית הַשֵּׁם לְאַרְבָּע יָמִים:
 וַיְהִי זָעַם אֱלֹהֵינוּ עָלֵינוּ. וּמַעֲשֵׂה יְדֵינוּ כֹּזֵבָה עָלֵינוּ.
 וּמַעֲשֵׂה יְדֵינוּ כֹּזֵבָה: (٢)

^(١) שלמה موسאיוב: סדר לה' צומות חקת עולם، חלק שלישי، עמ' ע"א רג.

^(٢) הלל יעקב פרחי: סדור פרחי (סדר התפלות כפי מנהג ק"ק ספרדים)، עמ' ריז.
 ويوجد هذا الدعاء أيضاً في كتاب سدر לה' צומות חקת עולם، עמ' ע"א רג لكن بدون
 تشكيل. وينطبق ذلك على كافة النصوص التي سوف تأتي بعد ذلك ويكون توثيقها من
 المصدرين.

أرجوك يا رب يا إله الرأفة والرحمة. يا من جميع سبلك ببرٍ وصدق. وشريعتك ببرٍ وصدق. وخلقت الكون ببرٍ وصدق. وأمرتنا أن نتعامل مع الأموات ببرٍ وصدق. وأن ندفن الأموات ببرٍ وصدق. كما هو مكتوب. "بل تدفنه في ذلك اليوم"^(١). وبذلك لتكن إرادة من لدنك يا رب يا إلهنا أن تشجعنا وتقوينا للقيام بواجبنا، هذا الواجب السماوي، وهو عنايتنا بالموتى بتطهيرهم وتكفينهم ودفنهم، بالرغم من أننا لا نعرف نواياهم كي نعنتي بهم فلنكن هذه العناية كما لو أنها عن قصد منا. واحرسنا كي لا نضلّ بصنع أيدينا. فيتحقق فينا "لا يصيب الصّدِّيقُ شرًّا"^(٢). الذي يبصرُ أخطاءه. واحفظنا من كل أذى وعثرة ليتحقق فينا الفقرة التي تقول "حافظ الوصية لا يشعر بأمرٍ شاقٍّ"^(٣). لئلا نمنحنا فضل وصية البرِّ والصدق. ولكل أهل بيتنا. لينتهي أجلنا على خيرٍ وأن ننعيم بحسن الخاتمة. "إنما خير ورحمة يتبعانني كل أيام حياتي، وأسكن في بيت الرب إلى مدى الحياة"^(٤). "ولتكن نعمة الرب علينا، وعمل أيدينا ثبت علينا، وعمل أيدينا ثبته"^(٥)^(٦).

ثم يقومون بعد ذلك بوضع الميت على لوح الغسل لتغسله بعد غسل اللوح وعند وضعه يرددون دعاءً. وقد ورد هذا الدعاء في ٦٦٥ ٦٦٦ ٦٦٧ على أنه
يُقال عندما يكون الميت رجلاً تقياً:

(١) التثنية: (٢٣/٢١)

(٢) الأمثال: (٢١/١٢)

(٣) الجامعة: (٤/٨)

(٤) المزمير: (٦/٢٣)

(٥) السابق: (١٧/٩٠)

(٦) للمزيد ينظر:

- أ.د. سامي الإمام: الموت ومصير الروح والدفن في اليهودية (مع مقارنة جزئية بما لدى الكنعانيين والآكديين والمصريين القدماء)، ص ١٢٧.

- د/هلال يعقوب فارحي: سدور فارحي (كتاب الصلوات حسب طقس السفارديم) -
مغرب، طبع في مطبعة الادون روبرتو موسكوفتش بمصر، ١٩١٧، ص ٢١٧.

יהי רצון מלפניך השם אלהי ואלהי אבותי שתרחם על המית הזה
שהוא בן אברהם . יצחק . ויעקב עבדיך , ותניח נפשו עם
העבדים בן עזר . ברוך מנהי המזים וממית החיים : (1)

لتكن إرادة من لدنك يا رب يا إلهي واه آباي أن تشفق على هذا الميت الذي
هو ابن إبراهيم واسحق ويعقوب عبيدك. وأن تسكن روحه مع الأبرار في جنة
عدن. مبارك محي الموتى ومميت الأحياء.

מנהגי הרחיצה.....סנין הגל

יبدأ المغسلون أولاً بغسل الرأس بماء فاتر أي ليس بارداً ولا ساخناً بل
متوسطاً في السخونة سبع مرات، بسبعة أكواب من الماء. المرة الأولى بالماء
فقط والثانية بالصودا والثالثة بالصابون ويقولون:

ראשך עליך בפרמל ודלת ראשך בארנמן מלך אסור ברהמים .
ברוך אתה השם האל הגדול הגבור והנורא מוחל וסולח
לחטאים ולעונות ממתי עמך ישראל בתחנונים : (2)

رأسك عليك مثل الكرمل، وشعر رأسك كأرجوان، ملك قد أُسِرَ
بالخصل⁽³⁾. مبارك أنت يا رب، الإله العظيم الشجاع المهيّب الذي يصفح
ويعفوا خطايا وآثام أموات شعبك إسرائيل برحمة.

وفي المرة الرابعة والخامسة تغسل بالماء الصافي النقي، وفي المرة
السادسة تغسل بماء ورق الآس ويقال:

⁽¹⁾ הלל יעקב פרחי: סדור פרחי (סדר התפלות כפי מנהג ק"ק ספרדים), עמ' ריז.

ועין כך: שלמה מוסאיוב: סדר לה' צומות חקת עולם, חלק שלישי, עמ' ע"א רג.

⁽²⁾ שם: שם.

⁽³⁾ תשירד الإنشاد: (5/7)

יהי רצון מלפניך השם אלהי ואלהי אבותי שתסבב מלאכי רחמים
לפני המת הזה שדוא עבדך בן אמתך. ואתה השם אלהינו
ואלהי אבותינו משכיל אל-דל. מלטהו מכל צרה. ומיום רעה
ומדינה של גיהנם; פרוך אתה השם גדול העצה ובעל הרחמים: (1)

لتكن إرادة من لدنك يا رب يا إلهي وواله آبائي. أن تحط هذا الميت
بملائكة الرحمة الذي هو عبدك ابن أمتك. وأنت يا رب إلها وواله آبائنا. انظر
إلى هذا الضعيف. خلصه من كل ضيق. ومن يوم الشر. ومن حكم جهنم.
مبارك أنت يا رب عظيم النصيحة وصاحب الرحمة.
وفي المرة السابعة يغسل الرأس بماء بارد ويقولون:

יבא שלום יגדוהו על משכבותם. פרוך אתה השם עושה שלום
במרומו לעבדיו וליראי שמו: (2)

ليأت سلام ليرتاحوا على مضاجعهم. مبارك أنت يا رب صانع سلامًا في
أعاليه لعبيده ولمن يخشاه.

ثم تغسل اللحية بعد ذلك ثلاث مرات بكوبين من الماء ويقال:

א. השם מה אדם ותדעהו. בן אנוש ותהשבהו :
ב. ותתפדהו מעט מאלהים. וכבוד והדר תעטרהו :
ג. לשם אל הינו הרחמים והסליחות. פי הטאנו לו: (3)

في الأولى: يا رب، أي شيء هو الإنسان حتى عرفه، أو ابن الإنسان حتى
تذكر به؟(4)

(1) הלל יעקב פרחי: סדור פרחי (סדר התפלות כפי מנהג ק"ק ספרדים), עמ' ריח.

ועין כך: שלמה מוסאיוב: סדר לה' צומות חקת עולם, חלק שלישי, עמ' ע"ב רג.

(2) שם: שם.

(3) שם: שם.

(4) המזמיר: (3/1 44)

في الثانية: وَتَقْصِفْ يَدًا عَنِ الْمَلَايِكَةِ، وَيَمَجِّبُوهَا كَلَامَهُ^(١).
في الثالثة: لِلرَّبِّ إِلَهِنَا الْعَرَاخِمُ وَالْمَغْوَةُ^(٢)، لِأَنَّنا تَمَرُّنا عَلَيْهِ^(٣).

وبعد ذلك يغسلون القلب (منطقة الصدر) والبطن والأكتاف بكوبين من الماء، ثم الذراع الأيمن من الأمام بداية من الأصابع وكفة اليد وإلى أعلى، يليه الذراع الأيسر من مؤخرته بداية من الكتف وإلى أسفل ويقولون:
פְּרוּךְ הַפְּזוּדָה עִמּוֹ יִשְׂרָאֵל מִמִּינֵי פְּרַעֲנוֹת בְּרַחֲמִים: (٣)
مبارك الفادي شعبه إسرائيل من جميع الشدائد برحمة.

ثم بعد ذلك يغسلون الصليبين وثنية الفخذين بإناء ماء آخر، ويغسلون أعضاءه التتاسلية من الأمام والخلف أيضًا بإناء آخر به ماء وصابون ويقولون:

יְהִי רְצוֹן מִלְּפָנֶיךָ הַשֵּׁם אֱלֹהֵי יְהוָה אֱבֹתַי שְׂתַפְּקוֹר זְכוֹת פְּרִיִת
קִדְשׁ שְׂבַבְשָׁרְנוּ . וַיְהִי לֹא פְדִיּוֹן מִשְׂרַפַּת יְהוָה וְהַהֲלִיכָהּ .
פְּרוּךְ פּוֹרַת הַפְּרִיִת בְּרַחֲמִים : (٤)

لتكن إرادة من لدنك يا رب يا إلهي واله آبائي أن تذكر حق العهد المقدس الذي في جسدنا. وأن يكون فداءً له من نار جهنم وأن تخلصه. مبارك القاطع العهد برحمة.
ومن الممكن إضافة هذا الدعاء أيضًا:

(١) السابق: (٥/٨)

(٢) دانيال: (٩/٩)

(٣) הלל יעקב פרחי: סדור פרחי (סדר התפלות כפי מנהג ק"ק ספרדים)، עמ' ריח.
ועין כך: שלמה מוסאויוב: סדר לה' צומות חקת עולם، חלק שלישי، עמ' ע"ב רג.

(٤) שם: שם.

בְּרַחֲמִים הַסֶּמֶר וְהָעֵלֶם פִּשְׁעֵי הַמֵּת הָזֶה עֲבָדְךָ . וּמִשְׁרַפַּת הָאֵשׁ
מִחֲלִיצֶהוּ . כִּי הוּא צָרִיךְ לְבְרַחֲמֶיךָ הַרְבִּים . וְאַתָּה הַשֵּׁם
אֱלֹהֵינוּ טוֹב וְסֹלֵחַ לְכָל קוֹרְאֶיךָ . בְּרוּךְ אַתָּה הַשֵּׁם גְּדוֹל הָעֶצְמָה
וְרַב הָעֲלִילָה בְּרַחֲמִים :

(1)

برحمة استر واخف ذنوب هذا الميت عبدك. ومن نار جهنم خلصه. لأنه
محتاج لرحمتك الواسعة. وأنت يا رب إلهنا خير و غفار لكل من يدعوك.
مبارك أنت يا رب عظيم النصيحة وجيليل الفعل برحمة.

وبعد ذلك يغسلون الركبتين والساقين وكفي القدمين بالماء ويقولون:
הַגְּלִי צַדִּיקִים בְּגֵן עֵדֶן וְכּוֹבוֹת כִּי מְקוֹם יִשְׂרָאֵל הוּא . הַגְּלִי חַסִּדִּי
יִשְׁמֹר . בְּרוּךְ אַתָּה הַשֵּׁם הַמְצַדִּיק צַדִּיק וְסוֹלֵחַ לְעוֹנֹת הַטָּא
עַמּוֹ יִשְׂרָאֵל בְּרַחֲמִים :

(2)

أرجل الصالحين في جنة عدن ثابتة لأنها موطن المستقيمين. يحرس
أرجل أتقيائه. مبارك أنت يا رب المؤيد الصادق و غافر ذنوب و معصية
شعبه إسرائيل برحمة.

ثم بعد ذلك يغسلون وجه الميت ويقولون:

בְּנִים בְּפָנִים דְּבַר הַשֵּׁם עִמָּכֶם בְּדַר מִתּוֹךְ הָאֵשׁ . אֲנִכִּי עוֹמֵד בֵּין
הַשֵּׁם וּבִנְיָנְכֶם בְּעֵת הַהוּא : יִשָּׂא הַשֵּׁם פָּנָיו אֵלֶיךָ וַיִּשֶׂם לְךָ שְׁלוֹם : (3)

⁽¹⁾ שם: שם.

⁽²⁾ הלל יעקב פרחי: סדור פרחי (סדר התפלות כפי מנהג ק"ק ספרדים), עמ' ריח.
ועין כך: שלמה מוסאיוב: סדר לה' צומות חקת עולם, חלק שלישי, עמ' ע"ב רג,
ע"א רד.

⁽³⁾ הלל יעקב פרחי: סדור פרחי (סדר התפלות כפי מנהג ק"ק ספרדים), עמ' ריח.
ועין כך: שלמה מוסאיוב: סדר לה' צומות חקת עולם, חלק שלישי, עמ' ע"א רד.

وَجْهًا لِرُوحَةِ كَلَّمَ الرَّبُّ مَعًا فِي الْجَبَلِ مِنْ وَسْطِ النَّارِ. أَنَا كُنْتُ وَاقِفًا بَيْنَ
الرَّبِّ وَسَيِّمِكُمْ فِي ذَلِكَ الْوَقْتِ^(١). وَفَعَّ الرَّبُّ وَجْهَهُ عَنِّي وَصَوَّنَكَ سَلَامًا^(٢).

وبعد غسل الوجه تغسل الأعضاء الموجودة في الوجه، مثل الفم فعند
غسل الفم يقال:

פֶּה אֶל פֶּה אֲדַבֵּר בּוֹ וּמְרֹאֶה וְלֹא בַחֲדוֹת : (٣)

فَمَا إِلَى فَمٍ وَعَيْنَاتِ كَلَّمْتُ مَعَهُ ، لَا بِالْأَلْغَازِ^(٤).

ثم يلي غسل العينين وعند غسلهما يقال:

וַיֵּרָא רֵאשִׁית לּוֹ . כִּי נָשָׂם חָלָקְתָּ מְחַקֵּק סָפוּן : עֵינָיו כְּיוֹנִים עַל
אֲפִיקָיו מִיָּם ; פְּרוּדָה אִמָּה הַנֶּשֶׁם . הַמְּאִיר לְמַתִּי עַמּוֹ יִשְׂרָאֵל

בְּמַדַּת הַרְחָמִים : (٥)

وَرَأَى الْأَوَّلَ لِحَبِيصِهِ، لِأَنَّهُ نَاكَ قَسَمَ مِنَ الشَّارِعِ مَحْفُوظًا. عَيْنَاهُ كَالْحَمَامِ
عَلَى مَجَارِي الْمِيَاهِ^(٦). مَبَارَكٌ أَنْتَ يَا رَبِّ. الَّذِي يَنْبِيرُ لِمَوْتِي شَعْبَهُ إِسْرَائِيلَ
بِالرَّحْمَةِ الْكَافِيَةِ.

وبعد غسل العينين تغسل الأنف وعند غسلها يقال:

אֶפְדָּךְ כְּמַגְדָּל הַלְכָנוֹן . פְּרוּדָה הַנּוֹתֵן רַחֲמִים גְּדוֹלִים כְּרוֹב תַּחְנוּנָיו
לְמַתִּי עַמּוֹ יִשְׂרָאֵל : (١)

^(١) التثنية: (٥/٤/٥)

^(٢) العدد: (٢٦/٦)

^(٣) הלל יעקב פרחי: סדור פרחי (סדר התפלות כפי מנהג ק"ק ספרדים)، עמ' ריט.
ועין כך: שלמה מוסאיוב: סדר לה' צומות חקת עולם، חלק שלישי، עמ' ע"א רד.

^(٤) العدد: (٨/١٢)

^(٥) הלל יעקב פרחי: סדור פרחי (סדר התפלות כפי מנהג ק"ק ספרדים)، עמ' ריט.
ועין כך: שלמה מוסאיוב: סדר לה' צומות חקת עולם، חלק שלישי، עמ' ע"א רד.

^(٦) التثنية: (٢١/٣٣)

^(٧) نشيد الإنشاد: (١٢/٥)

أَفْ لُغَبُ رُج لُبَانٌ^(٢). مبارك الواهب رحمات واسعة بعظم استرحامه لموتى شعبه إسرائيل.

وبعد انتهاء مرحلة الغُسل الخارجي للميت تأتي مرحلة **הבדיקה הפנימית** (الفحص الداخلي)، وهو عندما يكون الميت راقداً على جنبه، يأخذ المغسل قماشة بها صابون ويغسل **פי הטבעת** فتحة الشرج للميت إلى أن يطمئن أن الماء الذي يخرج منها نظيف وليس فيه أية رائحة. وفي ليلة السبت وليلة العيد عندما يكون الوقت قصير والغسل الداخلي صعب، فإنهم يجعلون الأمر يسيراً وينظفونه مرات قليلة، ولا يدققون في أن يخرج الماء صافاً تماماً، وكذلك في حالة أخرى وهي التي لا يمكن فيها تأخيرها، وإذا وجدوا من خلال هذا الغسل الداخلي دماً يخرج من فتحة الشرج يغلقونها دون أن ينظفوا من الداخل. وفي الوقت الذي يقومون فيه بالغسل الداخلي لا يتلون فقرات مقدسة، لأن اليدين والمكان غير طاهرين. وبعد الغسل الداخلي يغلقون فتحة الشرج بقطعة قماش من الكتان، وينظفون أطراف أيدي وأرجل الميت بمذراة (شوكة) صغيرة مخصصة لذلك حتى لا يكون هناك أي اتساخ بين أطراف الأصابع^(٣). وينسب اليهود موضوع الغسل الداخلي إلى **הלל הזקן**^(٤). وقد اعترض أحد الباحثين على الغسل الداخلي ووصف رأي مؤلف كتاب **גשר חיים** في جزئه الأول بأنه رأي سطحي، وليس له أصل يستند إليه. وقال: إن تكريم الميت قد ذكر في التوراة وفي המשنا كما وصف هذا الغسل

^(١) הלל יעקב פרחי: סדור פרחי (סדר התפלות כפי מנהג ק"ק ספרדים)، עמ' ריט.

ועין כך: שלמה מוסאויוב: סדר לה' צומות חקת עולם، חלק שלישי، עמ' ע"א רד.

^(٢) نشيد الإتشاد: (٥/٧)

^(٣) יחיאל מיכל טוקצינסקי: ספר גשר החיים، חלק א', עמ' סב, סג.

^(٤) יחיאל מיכל טוקצינסקי: ספר גשר החיים، חלק שני (שו"ת ובאורים לעניני מעבר

החיים הדורשים דיון מיוחד)، בעיה"ק ירושלים תובב"א، סיון תש"ז، עמ' עד.

بأنه ضد منهج آباء اليهود^(١). وعندما يكون الميت مصاباً بمرض معدٍ وهناك خوف من أن يصاب المغسل بهذا المرض من جراء الغسل الداخلي فلا حاجة إليه^(٢).

بعد كل هذه الأمور التي تم ذكرها يهيئون الميت لسكب **תשעת הקבין** تسعة أكواب من الماء التي هي جوهر الغسل. حيث يغسل الذين كانوا يقومون بالغسل أيديهم ثم يحضر أحدهم **סידן** ملاءة جافة. واثنين يحضرون الأواني التي بها التسعة قابيم ويقفون بجوار رأس الميت ويزيلون من عليه القماشة المبتلة التي كانت عليه طوال فترة الغسل. وعند إزالتها يقولون:

**נען ויאמר אל העמידים לפניו לאמר הסירו הקבדים הצאים מעלי
ויאמר אליו ראה העברתי מעליך עונך והלבש אותך מחלצות:** (٣)

فَأَجَابَ وَكَلَّمَ الْوَاهِقِينَ قُدَّامَهُمْ أَيْلًا : اتَّعُوا عَنْهُ الدِّيَابَ الْقَذِرَةَ. وَقَالَ لَهُ: انظُرْ قَدْ أَذْهَبَتْ عَنْكَ إِثْمُكَ، وَاللِّسَكُ تَذِيلًا مُنْفَخَةٌ (٤).

ثم يضعون الميت على الأرض أو على ظهر القش^(٥)، ويمسك به اثنين وإن كان الميت بدين الجسد يمسك به ثلاثة أو أربعة. والاثنين الذين يحملون أدوات الماء يسكبون عليه الماء، أحدهما من الجانب الأيمن والآخر من الجانب الأيسر من رأسه، فينزل على كل جسده إلى أن يفرغ الماء الذي في

(١) יקותיאל יהודה גרינוואלד: כל בו על אבלות, חלק שני (שאלות ותשובות), עמ' מ.

(٢) יחיאל מיכל טוקצינסקי: ספר גשר החיים, חלק א', עמ' סג.

(٣) הלל יעקב פרחי: סדור פרחי (סדר התפלות כפי מנהג ק"ק ספרדים), עמ' ריט.

ועין כך: שלמה מוסאיוב: סדר לה' צומות חקת עולם, חלק שלישי, עמ' ע"א רד.

(٤) זכריה: (٤/٣)

(٥) שלמה גאנצפריד: ספר קיצור שלחן ערוך, עמ' ע"א קיז.

الأواني ويسكبون الماء باستمرار دون توقف وفي أثناء سكب التسعة قاييم
يقولون: (١)

וְזָקַתִּי עֲלֵיכֶם מִיַּם מְדוּדִים וּמְדוּדִים מִכָּל מְדוּדֵיכֶם וּמְדוּדֵיכֶם
אֲמַהֵר אֲתָכֶם : וְנֹאמַר . כִּי בַיּוֹם הַזֶּה יִכְפַּר עֲלֵיכֶם לְמַעַר אֲתָכֶם
מִכָּל הַטְּמֵאוֹתֵיכֶם . לִפְנֵי יי' וּמְדוּדֵיכֶם : וְסָר עֲוֹנֵיכֶם וְחַטָּאתֵיכֶם תִּכְפַּר : (٢)

وَأَرْشُ عَطِيمٍ مَاءً طَاهِرًا تَطْهَرُونَ. مِنْ كُلِّ نَجَاسَتِكُمْ وَمِنْ كُلِّ أَصْنَامِكُمْ
أَطْهَرُكُمْ (٣). وَقِيلَ: لِأَنَّهُ فِي هَذَا الْيَوْمِ كَفَّرَ عَنْكُمْ تَطْهِيرَكُمْ. مِنْ جَمِيعِ
خَطَايَاكُمْ أَمَّا الرَّبُّ فَطَهَّرَ رُونَ (كَمَا تَزَعُ إِثْمَكَ، وَكَفَّرَ عَنِ خَطِيئَتِكَ) (٤).

وهناك بعض الأمور التي يجب أن تُراعى بعد الغُسل منها؛ أنه لا ينبغي
قلب اللوح الخشبي المعد لتغسيل الميت أو إلقائه على الأرض بعد تغسيل
الميت وتطهيره عليه، لأنهم كانوا يظنون أن قلب لوح الغُسل بعد عملية الغُسل
فيه خطر شديد، ومن الممكن أن يتسبب في وفاة شخص آخر خلال سبعة
أيام (١) وقد ورد في مصدر آخر أن قلب لوح الغُسل بعد الغُسل يؤدي إلى
وفاة آخر خلال ثلاثة أيام (٢). ومن ثم يجب وضع ذلك اللوح واقفاً أو مسنونا
إلى جدار أو حائط كما يجب أن يُراعى أيضاً ألا يترك الميت بعد تغسيله

(١) يחיאל ميכל טוקצינסקי: ספר גשר החיים, חלק א', עמ' סג.

(٢) הלל יעקב פרחי: סדור פרחי (סדר התפלות כפי מנהג ק"ק ספרדים), עמ' ריט.

ועין כך: שלמה מוסאיוב: סדר לה' צומות חקת עולם, חלק שלישי, עמ' ע"א רד.

(٣) حزقيאל: (٢٥/٣٦)

(٤) اللاويين: (٣٠/١٦)

(٥) إشعيا: (٧/٦)

(٦) שלמה מוסאיוב: סדר לה' צומות חקת עולם, חלק שלישי, עמ' ע"ב רה.

(٧) אליעזר ליזר בר מאיר לאנדסהוטה: סדר בקור חולים מעבר יבק וספר החיים,

עמ' ז.

في نفس المكان الذي تم تغسيله فيه، ولكن يجعلوه أمام فتحة باب البيت^(١). وكذلك ينبغي أن يُراعى تغسيل الرجل الوثني أو المرأة الوثنية الذين دخلوا في الدين اليهودي، ولم يكن في وسعهم أن يغتسلوا أو يختننوا إلى أن ماتوا، فإن هؤلاء ينبغي تغسيلهم كما يُغسل اليهود^(٢).

وقد اعتادت طائفة الحسيديم اليهودية بعد الغسل حمل الميت إذا كان رجلاً ذو شأن أو من مفسري التوراة إلى **המקוה** المغطس، وهناك يغطسونه وبعد ذلك يلبسونه الكفن. وقد أنشأوا في بعض البلدان خارج إسرائيل **בית טהרה** مطهر في داخل المقابر لتغسيل الموتى. كما أنهم أنشأوا في داخل هذا المطهر **מקוה** مغطساً خاصاً لتغطيس الموتى. وتوجد مثل هذه المطاهر داخل إسرائيل في مدينتي **טבריה** و**צפת** طبريا وصفد منذ مدة كبيرة، ويوجد في المطهر في هاتين المدينتين المقدستين مغطس لتغطيس الموتى. وفي هذا الوقت أنشئ مطهر في المقابر في مدينة **פתח תקוה** بتاح تكفا^(٣).

^(١) שלמה גאנצפריד: ספר קיצור שלחן ערוך، עמ' ע"א קיז.

^(٢) יקותיאל יהודה גרינוואלד: כל בו על אבלות (מבאר ומסדר כל הלכות דינים

ומנהגים מיום שנחלה האדם עד תום ימי אבלות)، חלק א', עמ' פח.

^(٣) יחיאל מיכל טוקצינסקי: ספר גשר החיים، חלק א', עמ' סד، סה.

ثانياً: ديني تكريديج.....أحكام الكفن

وردت كلمة **تكريديج** أول ما وردت في سفر استير (١٥/٨) حيث ذكر فيه: "**وتكريديج بوز وارجمن**" وحلة من بز وأرجوان. ويعتبر تكفين الميت بثيابه ودفنه بها، هو منهج قديم اعتاده اليهود^(١) وقد ورد ذلك في العهد القديم أيضاً قاله: **أ: «ما هي صورتها؟ فقالت: «رجل شيخ صاعده ومطى بجبة»**. فطم شاول أنه صموئيل، فخرّ على وجهه إلى الأرض وسجد^(٢). وقد ورد نفس هذا المعنى في موضع آخر **وعلمت له أمه جبة صغيرة أصغتها له من سنة إلى سنة عدصه ودفع رجليه النج التبيحة السفوية^(٣)**.

يصنع الكفن من قماش أبيض، وهو الكتان كذلك يخاط أيضاً بخيوط من الكتان. وقد تحدث الصوفية اليهود عن سبب اختيار الكتان الأبيض لأنه كان اللباس المقدس عند الكهنة اليهود أثناء خدمتهم للرب في المعبد، وكذلك لسدنة الكاهن الأكبر في يوم الغفران. وفي الأماكن التي لا يتوفر فيها الكتان الأبيض أو كان غالي الثمن حيث لا يقدر على شرائه أهالي الميت، فإنهم يلبسونه أي قماش أبيض منخفض التكلفة^(٤)، وقد ورد في مصدر آخر أن السر وراء لبس الكتان للميت هو أنه لا يجعل من يرتديه يصاب بأي عين شريرة ولا روح شريرة ولا أي نوع من أنواع السحر^(٥). وقد ورد أيضاً عن سبب اختيار اللون الأبيض للكفن وهو أن الإنسان يلبس اللون الأبيض في يوم فرحه

^(١) אליעזר לזר בר מאיר לאנדסהוטה: סדר בקור חולים מעבר יבק וספר החיים، עמ' XXXV .

^(٢) صموئيل الأول: (١٤/٢٨)

^(٣) السابق: (١٩/٢)

^(٤) יחיאל מיכל טוקצינסקי: ספר גשר החיים، חלק א', עמ' סו.

^(٥) אור-חדש וצמח-צדיק: הקונטרס היחיאלי، חלק שני(הנקרא בית עולמים)، עמ' ע"א ١.

وفي يوم العيد، ويعتبر يوم وفاة الإنسان النقي هو يوم عيد بالنسبة له. كما أن اللون الأبيض فيه نوع من التكفير والصفح عن الذنب^(١).

وهناك من رأى أنه يسمح أن يصنع كفن الميت من قماش مخلوط (صنفين من الأقمشة)^(٢). وهناك من رأى عكس ذلك وهو أنه لا يجب أن يكون به أي خيط من نوع آخر من القماش غير الكتان أي لا يكون مخلوطاً^(٣)، وهذا ما أكدته المشنا في النص التالي:

תְּכַרְכְּי הַמֵּת וּמְרַדְעַת שֶׁל חֲמור אֵין קָהֵם מִשּׁוֹם קְלָאִים.^(٤)

لا ينبغي أن يكون كفن الميت وسرج الحمار من قماش مخلوط^(٥) وقد نصت التشريعات على أن من يوصي بتكفينه في ثياب غير التي نصت عليها الشريعة اليهودية لا تنفذ وصيته. كأن يوصي الغني مثلاً أن يكفونه في ثياب غالية الثمن مثل الحرير وما شابه^(٦). أما من يوصي بخياطة أسماء في شاله تنفذ وصيته^(٧). كما لا ينبغي المغالاة في شراء الكفن للميت

^(١) שם: עמ' ע"ב ז.

^(٢) שלמה מוסאיוב: סדר לה' צומות חקת עולם, חלק שלישי, עמ' ע"א רה.

– יקותיאל יהודה גרינוואלד: כל בו על אבלות (מבאר ומסדר כל הלכות דינים ומנהגים מיום שנחלה האדם עד תום ימי אבלות), חלק א', עמ' צב.

^(٣) אור-חדש וצמח-צדיק: הקונטרס היחיאלי, חלק שני(הנקרא בית עולמים), עמ'

ע"א ו.

^(٤) אליעזר לוי: משנה מפורשת- סדר זרעים, מסכת כלאים, פרק ט, הוצאת סיני

תל-אביב, תשי"ב, עמ' רי.

^(٥) للمزيد ينظر: أ.د./مصطفى عبد المعبود: ترجمة متن التلمود (المشنا)، القسم الأول:

الزروع، المبحث الرابع: المخطوطات، الفصل التاسع، مكتبة النافذة، ٢٠٠٨م، ص ١٥٩.

^(٦) يحيאל ميكل טוקצינסקי: ספר גשר החיים, חלק א', עמ' סו.

^(٧) יקותיאל יהודה גרינוואלד: כל בו על אבלות (מבאר ומסדר כל הלכות דינים

ומנהגים מיום שנחלה האדם עד תום ימי אבלות), חלק א', עמ' צא.

حتى وإن كان الميت هو كبير طائفة اليهود^(١). وكل ما ينبغي فعله هو صنع كفن ملائم للميت، وكل من يصنع كفنًا ملائمًا للميت يكون ذلك دليلًا على اعترافه بيوم البعث والنشور، كما تحل عليه البركة من الرب^(٢). لذلك يجب أن تكون أثواب الكفن نظيفة خالية من أي دنس من أجل تكريم الميت، وإذا وجد عليها أي دنس يجب أن تنظف بالصودا والصابون^(٣). وبما أن أثواب الكفن لا بد أن تكون نظيفة، إلا أن هناك قولًا غريبًا قد أورده أحد الباحثين بأن الكفن يعاد لبسه مرة أخرى لميت آخر إذا انتزع لأي سبب كان من الميت الأول قبل دفنه فيقول: "إذا ألبسوا الميت الكفن ولأي سبب تم نزع هذا الكفن عنه قبل الدفن. يسمح أن يلبسوا هذا الكفن لميت آخر^(٤)". إلا أن هذا الأمر يراه الباحث حدثًا بعيدًا الوقوع، إذ أنه من غير المعقول أن تنتزع أثواب الكفن عن الميت بعد لبسها.

وقد اعتاد اليهود أن يخطوا الكفن بالأيدي وليس بآلة، حيث يجب أن يقوم النساء بخياطة الكفن، كما يشددون على أن النساء اللاتي يقمن بالخياطة لا بد أن يكن من أهل التوراة ويكن على طهارة^(٥). كذلك لا بد أن يقوم الرجال بقياس الكفن وتقطيع أجزائه، ويحذر أن يخاط الكفن بأهداب أو عقد باستثناء عقدة العنق كما لا يجب أن يكون للكفن جيوب^(٦). وهناك من

^(١) שלמה موسאיוב: סדר לה' צומות חקת עולם, חלק שלישי, עמ' ע"א רה.

^(٢) שם: עמ' ע"ב רה.

^(٣) יחיאל מיכל טוקצינסקי: ספר גשר החיים, חלק א', עמ' סו.

– יקותיאל יהודה גרינוואלד: כל בו על אבלות (מבאר ומסדר כל הלכות דינים

ומנהגים מיום שנחלה האדם עד תום ימי אבלות), חלק א', עמ' צב.

^(٤) שם: שם.

^(٥) יחיאל מיכל טוקצינסקי: ספר גשר החיים, חלק א', עמ' סו.

^(٦) שלמה גאנצפריד: ספר קיצור שלחן ערוך, עמ' ע"א קיז. ועין כד:

– יקותיאל יהודה גרינוואלד: כל בו על אבלות (מבאר ומסדר כל הלכות

דינים ומנהגים מיום שנחלה האדם עד תום ימי אבלות), חלק א', עמ' צא.

اليهود من كانوا يجهزوا أكفاناً لأنفسهم في حياتهم حتى تذكرهم بالموت، كذلك حتى لا يصنع لهم غير اليهود أكفاناً في يوم العيد إذا وافتهم المنية في هذا اليوم. وأيضاً حتى لا يتسبب إعداد الكفن في تأخيرهم عن العودة سريعاً إلى التراب الذي خلقوا منه ويعودوا ليستريحوا عليه^(١). وتوضع هذه الأكفان بعد إعدادها في مكاتب جماعة الحفرا قاديشا، وتكون جاهزة حتى لا يضطر أهالي الميت إلى خياطة الكفن عند حدوث الوفاة، في ليلة السبت وفي يوم العيد كما نُكر من قبل، وتعد بطريقة تناسب جميع الأحجام^(٢). ويراعى إذا كان الميت شريراً كبيراً فلا يجب تكفينه مثل باقي الموتى، بل يكفن بالثياب التي مات بها^(٣).

סדר הלבשת התכריכין.....طريقة لبس الكفن

قبل البدء في عملية التكفين يقول رجال الحفرا قاديشا:

שׁוֹשׁ אֲשִׁישׁ בְּיַד תִּגַּל נַפְשִׁי בְּאֵלֵהי כִּי הִלְבִּישְׁנִי בְּגָדֵי יֵשׁוּעַ. מְעִיל
צְדָקָה יַעֲטֵנִי כְּחַתָּן יְבִהֵן פֶּאֶר וּכְכֹלֶה תַּעֲקֶה כְּלִיָּהּ : וְאָמַר יִשְׁימוּ
צְנִיף טְהוֹר עַל רֵאשׁוֹ. וְיִשְׁימוּ הַצְּנִיף הַטְּהוֹר עַל רֵאשׁוֹ. וְיִלְבְּשׁוּהוּ
בְּגָדִים וּמְלֵאדָּה יְיָ עֹמֵד : כִּי כְּאֶרְץ תּוֹצִיא צְמָחָהּ וּכְנֶגֶה זְרוּעֶיהָ תַּצְמִיחַ

- יחיאל מיכל טוקצינסקי: ספר גשר החיים, חלק א', עמ' סו.

^(١) אליעזר ליזר בר מאיר לאנדסהוטה: סדר בקור חולים מעבר יבק וספר החיים, עמ' XXXVIII.

^(٢) יחיאל מיכל טוקצינסקי: ספר גשר החיים, חלק א', עמ' סו.

^(٣) יקותיאל יהודה גרינוואלד: כל בו על אבלות (מבאר ומסדר כל הלכות דינים ומנהגים מיום שנחלה האדם עד תום ימי אבלות), חלק א', עמ' צא.

כֵּן יִי אֱלֹהִים יַצְמִיחַ צְדָקָהּ. וּתְהִלָּה נִגְדַּד כָּל הַגּוֹיִם: וְנִבְחַד יִי תָמִיד
וְהַשְׁפִּיעַ בְּצַחְצְחוֹת נִפְשָׁהּ וְעֲצֻמוֹתֶיהָ יַחְלִיץ וְהָיִיתָ כִּגְזַר רָחֵם וְכַמּוֹצֵא
מִסּוּם אֲשֶׁר לֹא יִכְזְבוּ מִיָּמָיו :

(1)

فَرِحَ أَفْحُ بِالرَّبِّ تَبَهَّجَ هَسِي بِالْهِي، لِأَنَّهُ قَدْ أَلْبَسَنِي ثِيَابَ الْخِلَاصِ. كَسَانِي
رِدَاءَ الْبِرِّ، مِثْلَ عَرِيْسٍ يَتَزَيَّنُ بِعِمَامَةٍ، وَمِثْلَ عُرُوسٍ تَزِينُ بِهَا (٢) فَقُلْتُ:
لِيَضَعُوا عَلَيَّ رَأْسَهُ عِمَامَةً طَاهِرَةً فَوَضَعُوا عَلَيَّ رَأْسَهُ الْعِمَامَةَ الطَّاهِرَةَ،
وَأَلْبَسُونِي ثِيَابًا وَمَلَكَ الرَّبِّ وَقَفَ (٣). لِأَنَّهُ كَمَا أَنَّ الْأَرْضَ تُخْرِجُهَا، وَكَمَا أَنَّ
الْحَبَّةَ تُنْبِتُ عِزْرُوعَاتِهَا، هَكَذَا السَّيِّدُ الرَّبُّ نَبَتَ بَرًّا وَتَسْبِيحًا أَمَامَ كُلِّ الْأُمَّمِ (٤).
وَقَوْلِكَ الرَّبُّ عَلَيَّ الدَّوَامَ، وَيُدْشِعُ فِي الْجَنُوبِ هَسَكَ، وَيُدْشِطُ عِظَامَكَ فَتَصِيرُ
كَحَبَّةٍ رِيًّا وَكَنْعِ مِيَاهٍ لَا تَقْطَعُ مِيَاهُهَا (٥).

وبعد الانتهاء من تلاوة هذه الأدعية تبدأ عملية التكفين، حيث يلبسون
الميت أولاً: **מצנפת** غطاء الرأس، وهو الذي يغطي الرأس والوجه والعنق. وقد
اتبع اليهود تقليد وضع غطاء الرأس **מצנפת** على رأس الميت، اقتداءً بما كان
يفعله هارون قبل القيام بأي طقس ديني، خاصة عند دخول خيمة الاجتماع،
حيث كان يرتدي القميص والحبة والصُّنْرة ويضع العمامة على رأسه. فقد ورد
في سفر الخروج (٦/٢٩) ما نصه: "و**שמת המצנפת על ראשו**" ويضع

(1) הלל יעקב פרחי: סדור פרחי (סדר התפלות כפי מנהג ק"ק ספרדים)، עמ' ריט,

רכ.

ועין כך: שלמה מוסאויוב: סדר לה' צומות חקת עולם, חלק שלישי, עמ' ע"ב רד.

(2) إشعيا: (١٠/٦١)

(3) زكريا: (٥/٣)

(4) إشعيا: (١١/٦١)

(5) السابق: (١١/٥٨)

شال العمامة على رأسه، ويتم وضع شال العمامة عند أداء الصلوات لأنه يحظر على أي شخص يهودي أن يصلي دون غطاء رأس.^(١)

ثانياً: يلبسوه بعد ذلك **סודר ארוך** وهو عبارة عن قطعة قماش طويلة مفتوحة من الوسط؛ لكي يدخلوا منها رأس الميت، وذلك على طريقة لبس **הטלית קטן** الشال الصغير، والتي يلبسونها عن طريق الرأس والعنق (وهذا الثوب يجب أن يسمى **הגור** حزام أو طوق؛ لأنه يطوق الجسد من أعلى إلى أسفل، يسمى في القدس باسم **טלית קטן** وربما ذلك لأنه يتم ارتدائه عن طريق الرأس مثل **הטלית קטן**). هذه القماشة تكون أكثر طولاً ناحية ظهر الميت، ومسترسلة إلى ما بين رجليه ثم تطوى بين رجليه من مؤخرته إلى منطقة البطن، حيث يعقد هذا الطرف مع الطرف الأول بعقدة فوق منطقة البطن. (في أماكن أخرى يلبسون الذكر أيضاً **ארבע כנפות** قطعة من القماش ذات أربع جوانب تكون عادة من الكتان بدون أهداب وفي القدس لم يعتادوا على ذلك)

ثالثاً: ثم يلبسونه بعد ذلك **מכנסים** سروال والذي كان يرتديه الكهنة لتغطية العورة^(٢). حيث يقوم اثنين من رجال الحفرا قاديشا بذلك، فيتولى كل واحد منهم إلباس طرف من أرجل السروال إلى أن يتصل عند البطن بعقدة مع **סודר ארוך** الذي تم ذكره آنفاً^(٣).

^(١) للمزيد ينظر في ذلك: اور-חדש וצמח-צדיק: הקונטרס היחיائي، חלק שני(הנקרא בית עולמים)، עמ' ע"א י.

^(٢) اور-חדש וצמח-צדיק: הקונטרס היחיائي، חלק שני(הנקרא בית עולמים)، עמ' ע"א י.

^(٣) יחיאל מיכל טוקצינסקי: ספר גשר החיים، חלק א', עמ' סו.

رابعاً: ويسمى الثوب الرابع **כתונת قميص**، يتولى اثنان من رجال الحفرا قاديشا إلباس هذا القميص، بأن يمسك كل واحد منهم بإحدى يدي الميت ويدخلها في **שרול הכתונת** كم القميص^(١).

خامساً: تأتي بعد ذلك **המעיל** السترة (التي تعتبر بديلاً عن **הקיטל** المريول الذي يستعمل في خارج إسرائيل والمفتوح مثل **המעיל**) حيث يطوى طرفيها حتى يتساويا، وبعد ذلك تفتح من الأعلى ويتم إلباسها عن طريق الرأس. ويعلق الكاتب على ذلك بقوله: "أنه يشك في أن هذا معمول به في القدس منذ سنوات بعيدة"^(٢).

سادساً: ويسمى الثوب السادس **מסוה על הפנים** غطاء (برقع) الوجه، والذي يغطي من أعلى الرأس حتى الصدر، وقبل وضع هذا الغطاء يضعون تراباً في عيني الميت ويغلقونها ويفسر الراب **רא"ש** رابينو أشير^(٣) ذلك بأنه دليل على أن عيني الإنسان لا تشبع إلى أن يموت . ويوصى بأن يوضع قليل من التراب، لأن وضع كثير من التراب فيه تحقير وإهانة للميت. ويحظر أن يظل التراب على وجه الميت وعلى الكفن. والذي يضع التراب في عيني الميت هو الابن، وليست البنت، فإذا وجد أكثر من ابن فإن الابن الأكبر هو من يضع التراب في عيني أبيه. وإذا لم يوجد للميت أبناء فإن أكبر الأعضاء في الحفرا قاديشا هو من يقوم بذلك حيث يقول:

עַד שׁוֹבֵד אֶל-הָאֲדָמָה، כִּי מִמֶּנָּה לְקַחְתָּ: כִּי-עֶפֶר אֲתָהּ، וְאֶל-עֶפֶר תָּשׁוּב.

^(١) שם: שם.

^(٢) שם: עמ' ٥٦.

^(٣) أشير بن يحيئيل، من اوائل الشراح في القرن الرابع عشر

חָתְּעָ וְדָלְאֵי הָאָרֶץ לְתֵי אֲחִינֹתָא. א. לְאִתְּ תְרַבְּעָ וְדָ(1).

ويفعلون نفس الشيء مع المرأة، ولا يضعون التراب في عيني الميت في يوم العيد حيث أنه لا يجب عليهم أن ينبشوا الأرض في يوم العيد. وإذا كان هناك تراب تم تجهيزه من ليلة العيد فإنهم يضعون من هذا التراب في عيني الميت.

سابعاً: **סוד** طوق أو لفة يطوق به جسد الميت، وهو عبارة عن قطعة طويلة من القماش، وتعد بثلاث عقد من أعلى عند الرأس ومن الوسط عند البطن، ومن أسفل عند الأرجل، وهذه العقد مؤقتة إلى أن يصل الميت إلى القبر، تفك هذه العقد.

وبعد انتهاء عملية التكفين يجدر الإشارة إلى أنه إذا كان الميت كاهناً فإنه يتم إضافة قفازين في أيدي الكاهن، ويستحب إن كان من بين أعضاء الحفرا قاديشا لاوبيا، هو الذي يلبس الكاهن القفازين وفي هذه اللحظة يقولون ثلاث مرات:

וידבר ה' כו', דבר אל אהרן כו', יברכך כו', יאר כו', ישא כו'
ويتحدث الرب هكذا، تحدث إلى هارون هكذا، يباركك هكذا، يضيء هكذا، يرفع هكذا(2).

כסוי המת בטלית.....תغطية الميت بالطاليت

يغطي الميت بعد تكفينه بالشال ذي الأهداب الذي كان يرتديه عند الصلاة ولا يزيلون الأهداب منه، ولا يستحب أن يستبدله بطاليت آخر إلا إذا كان

(1) التكوين: (19/3)

(2) יחיאל מיכל טוקצינסקי: ספר גשר החיים, חלק א', עמ' סז, סח.

الإنسان لا يحب أن يدفن بالطاليت الذي كان يصلي به في حياته - أما إذا لم يكن للميت طاليت فإنهم يحضرون طاليتاً لشخص آخر - ويحملونه به إلى القبر، وقبل إنزاله القبر ينزعون الطاليت من فوقه ويدفن بدونه^(١).

بعد أن يُلف الميت بالطاليت يُرفع من فوق خشبة الغُسل إلى النعش أو التابوت **הארון** وعند رفعه يقولون:

ומִשָּׁה עָלָה אֵל הָאֱלֹהִים . וַיִּקְרָא אֱלֹוֵי יְיָ מִן הַהָר לֵאמֹר : כֹּה תֹאמַר לְבֵית יַעֲקֹב וְתִגִּיד לְבְנֵי יִשְׂרָאֵל : אַתֶּם רְאִיתֶם אֲשֶׁר עָשִׂיתִי לְמִצְרַיִם וְאֲשָׂא אֶתְכֶם עַל פְּנֵי נְשָׁרִים וְאָבִיא אֶתְכֶם אֵלַי : וְאַתֶּם תִּהְיוּ לִי מִמְלֻכַת כֹּהֲנִים וְגוֹי קָדוֹשׁ אֱלֹהֵי הַדְּבָרִים אֲשֶׁר תִּדְבַּר אֵל בְּנֵי יִשְׂרָאֵל : וַיַּצְנֵנִי יְיָ לַעֲשׂוֹת אֶת כָּל הַחֻקִּים הָאֵלֶּה לְיִרְאָה אֶת יְיָ אֱלֹהֵינוּ לְטוֹב לָנוּ כָּל הַיָּמִים לְחַיֵּתֵנוּ כִּהְיוֹם הַזֶּה : וְאַתֶּם הַדְּבָרִים בֵּינֵי אֱלֹהֵיכֶם . הַיּוֹם כָּלְכֶם הַיּוֹם : לֹא אָמוּנַת כִּי אֲחִיָּה .
וַאֲסַפֵּר מַעֲשֵׂי יְהוָה :

(٢)

وَأَمَّا مُوسَى فَصَعِدَ إِلَى اللَّهِ. فَتَنَادَاهُ الرَّبُّ مِنَ الْجَبَلِ قَائِلًا: هَكَذَا تَقُولُ لِبَنِي يِصْحَارِ، وَتُخَبِّرُ بَنِي إِسْرَائِيلَ: أَنْتُمْ رَأَيْتُمْ مَا صَنَعْتُ بِالْمِصْرِيِّينَ. وَأَنَا حَمَلْتُكُمْ عَلَى أَجْحَاةِ النَّسُورِ وَجِئْتُ بِكُمْ إِلَيَّ^(٣). وَأَنْتُمْ تَكُونُونَ لِي مَمْلَكَةً كَهَنَةً وَأُمَّةً مُقَدَّسَةً. هَذِهِ هِيَ الْكَلِمَاتُ الَّتِي لُتْحِكَّهَا لِبَنِي إِسْرَائِيلَ^(٤). فَأَمَرْنَا الرَّبُّ أَنْ نَعْلَى جَمِيعَ هَذِهِ الْفَرَائِضِ وَنَتَّقِيَ الرَّبَّ إِلَهُنَا، لِيَكُونَ لَنَا خَيْرٌ كُلِّ الْأَيَّامِ،

^(١) שלמה גאנצפריד: ספר קיצור שלחן ערוך, עמ' ע"א קיז.

לلمزيد ينظر أيضًا: أ.د/سامي الإمام: الموت ومصير الروح والدفن في اليهودية (مع مقارنة جزئية بما لدى الكنعانيين والأكديين والمصريين القدماء)، ص ١٢٩.

^(٢) הלל יעקב פרחי: סדור פרחי (סדר התפלות כפי מנהג ק"ק ספרדים)، עמ' רכ. ועין כך: שלמה מוסאיוב: סדר לה' צומות חקת עולם, חלק שלישי, עמ' ע"ב רד.

^(٣) الخروج: (٣،٤/١٩)

^(٤) السابق: (٦/١٩)

وَيَدَّبِقُوا كَمَا فِي هَذَا الْهَيْمِ^(١). وَأَمَّا أَنْتُمْ أَلْمَتَاصِقُونَ بِالرَّبِّ إِلَيْكُمْ فَاجْمَعُواكُمْ
أَحْيَاءُ^(٢). لَا أَمُوتُ لِي أَحْيَا وَأُحْدِثُ بِأَعْمَالِ الرَّبِّ^(٣).

وعند وضعه في النعش أو التابوت يقولون ثلاث مرات:

וְלֹא יִבְאוּ לְרֵאוֹת כְּבִלְעַ אֶת הַקֹּדֶשׁ וְנִמְתִּי :^(٤)
וְלֹא יִחַזְּקוּ לִיּוֹ אֲלֹהִים לְחַצְתָּ לְתַלְמוֹתַי^(٥).

وعند تغطية النعش أو التابوت يقولون:

הַיְהִי מִפְתּוֹ שֶׁלְשֵׁלֵמָה. שְׁשִׁים גְבוּרִים סָבִיב לָהּ מִגְבוּרֵי יִשְׂרָאֵל :
כָּלֶם אֲחִי הָרֵב מְלֻמְדֵי מִלְחָמָה אִישׁ הָרַבּוּ עַל יְרֻכּוֹ מִפְּחָד
כְּלִילוֹת : יִכְרַךְ יִי וְיִשְׁמְרֵךְ . יָאֵר יִי פָנָיו אֵלַיךָ וַיְחַנְּךָ . יִשָּׂא יִי
פָּנָיו אֵלַיךָ וְיִשֶׂם לָךְ שְׁלוֹם : יִלְכוּ יוֹנְקוֹתַי וַיְהִי כְּזֵית הַדּוֹד וְרֵיחַ לוֹ
כְּלִבְנוֹן : רְאִיתִי וְהִנֵּה מְנוֹרַת זָהָב כְּפָלָה וְנִגְלָה עַל רֵאשִׁיתָ וְשִׁבְעָה
יָרְחֵיךָ עָלֶיךָ שִׁבְעָה וְשִׁבְעָה מוֹצְקוֹת לְגֵרוֹת אֲשֶׁר עַל רֵאשִׁיתָ :
וְשָׁנִים יָתִים עָלֶיךָ אֶחָד מִיָּמִין הַנִּגְלָה וְאֶחָד עַל שְׂמֹאלֶיךָ :^(٦)

هَذَا تَحْتَ سُلَيْمَانَ حَوْلَهُ سِتُّونَ جَبَّارًا مِنْ جَبَابِرَةِ إِسْرَائِيلَ. كُلُّهُمْ قَابِضُونَ
سَيْدُوفًا وَمَتَّعَهُمُومَ الْحَرْبِ. كُلُّ رَجُلٍ سِيفُهُ أُطِيَ فَخَذَهُ مِنْ هَيْلِ اللَّائِي^(٧) يَبَارِكُكَ
الرَّبُّ وَيَحْرُسُكَ. يَضِيءُ الرَّبُّ بِوَجْهِهِ عَلَيْكَ وَيُحْطِئُفِعُ الرَّبُّ وَجْهَهُ عَلَيْكَ

^(١) التثنية: (٢٤/٦)

^(٢) السابق: (٤/٤)

^(٣) הלל יעקב פרחי: סדור פרחי (סדר התפלות כפי מנהג ק"ק ספרדים), עמ' רכ. ועין

כך: שלמה מוסאיוב: סדר לה' צומות חקת עולם, חלק שלישי, עמ' ע"ב רד.

^(٤) המזמיר: (١٧/١١٨)

^(٥) العدد: (٢٠/٤)

^(٦) הלל יעקב פרחי: סדור פרחי (סדר התפלות כפי מנהג ק"ק ספרדים), עמ' רכ. ועין

כך: שלמה מוסאיוב: סדר לה' צומות חקת עולם, חלק שלישי, עמ' ע"ב רד.

^(٧) نشيد الإنشاد: (٨٠٧/٣)

وَمِنْكَ سَلَاةً مَلَأُ خَرَاعِيَهُ ، وَيَكُونُ بِهِ أَوْهُ كَالرَّيْتُونَةِ، وَلَهُ رَائِحَةٌ كَلَبْنَانَ (٢).
 قَدْ تَطَرْتُ وَإِذَا بِمَنْرَةٍ كَأَنَّهَا نَهَبٌ، وَكَوْزَهَا عَلَى رَأْسِهَا، وَسَبْعَةُ سَوْجٍ طَبِيعًا،
 وَسَبْعُ أَنْدَابِيبٍ لِلسَّرْجِ الَّتِي عَلَى يَدَيْهَا. وَعِنْتُهَا زَيْتُونَتَانِ، إِحْدَاهُمَا عَنِ هَيْبِنِ
 الْكُوزِ، وَالْأُخْرَى عَنِ يَسَارِهِ (٣).

وعند حمل النعش أو التابوت يقولون:

وَبَنَسُوهُ الْمَشْخَفِ يَهْرِدُوهُ أَوْتَاهُ الْهَلِيمِ . وَبَحَنَنْتُ الْمَشْخَفِ يَكُومُوهُ أَوْتَاهُ
 الْهَلِيمِ . وَهَرْدُ الْهَلِيمِ يَوْمَاتُ : وَهِيَ بَنَسَعُ الْهَلِيمِ وَيَأْمُرُ مَلِكُ
 كَوْمَا : وَيَقْضُوهُ أَوْ يَبْكُوهُ . وَيَنْسُوهُ مَشْخَفِي : فِي مَلَأَكِيُوهُ يَصْفُوهُ
 لَقَدْ . لَشَمْرُكَ بِكُلِّ دَرْكِي : عَلَى فِطِيمِ يَشْأَوِي . فَمَنْ تَغْرَفَ بِأَكْبَرِ رَنْدَلَقْ :
 لَا تَأْتِيهِ أَلْقَى رَعْدًا . وَنَبَعُ لَا يَكْرَبُ بِأَكْرَبَلَقْ : : أَيُّ مَلِكَمَا
 : : نَسَمُو : : يَلْحَمُ لَكُمْ . وَأَتَمُّ تَحْرَشُونَ : (٤)

فَعِنْدَ ارْتِحَالِ الْمَسْكِينِ تُلَاهُ الْهَلِيمُ وَيُؤْنُ وَعِنْدَ زَوَالِ الْمَسْكِينِ قِيمَةُ الْهَلِيمِ وَيُؤْنُ .
 وَالْأَجْنَبِيُّ الَّذِي يَهْتَرِي بِهِ قُلُوبُ (٥) . وَعِنْدَ ارْتِحَالِ اللَّتَابِ وَتِ كَانَ مُوسَى يَقُولُ : قَدْ يَا
 رَبُّ، قَدْ تَبَدَّدَ أَعْدَاؤُكَ وَرَبُّ مَبْغُضُوكَ مِنْ أَمْلَكِ (٦) . لِأَنَّيُ وَصِيْلًا تَكْتَهُ بِكَ
 لَكِي يَغْفُظُوكَ فِي كُلِّ طَرَفِكَ . عَلَى الْأَيْدِي يَحْمِلُونَكَ تَلَا تَصْمَمُ بِحَجَرِ
 رَجْلِكَ (٧) . لَا يَلَايُكَ شَرٌّ، وَلَا يَنْدُو ضَرْبَةً مِنْ خَيْتِكَ (٨) . الرَّبُّ رَجُلُ الْحَرْبِ .
 الرَّبُّ اسْمُهُ (٩) . الرَّبُّ قَاتِلُ عَدُوِّكُمْ وَأَنْتُمْ تَصْمَدُونَ (١٠) .

(١) العدد: (٢٤:٢٤/٦)

(٢) هوشع: (٦/١٤)

(٣) زكريا: (٣،٢/٤)

(٤) הלל יעקב פרחי: סדור פרחי (סדר התפלות כפי מנהג ק"ק ספרדים)، עמ' רכ.

רכא.

ועין כך: שלמה מוסאיוב: סדר לה' צומות חקת עולם, חלק שלישי, עמ' ע"א רה.

(٥) العدد: (٥١/١)

(٦) السابق: (٣٥/١٠)

(٧) المزامير: (١٢،١١/٩١)

وبعد الانتهاء من عملية تغسيل الميت وتكفينه هناك سؤال يطرح نفسه وهو: هل يجوز للزوج تغسيل زوجته وتكفينها وكذلك العكس؟
ويأتي الجواب بأنه يسمح للزوجة أن تغسل زوجها وتكفنه، ولكن لا يسمح للرجل بذلك^(٤). حيث يوجد في الحفرا قاديشا نساء يقمن بتغسيل النساء وتكفينهن ويفعلن للنساء كل ما يفعله الرجال للميت الذكر^(٥).

وبعد الانتهاء من الغُسل والتكفين أيضًا تجدر الإشارة إلى أن هناك بعض الحالات التي لا تستوجب الغُسل والتكفين، بل تدفن بهيئتها التي وجدت عليها، من هذه الحالات اليهودي الذي يقتل في الحرب، ويخرج منه دم يدفن بملابسه دون أن يغسل أو يكفن^(٦) وقد ورد ذلك في العهد القديم: "وَأَمَّا أَنْتَفَقَ دَطْرُحَتَ مِنْ قَبْرِكَ كَغُصْنٍ أَشْنَعٍ، كَلَّ بِاسْرَائِيلَ تَلَى الضُّرُوبِينَ بِالسِّفَالِهِ ابِطِينِ إِلَى حَجَارَةِ الْجَبِّ، كَجَبَّةِ مُوسَى^(٧)". كما أنهم كانوا قديمًا يدفنون الأبطال الذين سقطوا في المعركة بملابسهم: دون تغسيل أو تكفين ويجعلون أسلحتهم تحت رءوسهم^(٨). وقد ورد ذلك في العهد القديم: "وَلَا يَضْطَجَعُ وَنَحَ الْجِبَابِرَةِ السَّاقِطِينَ مِنَ الْعُفِّ النَّازِلِينَ إِلَى اللَّهِ أَوِيَّةَ بِنَاتِ حَرِبِهِمْ، وَقَدْ وَضَعْتِي وَفِيهِمْ م

^(١) السابق: (١٠/٩١)

^(٢) الخروج: (٣/١٥)

^(٣) السابق: (١٤/١٤)

^(٤) שלמה موسايوب: سדר לה' צומות חקת עולם، חלק שלישי، עמ' ע"ב רה.

^(٥) יחיאל מיכל טוקצינסקי: ספר גשר החיים، חלק א', עמ' סח.

^(٦) יקותיאל יהודה גרינוואלד: כל בו על אבלות (מבאר ומסדר כל הלכות דינים

ומנהגים מיום שנחלה האדם עד תום ימי אבלות)، חלק א', עמ' פט.

^(٧) إشعياء: (١٩/١٤)

^(٨) אליעזר ליזר בר מאיר לאנדסהוטה: סדר בקור חולים מעבר יבק וספר החיים،

תַּחַת רוֹשֵׁיהֶם תִּכּוּרְאֵיהֶם מֵעַל עֲצָמֵיהֶם אֲנִי מֵרֶעִב הַיַּבֵּירָהּ בְּאֶרֶץ
הָאֲחַיִּים" (1).

وكذلك اليهودي الذي يُقتل على يد: (עכו"ם) עובדי כוכבים ומזלות
عبدة الأوثان والكواكب، إذا خرج منه دم أو لم يخرج على الإطلاق، كذلك
فإن توقف نزيف الدم في اللحظة التي وجدوه فيها، فإنه يدفن بالحالة التي
وجد عليها، وذلك من أجل إثارة الحمية للأخذ بالثأر من القاتل. والسبب في
أن يدفن من وجد مقتولاً بالحالة التي وجد عليها لأن الدم الذي خرج منه وهو
دم النفس يكون في ملابسه وفي حذائه لذلك لا يخلع عنه حذائه. وكذلك
اعتادوا أن يحفروا في المكان الذي عُثر فيه على القتيل لكي يخرجوا التراب
الذي اختلط بدم النفس الذي خرج من القتيل، ثم يقومون بعد ذلك بدفن هذا
التراب مع القتيل في القبر (2). وربما يكون السبب في دفن التراب الذي اختلط
بدم القتيل مع القتيل كي يكون هذا التراب شاهداً على قتله عند بعث الروح.

ومن الحالات التي لا تستوجب الغسل والتكفين أيضاً: من يسقط من مكانٍ
عالٍ أو يسقط عليه السقف ويموت على الفور، إذا كانت هناك جروح في
جسده وخرج منه دم وهناك تخوف أن يصل دم النفس هذا إلى ملابسه
وحذائه، لا يغسلونه لكن يتم دفنه بملابسه وحذائه من خلال تكفينه في כַּפֵּס
قطعة من القماش (ملاءة) ودفنه بها. كما اعتادوا أن يحفروا في المكان الذي
سقط فيه وبالقرب منه – مثلما اعتادوا أن يفعلوا مع القتيل – وإذا وجدوا في
التراب الذي أخرجوه دماً يتم دفنه مع المتوفى. وإذا وضعوه على أي شيء
كوسائد مثلاً أو كرسي وتناثر دم على هذه الأشياء يتم غسل الدم بالماء

(1) حزقيال: (٢٧/٣٢)

(2) שלמה מוסאיוב: סדר לה' צומות חקת עולם, חלק שלישי, עמ' ע"א ר.ו.

ويوضع الماء في داخل القبر. وإذا لم يخرج منه دم ينزعوا عنه ملابسه ويتم تغسيله والباسه الكفن مثل باقي الموتى. ومن يسقط ويخرج منه دم ثم يتوقف وتنزع عنه ملابسه ثم يعيش بعض الأيام وبعد ذلك يموت يغسلونه ويصنعون له كفناً. لأنهم لا يعتبرون الدم الذي يخرج في حياة الإنسان هو دم النفس الذي يخرج منه في لحظة الموت^(١). ويختلف الأمر مع البكر التي بلغت من العمر تسع سنوات إذا سقطت من مكان عالٍ ثم عاشت لمدة ساعتين، فحينئذٍ ينبغي تطهيرها وصنع كفن لها مثل باقي الموتى كما يصنع لها نعش كامل، وتوضع ملابسه فوق النعش في داخل القبر^(٢). أما النفساء إذا لم يتوقف الدم عنها قبل أن تموت يتم دفنها دون تغسيل وتكفين، والدم الذي يخرج بعد الوفاة يجب أن يدفن معها. لكن إذا توقف الدم وخلعت الملابس التي كانت ترتديها في الوقت الذي كانت تنزف فيه دماً، ثم ماتت بعد عدة أيام أو أسابيع ينبغي تطهيرها وعمل كفن لها مثل سائر الموتى. وقد اعتادت بعض الطوائف تغسيل النفساء وتكفينها ثم يلبسونها بعد ذلك ملابسه التي ماتت بها فوق الكفن وتلف في ٦٦٥ قطعة من القماش (ملاءة) فوق ملابسه^(٣). كذلك الرجل الذي يموت في السجن بسبب التعذيب الشديد لا يتم خلع ملابسه أو تطهيره بل يدفن كما هو بدون كفن. ومن مات في الطريق بسبب البرد الشديد والثلج أو الرعد فإنهم يخلعون عنه ملابسه ويغسلونه ويلبسونه الكفن طالما لا توجد به جروح ولم يخرج منه دم. ويفعل نفس الشيء مع الغريق في النهر وذلك طبقاً لما ورد في نهاية كتاب الحاخام **מהרי"ל***^(٤).

^(١) שלמה גאנצפריד: ספר קיצור שלחן ערוך, עמ' ע"א קיז.

^(٢) שלמה מוסאיוב: סדר לה' צומות חקת עולם, חלק שלישי, עמ' ע"ב רו.

^(٣) יקותיאל יהודה גרינוואלד: כל בו על אבלות (מבאר ומסדר כל הלכות דינים ומנהגים מיום שנחלה האדם עד תום ימי אבלות), חלק א', עמ' צ.

– שלמה מוסאיוב: סדר לה' צומות חקת עולם, חלק שלישי, עמ' ע"א רו.

^(٤) שם: עמ' ע"א, ע"ב רו. ועין כך:

المبحث الثاني: أحكام الغسل والكفن في الإسلام

أولاً: أحكام الغسل

استدل علماء الفقه على أن غسل الميت فرض كفاية، إذا قام به البعض سقط عن البعض الآخر، وقد استدلوا على ذلك بقول النبي صلى الله عليه وسلم - لأم عطية والنسوة اللواتي غسلن ابنته، عندما دخل عليهن وهن يغسلنها فقال:

«اغسلنها

ثلاثاً، أو خمساً، أو أكثر من ذلك، بماء وسدر، واجعلن في الآخرة كافوراً، فإذا فرغتن فأذنيني». فلما فرغنا آذناه، فألقى إلينا حقوه، فقال: «أشعرنها إياه». فقال أيوب: وحدثتني حفصة بمثل حديث محمد، وكان في حديث حفصة: «اغسلنها وثراً». وكان فيه: «ثلاثاً أو خمساً أو سبعمائة». وكان فيه: أنه قال: «ابدؤا بميامينها، ومواضع الرؤوس منها». وكان فيه: أن أم عطية قالت: ومشطناها ثلاثاً قرون.

(١)

- يקותيال יהודה גרינוואלד: כל בו על אבלות (מבאר ומסדר כל הלכות דינים

ומנהגים מיום שנחלה האדם עד תום ימי אבלות)، חלק א', עמ' פט.

● מהרי"ל: מורנו הרב רבי ליוא אסטאזנא החאחאמ ליוא יהודה מפרג القرن ١٦.

انظر: أ.د/شعبان محمد سلام: قاموس المختصرات العبرية، مركز الدراسات الشرقية-

جامعة القاهرة، ١٩٩٩م، ص ١٧٤.

(١) صحيح البخاري: ٢٣-كتاب الجنائز، ٩/٩ باب ما يستحب أن يغسل وثراً، حديث

١٢٥٤، ص ١٦٩. والمقصود هنا ببنت رسول الله صلى الله عليه وسلم - هي زينب -

رضي الله عنها - طبقاً لما ورد في صحيح مسلم:

وكذلك قوله -صلى الله عليه وسلم- في المحرم الذي وقصته دابته فمات:
عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ: بَيْنَمَا رَجُلٌ وَقَفَ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ بَعْرَقَةً، إِذْ وَقَعَ مِنْ رَاحِلَتِهِ، قَالَ أَيُّوبُ: فَأَوْقَصْتَهُ أَوْ قَالَ فَأَقْعَصْتَهُ (وَقَالَ عَمْرُو: فَوَقَصْتَهُ)، فَذَكَرَ ذَلِكَ لِلنَّبِيِّ ﷺ فَقَالَ: (اغْسِلُوهُ بِمَاءٍ وَسِدْرٍ، وَكَفَّنُوهُ فِي ثَوْبَيْنِ، وَلَا تُحَنِّطُوهُ، وَلَا تُخَمِّرُوا رَأْسَهُ، (قَالَ أَيُّوبُ) فَإِنَّ اللَّهَ يَبْعَثُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مُلَيَّبًا، (وَقَالَ عَمْرُو فَإِنَّ اللَّهَ يَبْعَثُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يُلَيَّبِي).

(١)

وقد أجمع أهل العلم أيضًا على أن غسل الميت فرض كفاية إذا فعله من فيه سقط الحرج عن الباقيين، وإن تركوه كلهم أثموا كلهم^(٢).

عَنْ أُمِّ عَطِيَّةَ، قَالَتْ: لَمَّا مَاتَتْ زَيْنَبُ بِنْتُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، قَالَ لَنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: (اغْسِلْنَهَا وَتَرًا، ثَلَاثًا أَوْ خَمْسًا، وَاجْعَلْنَ فِي الْخَامِسَةِ كَافُورًا، أَوْ شَيْئًا مِنْ كَافُورٍ، فَإِذَا غَسَلْتَنَهَا فَاغْلَمْنِي). قَالَتْ: فَاغْلَمْتَاهُ، فَأَعْطَانَا حَقَّوهُ وَقَالَ أَشْعَرْنَاهَا إِيَّاهُ.

- صحيح مسلم : ١١-كتاب الجنائز، (١٢)-باب في غسل الميت، حديث ٤٠-(٩٣٩)، ص ٣٦٤.

- الحقو: هو موضع الإزار ومنه قول النبي صلى الله عليه وسلم- في وصف الناس يوم القيامة، ومنهم من يكون العرق إلى حقوية وأطلق الحقو هنا على الإزار مجازًا.

- أشعرنها إياه: أي اجعلنه شعارها وهو الثوب الذي يلي الجسد، ويطلق الإشعار على اللف أيضًا فيكون معنى أشعرنها أي: ألّفنها.

- أبو عبدالله مصطفى العدوي: الغسل والكفن، دار أهل الحديث للنشر والتوزيع، ١٤١٣هـ، ص ٥٩.

^(١) صحيح مسلم : ١٥-كتاب الحج، (١٤)-باب ما يفعل بالمحرم إذا مات، حديث ٩٤-(١٢٠٦)، ص ٤٧٤.

^(٢) انظر في ذلك كلام من:

- أبو زكريا يحيى بن شرف النووي: المجموع شرح المهذب، تحقيق، ص ١٠٨٧.

من هم أولى الناس بتغسيل الميت؟

لم يرد دليل واضح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم - يلزم أناس بعينهم بغسل الميت من الأقارب أو غيرهم، إلا أن أولاهم بذلك من أوصى بهم قبل موته، لأن أبا بكر الصديق رضي الله عنه - أوصى أن تغسله امرأته أسماء بنت عميس فغسلته، وكذلك أوصى أنس أن يغسله محمد بن سيرين ففعل، وإن لم يكن له وصي فأولاهم بغسل الرجل أبوه، ثم جده، ثم ابنه وإن نزل، ثم الأقرب فالأقرب من عصباته، ثم الرجال من ذوي الأرحام، ثم الأجانب؛ لأنهم أولى الناس بالصلاة عليه. وأولاهم بغسل المرأة أمها ثم جدتها، ثم ابنتها، ثم الأقرب فالأقرب، ثم الأجنبيات⁽¹⁾، إذا توفرت فيهن الدراية والخبرة بأمر الغسل، كما لا بد أن يتوفر فيهم شرط الصلاح والتقوى، فإذا رأى أحد منهم شيئاً كريهاً من الميت لا يتحدث به. وحجتهم في هذا الأمر أن الذي غسل رسول الله صلى الله عليه وسلم - هم علي وأهله طبقاً لما ورد في الحديث:

- يوسف بن إبراهيم الأربيلي: الأنوار لأعمال الأبرار، تحقيق الشيخ الفاضل/خلف مفضي المطلق، الجزء الأول، دار الضياء للنشر والتوزيع، الطبعة الأولى، ٢٠٠٦م، ص ٢٣٠.

- كمال الدين أبي البقاء الدميري: النجم الوهاج في شرح المنهاج، المجلد الثالث، دار المنهاج، الطبعة الأولى، ٢٠٠٤م، ص ١٧.

⁽¹⁾ موفق الدين عبدالله بن قامة المقدسي: الكافي في فقه الإمام أحمد بن حنبل، حققه وعلق عليه/محمد فارس ومسعد عبدالحميد السعدني، الجزء الأول، دار الكتب العلمية (بيروت- لبنان)، الطبعة الأولى، ١٩٩٤م، ص ٣٥٣. وانظر أيضاً:

- أبو الحسن علي بن سعيد الرجرجاني: مناهج التحصيل ونتائج لطائف التأويل في شرح المدونة وحل مشكلاتها، الجزء الثاني، مركز التراث الثقافي المغربي - دار ابن حزم، الطبعة الأولى، ٢٠٠٧م، ص ٣٦.

١٤٦٧- (صحيح) حَدَّثَنَا يَحْيَى بْنُ خَدَّامٍ حَدَّثَنَا صَفْوَانُ بْنُ عَيْسَى أَنبَأَنَا
مَعْمَرٌ عَنِ الزُّهْرِيِّ عَنْ سَعِيدِ بْنِ الْمُسَيَّبِ .

عَنْ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ قَالَ لَمَّا غَسَلَ النَّبِيَّ ﷺ ذَهَبَ يَلْتَمِسُ مِنْهُ مَا
يَلْتَمِسُ مِنَ الْمَيِّتِ فَلَمْ يَجِدْهُ فَقَالَ يَا الطَّيِّبُ طُبْتُ حَيًّا وَطُبْتُ مَيِّتًا . (١)

وقد وردت نفس الحجة في موضع آخر:

لَمَّا مَاتَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ كَانَ مِنْ أَجْزَعِ [٤/٢٠٢]
النَّاسِ كُلِّهِمْ عَلَيْهِ عَمْرُ بْنُ الْخَطَّابِ ﷺ . فَذَكَرَ الْحَدِيثَ إِلَى أَنْ قَالَ : فَقَالُوا
يَعْنِي لِأَبِي بَكْرٍ ﷺ : يَا صَاحِبَ رَسُولِ اللَّهِ ، أَمَاتَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ ؟ قَالَ : نَعَمْ
مَاتَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ . فَقَالُوا : يَا صَاحِبَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ مَنْ يَغْسِلُهُ ؟ قَالَ : رِجَالُ
أَهْلِ بَيْتِهِ الْأَدْنَى فِالْأَدْنَى . قَالُوا : يَا صَاحِبَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَايْنَ نَدْفِنُهُ ؟ قَالَ :
ادْفِنُوهُ فِي الْبُقْعَةِ الَّتِي قَبِضَهُ اللَّهُ فِيهَا ؛ لَمْ يَقْبِضْهُ إِلَّا فِي أَحَبِّ الْبِقَاعِ إِلَيْهِ . (٢)

وعن غسل الزوجة لزوجها أيضًا فقد غسلت أبا موسى الأشعري زوجته،
وقالت عائشة رضي الله عنها: " لو استقبلنا من أمرنا ما استدبرنا ما غسل

(١) سنن ابن ماجه : ٦-كتاب الجنائز، ١٠-باب ما جاء في غسل النبي -صلى الله عليه
وسلم، حديث ١٤٦٧، ص ١٦٢.

(٢) السنن الكبير: كتاب الجنائز، باب من يكون أولى بغسل الميت، حديث ٦٧٣٥،
ص ٢٢٦.

رسول الله صلى الله عليه وسلم - إلا أزواجه^(١)، ولم ينكر عليها أحد ذلك، ولأن الغسل لما كان فيه اطلاع على العورة والبدن والمغايب لم يكن بذلك أحد أولى من الزوجة^(٢). وقد قالت ذلك عندما أرادوا غسل النبي صلى الله عليه وسلم - فقالوا: والله ما ندري أنجرد رسول الله صلى الله عليه وسلم - من ثيابه كما نجرد موتانا أم نغسله وعليه ثيابه؟ فلما اختلفوا ألقى الله - عز وجل - عليهم النوم حتى كان ما منهم رجل إلا وذقنه في صدره، ثم كلمهم مكرم من ناحية البيت لا يدرون من هو: أن اغسلوا النبي صلى الله عليه وسلم - وعليه ثيابه، فقاموا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم - فغسلوه وعليه قميصه يصبون الماء فوق القميص، ويدلكونه بالقميص دون أيديهم^(٣).

(١)

إسناده حسن من أجل محمد بن إسحاق - وهو ابن يسار المطلبي مولاهم - وقد صرح بالتحديث فانتفت شبهة تدليسه . الثَّقَلِيُّ : هو عبد الله بن محمد بن نُقَيْل الحرَّاني . وأخرجه ابن ماجه (١٤٦٤) من طريق ابن إسحاق، بهذا الإسناد مختصراً بقول عائشة في آخر الحديث .

وهو في «مسند أحمد» (٢٦٣٠٦)، و«صحيح ابن حبان» (٦٦٢٧) مطولاً . وقول عائشة : لو استقبلت من أمري ما استدبرت، أي : لو علمت أولاً ما علمت آخراً، وظهر لي أولاً ما ظهر لي آخراً . ما غسله إلا نساؤه، وكأن عائشة تفكرت في الأمر بعد أن مضى، وذكرت قول النبي ﷺ لها : «ما ضرك لو مت قبلي، فغسلتك وكفنتك ثم صليت عليك ودفنتك» رواه أحمد (٢٥٩٠٨) وابن ماجه (١٤٦٥) وفيه متمسك لمذهب الجمهور في جواز غسل أحد الزوجين للآخر، ولكن لا يدل على عدم جواز غسل الجنس لجنسه مع وجود الزوجة، ولا على أنها أولى من الرجال . أفاده صاحب «نيل الأوطار» .

- سنن أبي داود: ١٥-كتاب الجنائز، ٣٢-باب في ستر الميت عند غسله، حديث ٣١٤١، ص ٦٠ .

^(٢) عبد الوهاب البغدادي: المعونة على مذهب عالم المدينة "الإمام مالك بن أنس"، تحقيق ودراسة/حميش عبد الحتى (والكتاب في الأصل رسالة دكتوراه من جامعة أم القرى بمكة المكرمة)، الجزء الأول، الناشر المكتبة التجارية- مكة المكرمة، د.ت، ص ٣٤١ .

^(٣) سنن أبي داود: ١٥-كتاب الجنائز، ٣٢-باب في ستر الميت عند غسله، حديث ٣١٤١، ص ٦٠ .

وعن تقديم غسل الزوجة زوجها على العصبات، فإن هذا الأمر فيه وجهان؛ أحدهما: أنها تقدم لأنها تنتظر منه إلى ما لا تنتظر العصبات، وهو ما بين السرة والركبة كما تم ذكره من قبل، والثاني يقدم العصبات، لأنهم أحق بالصلاة عليه^(١).

ويجوز للزوج أن يغسل زوجته لحديث عائشة رضي الله عنها - عندما قالت: رجع إلى رسول الله ﷺ ذات يومٍ من جنازةٍ بالقيح وأنا أجد صداعاً في رأسي وأنا أقول: وأرأساه، قال: « ما ضرك لو مت قبلي فغسلتك وكففتك ثم صليت عليك ودفنتك » قلت: لكني أو لكأني بك والله لو فعلت ذلك لقد رجعت إلى بيتي فأعرست فيه ببعض نساءك. قالت: فتبسم رسول الله ﷺ ثم بدىء بوجعه الذي مات فيه. (٢)

وكذلك غسل علياً فاطمة رضي الله عنهما - فعن:
أسماء بنت عميس، أن فاطمة بنت رسول الله ﷺ أوصت أن يغسلها زوجها علي بن أبي طالب رضي الله عنه، فغسلها هو وأسماء بنت عميس. (٣)

ولم ينكر ذلك أحد، ولأن زوال الزوجية بالموت لا يمنع أن يغسل الحي منهما الميت أصله إذا مات الزوج، ولأن كل معنى لم يحرم نظر الزوجة إلى

(١) أبو إسحاق الشيرازي: المهذب في فقه الإمام الشافعي، ص ٢٣٨.

(٢) السنن الكبير: كتاب الجنائز، باب الرجل يغسل امرأته إذا ماتت، حديث ٦٧٣٨، ص ٢٢٧، ٢٢٨. وانظر أيضاً: - سنن ابن ماجه: ٦- كتاب الجنائز، ٩- باب ما جاء في الرجل امرأته وغسل المرأة زوجها، حديث ١٤٦٥، ص ١٦٢.

(٣) السنن الكبير: كتاب الجنائز، باب الرجل يغسل امرأته إذا ماتت، حديث ٦٧٤٠، ص ٢٢٨.

الزوج لم يحرم نظره إليها اعتباراً بالأصول كلها كالمریض وغيره^(١) . وقد ذهب الثوري وأبو حنيفة إلى أن الرجل لا يغسل زوجته؛ لأنه لو شاء تزوج أختها حين ماتت^(٢) .

وإذا مات رجل بين نساء أو امرأة بين رجال فإنهما ييممان ويدفنان، وهما بمنزلة من لم يجد الماء فقد ورد حديثاً مرسلًا عن مكحول قال:

قال رسول الله ﷺ: «إِذَا مَاتَتِ الْمَرْأَةُ مَعَ الرَّجَالِ لَيْسَ مَعَهُمْ امْرَأَةٌ غَيْرُهَا، وَالرَّجُلُ مَعَ النِّسَاءِ لَيْسَ مَعَهُنَّ رَجُلٌ غَيْرُهُ، فَإِنَّهُمَا يُيَمَّمَانِ وَيُدْفَنَانِ، وَهُمَا بِمَنْزِلَةِ مَنْ لَا يَجِدُ الْمَاءَ»

وروى عن سنان بن عرفة عن النبي ﷺ في الرجل يموت مع النساء والمرأة تموت مع الرجال ليس لواحد منهما محرماً: «يُيَمَّمَانِ بِالصَّعِيدِ وَلَا يُغْسَلَانِ»^(٣)

وذهب آخرون إلى أن كلاً من الرجل والمرأة إذا مات ولم يجد الرجل رجلاً ولا زوجة وكذلك المرأة إذا لم تجد نساءً ولم تجد زوجها فإنهما يغسلان من فوق الثياب .^(٤)

^(١) عبد الوهاب البغدادي: المعونة على مذهب عالم المدينة "الإمام مالك بن أنس"، ص ٣٤١.

^(٢) أبو مالك كمال بن السيد سالم: صحيح فقه السنة وأدلته وتوضيح مذاهب الأئمة، ص ٦٢٠.

^(٣) السنن الكبير: كتاب الجنائز، باب المرأة تموت مع الرجال ليس معهم امرأة، حديث ٦٧٥١، ص ٢٣٤.

^(٤) أبو عبدالله مصطفى العدوي: الغسل والكفن، ص ٥٣. وانظر أيضاً:
- أبو مالك كمال بن السيد سالم: صحيح فقه السنة وأدلته وتوضيح مذاهب الأئمة، ص ٦٢٢.

غسل السقط والصبي أو الصبية

والسقط إذا بلغ أربعة أشهر وجب تغسيله والصلاة عليه لأن الروح دخلت إليه أما إذا لم يبلغها فإنه يلف في خرقة ويدفن دون تغسيل أو صلاة. ومن كان فيه روح ثم خرجت فهو ميت، ويستحب تسميته، لقول النبي صلى الله عليه وسلم: "سموا أسقاطكم فإنها أسلافكم". فإن لم يعلم أذكراً هو أم أنثى سمي اسماً يصلح لهما كسعادة وسلامة^(١).

أما عن غسل الصبي فقد قال ابن المنذر: أجمع العلماء على أن للمرأة أن تغسل الصبي الصغير.

وقد ورد عن الحسن أنه قال: "تغسله إذا كان فطيماً أو فوفاً بقليل". وقال مالك وأحمد: "ابن سبع سنين". وقال الأوزاعي: "ابن أربع أو خمس". وقال إسحاق: "ثلاث أو خمس". ثم قال النووي: يغسل ما لم يبلغ حداً يشتهي فيه من النساء وكذلك الصبية^(٢). وورد في موضع آخر أنه يجوز للرجل والمرأة تغسيل من له دون سبع سنين ذكراً كان أو أنثى فإن كان له سبع سنين يجوز أيضاً^(٣).

غسل الشهيد

وقال النووي: إن الشهيد الذي لا يغسل ولا يصلى عليه هو من مات بسبب قتال الكفار حال قيام القتال، سواء قتله كافر أو أصابه سلاح مسلم خطأ، أو عاد إليه سلاح نفسه، أو سقط عن فرسه فمات، أو وطئته دواب المسلمين أو غيرهم، أو أصابه سهم لا يعرف هل رمى به مسلم أم كافر، أو وجد قتيلاً عند انكشاف الحرب ولم يعرف سبب موته، سواء كان عليه أثر دم

^(١) موفق الدين عبدالله بن قامة المقدسي: الكافي في فقه الإمام أحمد بن حنبل، ص ٣٥٧.

^(٢) أبو زكريا يحيى بن شرف النووي: المجموع شرح المذهب، ص ١٠٩٢.

^(٣) نصير الدين محمد بن عبدالله السامري الحنبلي: المستوعب، تحقيق/عبدالملك بن عبدالله بن دهيش، الجزء الأول، ٢٠٠٣م، ص ٢٩٨.

أم لا، وسواء مات في الحال أم بقي زمنًا ثم مات بذلك السبب قبل انقضاء الحرب، وسواء أكل وشرب ووصى أم لم يفعل شيئًا من ذلك^(١). ويجب بقاء دمه عليه، فإن خالطته نجاسة غسل معها، ويتم دفنه بثيابه التي قتل فيها ولو حريرًا^(٢).

يؤكد ذلك ما ورد عن النبي -صلى الله عليه وسلم- بشأن قتلى أحد:

عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: كَانَ النَّبِيُّ ﷺ يَجْمَعُ بَيْنَ الرَّجُلَيْنِ مَنْ قَتَلَ أَحَدًا فِي تَوْبٍ وَاحِدٍ ثُمَّ يَقُولُ: «أَيُّهُمَ أَكْثَرُ أَخْذًا لِلْقُرْآنِ؟»، فَإِذَا أُشِيرَ لَهُ إِلَى أَحَدِهِمَا قَدَّمَهُ فِي اللَّحْدِ، وَقَالَ: «أَنَا شَهِيدٌ عَلَى هَؤُلَاءِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ». وَأَمَرَ بِدَفْنِهِمْ فِي دِمَائِهِمْ، وَلَمْ يُغَسَّلُوا، وَلَمْ يُصَلَّ عَلَيْهِمْ. (٣)

فإن جرح في المعركة، وبقيت فيه حياة مستقرة بعد انتهاء القتال، ثم مات، لم يعتبر شهيداً من حيث المعاملة الدنيوية، وغُسل وصلي عليه كالعادة، ولو كان موته بالسراية من الجرح. (٤)

^(١) أبو عبدالله مصطفى العدوي: الغسل والكفن، ص ١٣٠، ١٣١. وانظر أيضاً: - مالك بن أنس الأصبحي: المدونة الكبرى، الجزء الأول، دار الكتب العلمية (بيروت- لبنان)، الطبعة الأولى، ١٩٩٤م، ص ٢٥٨، ٢٥٩.

^(٢) مرعي بن يوسف الكرسي المقدسي الحنبلي: غاية المنتهى في الجمع بين الإقناع والمنتهى، الجزء الأول، دن، د.ت، ص ٢٥٢.

^(٣) صحيح البخاري: (٢٣) كتاب الجنائز، ٧٢/٧٢ باب الصلاة على الشهيد، حديث ١٣٤٣، ص ١٨٠.

^(٤) مصطفى الخن ومصطفى البغا: الفقه المنهجي على مذهب الإمام الشافعي، دار القلم- دمشق، الطبعة الرابعة، ١٩٩٢م، ص ٢٦٥.

والحكمة من أن الشهيد لا يغسل ولا يصلى عليه: إبقاء أثر الشهادة عليهم، والتعظيم من قدرهم وشأنهم لنيلهم الشهادة في سبيل الله، والتي هي مطلب كل إنسان يؤمن بالله واليوم الآخر، وعظم منزلة الشهيد التي لا تجعله في حاجة إلى دعاء أحد أو ترحمه عليه. فقد ورد في حديث جابر بن عبد الله عن النبي صلى الله عليه وسلم - أنه قال في يوم أحد، عندما كان بين الشهداء:

عن ابن جابر عن جابر بن عبد الله عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال في قتلى أحد «لا تغسلوهم فإن كل جرح - أو كل دم - يفوح مسكا يوم القيامة» ولم يصل عليهم.

(١)

وإذا قتل الشهيد وهو جنب فلا يغسل وذلك لأن النبي صلى الله عليه وسلم - لم يغسل شهداء أحد وهذا عموم، أما من احتج بأن الملائكة غسلت حنظلة بن أبي عامر لما قتل وقال عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم: إن صاحبكم تغسله الملائكة فسألوا صاحبتة عنه فقالت: إنه خرج لما سمع الهائعة وهو جنب فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لذلك: "غسلته الملائكة"^(٢). وقد استدل به على مشروعية تغسيله لفعل الملائكة، ولا يخفى أن الحجة في ترك النبي صلى الله عليه وسلم - تغسيله لا في تغسيل الملائكة، لأن المقصود منه تعبد الأدمي به ولو كان غسله واجباً لما سقط بغسل الملائكة^(٣).

(١) أحمد بن حنبل: المسند، الجزء الحادي عشر، دار الحديث-القاهرة، الطبعة الأولى، ١٩٩٥م، حديث ٣/٢٩٩، ص ٣٧٩.

(٢) أبو عبد الله مصطفى العدوي: الغسل والكفن، ص ١٣٩.

(٣) أبو مالك كمال بن السيد سالم: صحيح فقه السنة وأدلته وتوضيح مذاهب الأئمة، ص ٦١٩.

غسل الكافر

يرى الشافعية أنه إذا مات كافر فإن أقاربه الكفار أحق بغسله من أقاربه المسلمين، لأن للكافر عليه ولاية وإن لم يكن له أقارب من الكفار جاز لأقاربه من المسلمين غسله؛ لأن النبي صلى الله عليه وسلم - أمر علياً أن يغسل أباه، وإن ماتت ذمية ولها زوج مسلم كان له غسلها؛ لأن النكاح كالنسب في الغسل^(١). أما عند الحنابلة فيحرم على المسلم أن يعود الكافر عند مرضه، أو يغسله أو يكفنه بعد موته أو يصلي عليه أو يتبع جنازته حتى ولو كان قريباً له^(٢). باعتبار أنه ليس من أهل العبادة ولا من أهل التطهير. كما لا يصح غسل الكافر لمسلم، لأن الغسل عبادة محضة فلا تصح من كافر كالصلاة^(٣).

ومن مات غريقاً في بئر وكان خروجه منها في تمثيل به - كأن يربط بحبل وهو في قاعها لسحبه منها - وكانت هذه البئر يحتاج إليها، أخرج منها رغم أن خروجه بمثلة؛ لأن رعاية حقوق الأحياء أولى من حفظه عن المثلة، وإن لم يحتج إليها طمث عليه فكانت قبره^(٤). وبعد أن يخرج منها يحمل إلى موضع مستور لا يدخله إلا الغاسل ومعاونوه، والولي إن أراد، وأن يوضع على سرير مهيبء لذلك، وأن يغسل في قميص، وإلا فيجب أن يستتر ما بين السرة والركبة^(٥).

^(١) أبو إسحاق الشيرازي: المهذب في فقه الإمام الشافعي، ص ٢٣٨. وانظر أيضاً: عبد الوهاب البغدادي: المعونة على مذهب عالم المدينة "الإمام مالك بن أنس"، ص ٣٤٣.

^(٢) مرعي بن يوسف الكرمي المقدسي الحنبلي: غاية المنتهى في الجمع بين الإقناع والمنتهى، ص ٢٤٩.

^(٣) موفق الدين عبدالله بن قامة المقدسي: الكافي في فقه الإمام أحمد بن حنبل، ص ٣٥٤.

^(٤) السابق: ص ٣٥٩.

^(٥) يوسف بن إبراهيم الأربيلي: الأنوار لأعمال الأبرار، ص ٢٣٠.

ومن تعذر غسله لعدم الماء، أو خيف تقطعه به كالمجزوم والمحترق ييمم؛ لأنها طهارة على البدن فيدخلها التيمم عند العجز عن استعمال الماء كالجنابة. وإن سقط من دابته أو تردى من شاهق أو وجد ميتا لا أثر به غسل وصلى عليه؛ لأنه ليس بقتيل الكفار^(١).

وقد ورد عند ابن قدامة أن الشهيد بغير قتل كالمبطون والمطعون والغريق وصاحب الهدم فإنهم يغسلون ويصلى عليهم، لا يعلم فيه خلافاً إلا ما يحكى عن الحسن: "لا يصلى على النساء؛ لأنها شهيدة، ولنا أن النبي -صلى الله عليه وسلم- صلي علي امرأة ماتت في نفاسها فقام في وسطها"^(٢). وإن وجد ميت فلم يعلم أمسلم هو أم كافر ينظر إلى العلامات من الختان والثياب والخضاب فإن لم يكن عليه علامة وكان في دار الإسلام غسل وصلي عليه، وإن كان في دار الكفر لم يغسل ولم يصل عليه نص عليه أحمد لأن الأصل أن من كان في دار فهو من أهلها يثبت له حكمهم ما لم يقم علي خلافه دليل^(٣).

وقبل البدء في الغسل يجب التعرف على صفة الغاسل

ينبغي أن يكون الغاسل أميناً، لما روي عن ابن عمر رضي الله عنه أنه قال: لا يغسل موتاكم إلا المأمونون، ولأنه إذا لم يكن أميناً لم يأمن أن لا يستوفي الغسل، وربما ستر ما يظهر من جميل أو يظهر من ما يرى من قبيح ويستحب أن يستر الميت عن العيون؛ لأنه قد يكون في بدنه عيب كان يكتمه، وربما اجتمع في موضع من بدنه دم فيراه من لا يعرف، فيظن أن ذلك عقوبة وسوء عاقبة، ويستحب أن لا يستعين بغيره إن كان فيه كفاية، وإن

^(١) موفق الدين عبدالله بن قامة المقدسي: الكافي في فقه الإمام أحمد بن حنبل، ص ٣٥٧:٣٥٩.

^(٢) أبو عبدالله مصطفى العدوي: الغسل والكفن، ص ١٢٩، ١٣٠.

^(٣) السابق: ص ١٤١.

احتاج إلى معين استعان بمن لا بد له منه، ويستحب أن يكون بقره مجمرة حتى إذا كانت له رائحة لم تظهر^(١). وإذا رأى الغاسل ما يعجبه كاستتارة وجه الميت وطيب ريحه وسرعة انقلابه على المغتسل: استحب أن يتحدث به، وإن رأى ما يكره كنتته وسواد وجهه أو بدنه أو انقلاب صورته: حرم أن يتحدث به إلا لمصلحة دينية، كما إذا كان الميت مبتدعاً أو نحوه^(٢).

والى جانب أمور الأمانة والصلاح التي يجب أن تتوفر في الغاسل، لا بد أيضاً من الخبرة، وأن يكون ملماً بكيفية الغسل، فعن:

عُلِّيَ بْنِ رَبَاحِ اللَّخْمِيِّ قَالَ: سَمِعْتُ أَبَا رَافِعٍ يُحَدِّثُ
أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «مَنْ غَسَلَ مُسْلِمًا فَكَتَمَ عَلَيْهِ غَفَرَ اللَّهُ لَهُ أَرْبَعِينَ مَرَّةً، وَمَنْ
خَفَرَ لَهُ فَأَجَنَّهُ أَجْرِي عَلَيْهِ كَأَجْرِ مَسْكِنٍ أَسْكَنَهُ إِيَّاهُ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ، وَمَنْ كَفَّنَهُ
كَسَاهُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِنْ سُندُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ الْجَنَّةِ»^(٣)

تقليم أظافر الميت

يستحب تقليم أظافر الميت، وقص شاربه؛ لأن ذلك سنة في حياته، ويترك ذلك معه في أكفانه لأنه من أجزائه وكل ما سقط من الميت جعل معه في أكفانه ليجمع بين أجزائه. وفي أخذ عانته وجهان:

أحدهما: يستحب إزالتها بنورة أو حلق؛ لأن سعد بن أبي وقاص جزء عانة ميت، ولأنه من الفطرة، فأشبهه تقليم الأظافر.

والثاني: لا يستحب، لأن فيه لمس لعورة الميت والنظر إليها وهذا محرم^(١).

^(١) أبو إسحاق الشيرازي: المهذب في فقه الإمام الشافعي، ص ٢٣٩. وانظر أيضاً:

- موفق الدين عبدالله بن قامة المقدسي: الكافي في فقه الإمام أحمد بن حنبل، ص ٣٥٤.

^(٢) يوسف بن إبراهيم الأردبيلي: الأنوار لأعمال الأبرار، ص ٢٣٣، ٢٣٤.

^(٣) السنن الكبير: كتاب الجنائز، باب من رأى شيئاً من الميت فكتمه ولم يتحدث به، حديث

وقال الشافعي في الجديد أنه لا يكره في غير الميت المحرم أخذ ظفره، وشعر
إبطه وعانته وشاربه. وفي القديم يكره ذلك^(٢).

نوع ماء الغسل

وعن الماء الذي يستخدم في الغسل فإن البارد منه أولى من المسخن؛ لأن
البارد يشده ويقويه أما المسخن فإنه يرخيه، وإن كان به وسخ لا يزيله إلا
المسخن، أو أن البرد شديدًا ويخاف الغاسل من استعمال البارد غسله
بالمسخن^(٣). ولا يستعمل الأثنان إلا لحاجة إليه، للاستعانة على إزالة الوسخ.

صفة الغسل

صفة غسل الميت كصفة غسل الجنابة، والغرض منه التنظيف وإزالة
الأذى عن الميت ويستحب أن يكون وترًا ثلاثًا أو خمسًا أو أكثر، على ما
يحتاج إليه في اجتهاد الغاسل لقوله صلى الله عليه وسلم - عند غسل ابنته
اغسلنها ثلاثًا أو خمسًا أو أكثر من ذلك إن رأيتن ذلك" فوكله إلى اجتهادهن

^(١) موفق الدين عبدالله بن قامة المقدسي: الكافي في فقه الإمام أحمد بن حنبل، ص ٣٥٧.
وانظر أيضًا:

- أبو إسحاق الشيرازي: المهذب في فقه الإمام الشافعي، ص ٢٤١.

- أبو محمد بن محمد بن محمد الغزالي: الوسيط في المذهب، حققه وعلق
عليه/أحمد محمود إبراهيم، المجلد الثاني، دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع
والترجمة، الطبعة الأولى، ١٩٩٧م، ص ٣٦٩.

^(٢) لمين الناجي: القديم والجديد في فقه الشافعي، المجلد الثاني، دار ابن القيم ودار ابن
عفان للنشر والتوزيع، الطبعة الأولى، ٢٠٠٧م، ص ١٦٢.

^(٣) أبو إسحاق الشيرازي: المهذب في فقه الإمام الشافعي، ص ٢٣٩. وانظر أيضًا:

- موفق الدين عبدالله بن قامة المقدسي: الكافي في فقه الإمام أحمد بن حنبل،
ص ٣٥٧.

- يوسف بن إبراهيم الأربيلي: الأنوار لأعمال الأبرار، ص ٢٣٠.

والى ما يرين من الحاجة إلى التنظيف. ويكون الغسل بماء وسدر وأن يكون في الأخيرة كافوراً، ويستتر عورته وينزع ثيابه، ولا يفضي بيده إلى عورته إلا وعليها خرقة إلا أن يكون هناك مما يحتاج إلى مباشرته بيده، لأنه لما وجب سترها وهو حي فكذلك بعد الموت، لأن حرمة باقية كما هي في حال الحياة، وروي أن محمد بن سيرين قد غسل أنس بن مالك، فلما بلغ إلى عورته قال لأهله: أنتم أحق دونكم فاغسلوها، فجعل الذي غسلها على يده خرقة وجعل على عورته ثوباً، ثم غسل عورته من تحت الثياب. وإذا احتاج الغاسل إلى مباشرة عورة الميت بيده فعل. فهذه ضرورة والضرورات تنقل الأصول عن بابها، وتغير موجباتها للحاجة إلى إزالة ما تدعو الضرورة إلى إزالته. ويعصر بطنه عصراً رقيقاً إن احتاج إلى ذلك، لأنه لا يؤمن أن يخرج منه شيئاً فيلطح أكفانه وتنتهك بذلك صيانتة ويزول المعنى المطلوب بتكرار غسله من المبالغة في تنظيفه^(١). والمستحب ألا يغسل الميت تحت السماء وأن يستتر عن النظر في حال غسله، ولا يحضره إلا من يعين في أمره ما دام يغسل^(٢).

ويعتبر حديث أم عطية الذي ورد في بداية الحديث عن الغسل أصلاً في باب غسل الميت وصفته، وعليه عول الأئمة الذين ألفوا في صفة الغسل وتداولته أيدي الفقهاء وأفهامهم بالنظر فيه والاستنباط منه والتعويل عليه^(٣).

ويمكن تلخيص مراحل الغسل على ما ورد فيه بعد وضع الميت على خشبة الغسل، وأن يكون هناك رفق بالميت منذ وضعه على الخشبة إلى إنهاء عملية الغسل، للحديث الذي روته عائشة أم المؤمنين -رضي الله عنها- عن

^(١) عبد الوهاب البغدادي: المعونة على مذهب عالم المدينة "الإمام مالك بن أنس"، ص ٣٣٩، ٣٤٠.

^(٢) نصير الدين محمد بن عبدالله السامري الحنبلي: المستوعب، ص ٢٩٩.

^(٣) أبو عبدالله مصطفى العدوي: الغسل والكفن، ص ٦٠.

المصطفى صلى الله عليه وسلم - قال: "إن الرفق لا يكون في شيء إلا زانه ولا ينزع من شيء إلا شانه"^(١) ومثلما أن للحي حرمة فكذاك للميت حرمة لذا يجب التعامل معه برفق ولين وقد ورد ذلك في حديث آخر خاص بالميت:
عن عائشة، أن رسول الله ﷺ قال: «كَسْرُ عَظْمِ الْمَيِّتِ كَكْسَرِهِ حَيًّا»
(٢)

١- يجرد الميت من ملابسه ويتم ستر العورة من السرة إلى الركبة والمرأة كلها إلا موضع الزينة^(٣).

٢- يبدأ الغاسل فيلين مفاصله إن سهلت عليه ولا تركها، ثم يحنيه إحناءً رقيقاً ما يبلغ به قريباً من الجلوس ولا يجلسه، ثم يمسح بطنه بيده، ثم ينجيه بخرقه وأقل ما ينجيه بعد زوال الخبث ثلاثاً في كل دفعة بخرقه نظيفة، فإن خرج على الخرقه شيء ألقاها ولم يحتسب بها. ويغسل يده ويأخذ خرقه طاهرة أو يغسل تلك الخرقه ويعود لإنجائه حتى ينقيه^(٤).

^(١) صحيح مسلم: ٤٥-كتاب البر والصلوة والآداب، ٢٣-باب فضل الرفق، حديث ٧٨- (٢٥٩٤)، ص ١٠٤٣.

^(٢) سنن أبي داود: ١٥-كتاب الجنائز، ٣٢-باب في الحفار يجد العظم، هل يتنكب ذلك المكان؟، حديث ٣٢٠٧، ص ١١٦.

^(٣) وحيد بن عبد السلام بالي: بداية المتفقه، دار ابن رجب ودار الفوائد، الطبعة الثانية عشر، ٢٠١١م، ص ٦٩.

^(٤) نصير الدين محمد بن عبدالله السامري الحنبلي: المستوعب، ص ٢٩٩، ٣٠٠. وانظر أيضاً:

٣- ثم يبدأ بعد إنجائه فيوضئه، لما روت أم عطية أنها قالت: لما غسلنا ابنة رسول الله صلى الله عليه وسلم، قال: "ابدأ بيمينها وموضع الوضوء منها" ولأن الحي يتوضأ إذا أراد الغسل فكذلك الميت، ولا يدخل فاه ولا أنفه ماء، لأنه لا يمكنه إخراجها، فربما دخل بطنه ثم خرج فأفسد وضوءه، لكن يلف على يده خرقة مبلولة، ويدخلها بين شفتيه فيمسح أسنانه وأنفه، ويتتبع ما تحت أظافره -إن لم يكن قلمها- يعود لين كالصفا، فيزيله ويغسله، كما يفعل الحي في وضوئه وغسله.

٤- يغسله بسدر مع الماء، لقول رسول الله صلى الله عليه وسلم- "اغسلوه بماء وسدر"، ويضرب الصدر، ثم يبدأ فيغسل برغوته رأسه ولحيته، لأن النبي صلى الله عليه وسلم- كان يبدأ بعد الوضوء بالصب على رأسه في الجنابة^(١).

٥- يغسل كامل شقه الأيمن مما يلي وجهه، ثم شقه الأيسر مما يلي وجهه أيضاً، ثم يغسل شقه الأيمن مما يلي القفا ثم شقه الأيسر مما يلي القفا أيضاً، وبذلك يعمم جسده كله بالماء. فهذه غسلة أولى ويسن أن يكرر مثل هذه الغسلة مرتين أخريين. وبذلك يتم غسله ثلاث مرات^(٢).

- موفق الدين عبدالله بن أحمد بن قدامة المقدسي: المقنع في فقه إمام السنة أحمد بن حنبل الشيباني رضي الله عنه، دار الكتب العلمية (بيروت-لبنان)، الطبعة الأولى، ١٩٧٩م، ص ٤٦، ٤٧.

^(١) موفق الدين عبدالله بن قدامة المقدسي: الكافي في فقه الإمام أحمد بن حنبل، ص ٣٥٦.

^(٢) الفقه المنهجي على مذهب الإمام الشافعي ٢٥٠، ٢٤٩ وانظر أيضاً:

- كمال الدين أبي البقاء الدميري: النجم الوهاج في شرح المنهاج، ص ١٧: ٢٤.

٦- يجعل في الغسلة الأخيرة كافوراً ليشده ويبيدهه ويطيبه إذا كان الميت غير محرم، لأن النبي صلى الله عليه وسلم - أمر بذلك. ويستحب أن يضر شعر المرأة ثلاثة قرون، ويسدل من ورائها لما روت أم عطية قالت: ضفرنا شعرها ثلاثة قرون، وألقيناه من خلفها، تعني؛ ابنة النبي صلى الله عليه وسلم^(١).

ويرى بعض العلماء بعد الفراغ من الغسل أن تترد اليدين والرجلان فيلصقا بالجنيين، ويصف القدمان، ويلصق أحد الكعبين بالآخر، ويضم الفخذان، ثم يجفف بثوب، ورأوا كذلك أن يمسح على البطن أثناء الغسل ليخرج ما به - كما ذكر من قبل - وأن يقعد عند آخر كل غسلة^(٢).

وبالنسبة لأمر الغاسل في أن يأخذ أجره على غسل الميت فقد كره أحمد - رحمه الله - لمغسل الموتى والحفار أن يأخذوا على ذلك أجره، إلا أن يكونوا محتاجين فيعطون من بيت المال، فإن تعذر ذلك فيأخذون بقدر شغلهم، وهذه كراهة تنزيه لا كراهة تحريم^(٣).

- أبو حامد محمد بن محمد بن محمد الغزالي: الوجيز في فقه مذهب الإمام الشافعي، تحقيق/علي معوض وعادل عبدالموجود، الجزء الأول، شركة دار الأرقم بن أبي الأرقم للطباعة والنشر والتوزيع (بيروت-لبنان)، الطبعة الأولى، ١٩٩٧م، ص٢٠٦.

^(١) موفق الدين عبدالله بن قامة المقدسي: الكافي في فقه الإمام أحمد بن حنبل، ص٣٥٧.
^(٢) أبو مالك كمال بن السيد سالم: صحيح فقه السنة وأدلته وتوضيح مذاهب الأئمة، ص٦٢٥.

^(٣) نصير الدين محمد بن عبدالله السامري الحنبلي: المستوعب، ص٢٩٧. وانظر أيضاً: - مرعي بن يوسف الكرمي المقدسي الحنبلي: غاية المنتهى في الجمع بين الإقناع والمنتهى، ص٢٤٧.

وبعد الانتهاء من عملية الغسل تنتقل الدراسة للحديث عن الكفن وطريقة إلباس الميت الكفن.

ثانياً: أحكام الكفن

يستحب الإسراع في تكفين الميت بعد الغسل مباشرة، لأن التعجيل بتجهيز الميت ودفنه سنة. وبناءً على هذا يكره تأخير التكفين عن الغسل خوفاً من خروج شيء من الميت قبل إدراجه في الكفن فيفسد غسله.

وتكفين الميت فرض كفاية إذا فعله البعض سقط عن البعض الآخر، وهو سنة واجبة على أقارب المتوفى، وروي أن الملائكة لما غسلت آدم صلوات الله عليه - كفنوه ودفنوه، ثم قالت لولده: هذه سنة موتاكم، والسنة المطلقة في معنى الواجب، والإجماع منعقد على وجوبه؛ ولهذا توارثه الناس من لدن وفاة آدم صلوات الله وسلامه عليه - إلى يومنا هذا؛ وهذا دليل الوجوب^(١).

وقد اختلف أهل العلم فيما يكفن به الميت، هل الواجب أن يستر جميع الجسد وهذا هو الراجح، أو أن الواجب يقتصر فقط على ستر العورة وما بقي من الجسد فيسن ستره. والخلاف المذكور إنما هو في الرجل وأما المرأة فيجب ستر جميع جسدها بالكفن قولاً واحداً^(٢). وينبغي تحسين الكفن لما ورد عن أبي الزبير:

^(١) علاء الدين أبي بكر بن مسعود الكاساني الحنفي: بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع، تحقيق وتعليق/الشيخ علي معوض والشيخ عادل احمد عبدالموجود، الجزء الثاني، دار الكتب العلمية (بيروت-لبنان)، الطبعة الثانية، ٢٠٠٣م، ص ٣٢٢.

^(٢) الطاهر عامر: التسهيل لمعاني مختصر خليل، المجلد الرابع، دار ابن حزم للطباعة والنشر والتوزيع (بيروت-لبنان)، الطبعة الأولى، ٢٠٠٩م، ص ٢٩٣.

أنه سمع جابر بن عبد الله يحدث عن النبي ﷺ أنه خطب يوماً فذكر رجلاً من أصحابه قبض فكفن في كفن غير طائل وقبر ليلاً، فزجر النبي ﷺ أن يقبر الرجل بالليل حتى يصلّى عليه، إلا أن يضطر إنساناً إلى ذلك، وقال النبي ﷺ: «إِذَا كَفَّنَ أَحَدُكُمْ أَخَاهُ فَلْيُحْسِنِ كَفَنَهُ» (١)

ولا بد أن يكون الكفن كافياً فيغطي جميع الجسد، وإن لم يكن كافياً وجب ستر بقية الجسد؛ لأن حرمة الميت كحرمة الحي، وهذا ما أوضحه حديث المصطفى صلى الله عليه وسلم:

عَنْ خَبَّابِ ابْنِ الْأَرْتِ، قَالَ: هَاجَرْنَا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فِي سَبِيلِ اللَّهِ. تَبَتَّعِي وَجْهَ اللَّهِ، فَوَجِبَ أَجْرُنَا عَلَى اللَّهِ، فَمِنَّا مَنْ مَضَى لَمْ يَأْكُلْ مِنْ أَجْرِهِ شَيْئًا، مِنْهُمْ مُصْعَبُ بْنُ عُمَيْرٍ، قُتِلَ يَوْمَ أَحُدَ، فَلَمْ يَوْجَدْ لَهُ شَيْءٌ يُكْمَنُ فِيهِ إِلَّا نَمْرَةً، فَكُنَّا إِذَا وَضَعْنَاهَا عَلَى رَأْسِهِ، خَرَجَتْ رِجْلَاهُ، وَإِذَا وَضَعْنَاهَا عَلَى رِجْلَيْهِ، خَرَجَ رَأْسُهُ، فَقَالَ: رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «ضَعُوهَا مِمَّا يَلِي رَأْسَهُ، وَاجْعَلُوا عَلَى رِجْلَيْهِ الْإِذْخِرَ. وَمِنَّا مَنْ أَيْنَعَتْ لَهُ نَمْرَتُهُ، فَهُوَ يَهْدِيهَا.» (٢)

تكلفة كفن الميت

وكفن الميت وحنوطه ومؤنته حتى يدفن من رأس ماله، ليس لغرمائه ولا لوارثه منع ذلك، فإن تشاحوا فيه فثلاثة أثواب إن كان وسطاً لا موسراً ولا

^(١) سنن أبي داود: ١٥-كتاب الجنائز، ٣٢-باب في الكفن، حديث ٣١٤٨، ص ٦٤.

^(٢) صحيح مسلم: ١١-كتاب الجنائز، (١٢)-باب في كفن الميت، حديث ٤٤-(٩٤٠)،

مقلًا. ويقدم على الدين والوصية^(١). وقد استدل بعض أهل العلم على ذلك بما ورد عن سعد عن أبيه قال:

أُتِيَ عَبْدُ
الرَّحْمَنِ بْنِ عَوْفٍ رضي الله عنه يَوْمًا بِطَعَامِهِ، فَقَالَ: قُتِلَ مُضْعَبُ بْنُ
عُمَيْرٍ، وَكَانَ خَيْرًا مِنِّي، فَلَمْ يُوجَدْ لَهُ مَا يُكْفَنُ فِيهِ إِلَّا
بُرْدَةٌ، وَقُتِلَ حَمْزَةُ، أَوْ رَجُلٌ آخَرُ، خَيْرٌ مِنِّي، فَلَمْ يُوجَدْ لَهُ
مَا يُكْفَنُ فِيهِ إِلَّا بُرْدَةٌ، لَقَدْ خَشِيتُ أَنْ يَكُونَ قَدْ عَجَّلَتْ لَنَا
طَيِّبَاتُنَا فِي حَيَاتِنَا الدُّنْيَا، ثُمَّ جَعَلَ يَبْكِي. (٢)

فإن لم يكن له مال فكفنه ومؤنة تجهيزه على من تلزمه نفقته؛ لأن ذلك يلزمه حال الحياة فكذا بعد الموت، غير أن الزوج لا يلزمه كفن زوجته ولو كان غنيًا؛ لأن الكسوة وجبت عليه بالزوجية والتمكن من الاستمتاع وقد انقطع ذلك بالموت. وإن عدم مال الميت ومن تلزمه نفقته فكفنه من بيت المال إذا

^(١) محمد بن إدريس الشافعي: الأم، تحقيق وتخريج د/رفعت فوزي عبدالمطلب، الجزء الثاني، دار الوفاء للطباعة والنشر والتوزيع، الطبعة الأولى، ٢٠٠١م، ص ٥٩٥. وانظر أيضًا:

- أبو الخطاب محفوظ بن الحسن الكلوناني: الهداية على مذهب الإمام أبي عبدالله أحمد بن محمد بن حنبل الشيباني، حقق نصوصه وخرج أحاديثه وعلق عليه كلاً من د/عبداللطيف هميم ود/ماهر ياسين الفحل، غراس للنشر والتوزيع - الكويت، الطبعة الأولى، ٢٠٠٤م، ص ١٢٠.

^(٢) صحيح البخاري: ٢٣-كتاب الجنائز، ٢٥/٢٥ باب الكفن من جميع المال، حديث ١٢٧٤، ص ١٧١.

كان مسلماً. ثم إن تعذر بيت المال فكفنه على غني مسلم^(١). ولا يجب على المرأة كفن زوجها كما لا يجب عليها كسوته في حال الحياة.

تكلفة كفن المرأة المتزوجة

هناك ثلاثة أقوال في كفن المرأة الأول يلزم الزوج بتكاليف كفن الزوجة، والثاني يكون من رأس مالها إن تركت رأس مال، والثالث كالأول إن كانت فقيرة وكالثاني إن كانت مليئة^(٢). وهنالك من قال بالرأي الثاني:

وكفن المرأة وحفر قبرها من رأس مالها ولا يلزم ذلك زوجها لأن أموال المسلمين محظورة إلا بنص قرآن أو سنة، قال رسول الله ﷺ: « إن دماءكم وأموالكم عليكم حرام » وإنما أوجب تعالى على الزوج النفقة والكسوة والإسكان، ولا يسمى في اللغة التي خاطبنا الله تعالى بها الكفن كسوة ولا القبر إسكاناً .

(٣)

^(١) عثمان أحمد النجدي الحنبلي: هداية الراغب لشرح عمدة الطالب، تحقيق الشيخ/حسنين محمد مخلوف، المجلد الأول، دار محمد للنشر والتوزيع (الطائف-السعودية)، الطبعة الأولى، ١٩٩٦م، ص ٣٢٤. وانظر أيضاً:

- أبو عبدالله محمد بن علي المازري: شرح التلقين، الجزء الأول: الصلاة ومقدماتها- المجلد الأول، تحقيق سماحة الشيخ/ محمد المختار السّلامي مفتي الجمهورية التونسية، دار الغرب الإسلامي، الطبعة الأولى، ١٩٩٧م، ص ١١٤٠.

^(٢) أبو الطاهر إبراهيم بن بشير: التتبيه على مبادئ التوجيه، تحقيق ودراسة د/محمد بلحسان، دار ابن حزم للطباعة والنشر والتوزيع (بيوت-لبنان)، الطبعة الأولى، ٢٠٠٧م، ص ٦٨٦.

^(٣) أبو محمد علي بن أحمد بن حزم: المطى، الجزء الخامس، إدارة الطباعة المنيرية- مصر، ١٣٤٩هـ، ص ١٢٣، ١٢٢.

صفة الكفن

يكفن الميت بما يجوز له لبسه في حياته ولا يحل تكفينه فيما لا يحل لبسه من حرير أو مذهب أو معصفر^(١). والمغسول الذي كان يلبسه وهو حي أولى من الجديد، لأن الحي أحق بالجديد^(٢) من الميت لما ورد عن عائشة - رضي الله عنها - قالت:

دَخَلْتُ عَلَى أَبِي
بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، فَقَالَ: فِي كَمِّ كَفَنْتُمْ النَّبِيَّ ﷺ? قَالَتْ: فِي
ثَلَاثَةِ أَثْوَابٍ بِيضٍ سَحُولِيَّةٍ، لَيْسَ فِيهَا قَمِيصٌ وَلَا عِمَامَةٌ.
وَقَالَ لَهَا: فِي أَيِّ يَوْمٍ تُؤْفِي رَسُولَ اللَّهِ ﷺ? قَالَتْ: يَوْمَ
الْاِثْنَيْنِ. قَالَ: فَأَيُّ يَوْمٍ هَذَا؟ قَالَتْ: يَوْمَ الْاِثْنَيْنِ. قَالَ:
أَرْجُو فِيمَا بَيْنِي وَبَيْنَ اللَّيْلِ. فَتَنَظَّرَ إِلَى ثَوْبٍ عَلَيْهِ كَانَ
يُمَرِّضُ فِيهِ - بِهِ رَدْعٌ مِنْ زَعْفَرَانٍ، فَقَالَ: اغْسِلُوا ثَوْبِي
هَذَا، وَزِيدُوا عَلَيْهِ ثَوْبَيْنِ، فَكَفَّنُونِي فِيهَا. قُلْتُ: إِنَّ هَذَا
خَلَقَ؟ قَالَ: إِنَّ الْحَيَّ أَحَقُّ بِالْجَدِيدِ مِنَ الْمَيِّتِ، إِنَّمَا هُوَ
لِلْمُهَلَّةِ. فَلَمَّ يَتَوَفَّ حَتَّى أَمْسَى مِنْ لَيْلَةِ الثَّلَاثَاءِ، وَدُفِنَ قَبْلَ
أَنْ يُضِيحَ.

(٣)

وتكره المغالاة في الكفن^(١). ويجوز تكفين المرأة في الحرير لكنه يكره، ثم الجودة والرداء تتعلق بحال الميت، فإن كان مكثراً فمن جياذ الثياب، وإن كان

^(١) أبو محمد علي بن أحمد بن حزم الأندلسي: المحلى في شرح المجلى بالحجج والآثار، اعتنى به/حسان عبدالمنان، بيت الأفكار الدولية، د.ت، ص ٤٨٩.

^(٢) محمد ناصر الدين الألباني: التعليقات الرضية على الروضة الندية للعلامة/صديق حسن خان، ضبط نصه وحققه وقام على نشره/علي بن حسن الحلبي الأثري، المجلد الأول، دار ابن القيم ودار ابن عفان للنشر والتوزيع، الطبعة الأولى، ٢٠٠٣م، ص ٤٣٦.

^(٣) صحيح البخاري: ٢٣-كتاب الجنائز، ٩٤/٩٤ باب موت يوم الاثنين، حديث ١٢٨٧، ص ١٨٦.

متوسطاً فمن وسطها وإن كان مقللاً فمن أحسن الثياب^(١). وأفضل الألوان في الكفن الأبيض وأفضل الأنواع القطن والكتان^(٢). ومثلما يكره لبس الحرير والمذهب والمزعفر والمعصفر والمنقوش في الكفن، يكره أيضاً التكفين بشعر وصوف؛ لأنه خلاف فعل السلف، ويحرم التكفين بجلد لأمر النبي -صلى الله عليه وسلم- بنزع الجلود عن الشهداء وأن يدفنوهم في ثيابهم^(٤).

^(١) سالم بن عبدالله الشافعي: كاشفة السجا شرح سفينة النجا، بعناية/بسام عبدالوهاب الجابي، دار بن حزم (بيروت-لبنان)، الطبعة الأولى، ٢٠١١م، ص ٤٠١. وانظر أيضاً:
- شرف الدين إسماعيل بن المقرئ الشافعي: روض الطالب ونهاية مطلب الراغب، تحقيق وتعليق/خلف مفضي المطلق، الجزء الأول، دار الضياء للنشر والتوزيع- الكويت، الطبعة الأولى، ٢٠١٣م، ص ٢٤٩.

^(٢) تقي الدين أبي بكر الدمشقي: كفاية الأخيار في حل غاية الاختصار، حققه وخرج أحاديثه وعلق عليه/عبدالقادر الأرنؤوط، دار البشائر للطباعة والنشر والتوزيع-دمشق، الطبعة التاسعة، ٢٠٠١م، ص ١٩٩.

^(٣) محمد بن عبدالله آل حسين: الزوائد في فقه إمام السنة أحمد بن حنبل الشيباني، الجزء الأول، دار أضواء السلف للنشر والتوزيع- الرياض، د.ت، ص ١٩٥. وانظر أيضاً:

- طارق بن عوض الله بن محمد (تحقيق): مسائل الإمام أحمد بن حنبل رواية ابنه أبو الفضل صالح، دار الوطن للنشر الرياض، الطبعة الأولى، ١٩٩٩م، ص ٥٥.
- علي سليمان المهنا (تحقيق ودراسة): كتاب مسائل الإمام أحمد بن حنبل رواية ابنه عبدالله، الجزء الأول، توزيع مكتبة الدار بالمدينة المنورة، الطبعة الأولى، ١٩٨٦م، ص ٤٦٥.

- ابن الملقن: تحفة المحتاج إلى أدلة المنهاج، تحقيق ودراسة/عبدالله بن سعاف اللحياني، الجزء الأول، دار حراء للنشر والتوزيع- مكة المكرمة، الطبعة الأولى، ١٩٨٦م، ص ٥٩٠.

^(٤) عبدالقادر بن عمر الشيباني: نيل المآرب بشرح دليل الطالب، حققه د/محمد سليمان الأشقر، مكتبة الفلاح- الكويت، الطبعة الأولى، ١٩٨٣م، ص ٢٢٥. وانظر أيضاً:

- مرعي بن يوسف الحنبلي: دليل الطالب على مذهب الإمام المجلد أحمد بن حنبل، منشورات المكتب الإسلامي، الطبعة الثانية، ١٩٦٩م، ص ٦٠.

صفة كفن رسول الله - صلى الله عليه وسلم:

عَنْ عَائِشَةَ قَالَتْ: كُفِّنَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فِي ثَلَاثَةِ
أَثْوَابٍ بَيْضَ سَحُولِيَّةٍ، مِنْ كُرْسُفٍ، لَيْسَ فِيهَا قَمِيصٌ
وَلَا عِمَامَةٌ، أَمَّا الْحَلَّةُ، فَإِنَّمَا شَبَّهَ عَلَى النَّاسِ فِيهَا، أَنَّهَُا
اشْتُرِيَتْ لَهُ لِيَكْفَنَ فِيهَا، فَتَرَكْتُ الْحَلَّةَ، وَكُفِّنَ فِي ثَلَاثَةِ
أَثْوَابٍ بَيْضَ سَحُولِيَّةٍ، فَأَخَذَهَا عَبْدُ اللَّهِ ابْنُ أَبِي بَكْرٍ،
فَقَالَ: لَا حَبْسَتَهَا حَتَّى أَكْفِنَ فِيهَا نَفْسِي، ثُمَّ قَالَ: لَوْ
رَضِيَهَا اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ لِنَبِيِّهِ لَكَفَّنَهُ فِيهَا، فَبَاعَهَا وَتَصَدَّقَ
بِثَمَنِهَا.

(١)

وقال النووي رحمه الله: وقلها ليس فيها قميص ولا عمامة معناه لم يكفن في قميص ولا عمامة وإنما كفن في ثلاثة أثواب غيرهما، ولم يكن مع الثلاثة شيء آخر هكذا فسره الشافعي وجمهور العلماء وهو الصواب الذي يقتضيه ظاهر الحديث، قالوا ويستحب ألا يكون في الكفن قميص ولا عمامة، وقال مالك وأبو حنيفة: يستحب قميص وعمامة وتأولوا الحديث علي أن معناه ليس القميص والعمامة من جملة الثلاثة، وإنما هما زائدان عليهما، وهذا ضعيف فلم يثبت أنه صلى الله عليه وسلم - كفن في قميص وعمامة، وفي هذا الحديث مما يتعلق بالكفن ما يلي:

- (١) استحباب الكفن في الثياب البيض، كما ورد من قبل في صفة الكفن.
- (٢) استحباب كون كفن الرجل ثلاث أثواب.
- (٣) استحباب كون هذه الثياب من القطن، كما ورد أيضاً من قبل في صفة الكفن.

(٤) استحباب ألا يكون فيها قميص ولا عمامة.

^(١) صحيح مسلم : ١١-كتاب الجنائز، (١٣)-باب في كفن الميت، حديث ٤٥- (٩٤١)، ص ٣٦٥. وانظر أيضاً:

- أبو يحيى زكريا الأنصاري: فتح الوهاب بشرح منهج الطلاب، الجزء الأول، دن، د.ت، ص ٩٣.

ذلك لأن الله - سبحانه وتعالى - اختار ذلك لنبيه (صلى الله عليه وسلم) ^(١).

كفن المحرم

يعتبر العمدة في هذا المقام الحديث الذي ورد من قبل في الغسل وهو:

عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ، قَالَ: بَيْنَمَا رَجُلٌ وَاقَفَ مَعَ رَسُولِ
اللَّهِ ﷺ بِعَرَفَةَ، إِذْ وَقَعَ مِنْ رَاحِلَتِهِ، قَالَ أَيُّوبُ: فَأَوْقَصْتَهُ
أَوْ قَالَ فَأَقْعَصْتَهُ (وَقَالَ عَمْرُو: فَأَوْقَصْتَهُ)، فَذَكَرَ ذَلِكَ
لِلنَّبِيِّ ﷺ فَقَالَ: «اغْسِلُوهُ بِمَاءٍ وَسِدْرٍ، وَكَفِّنُوهُ فِي
ثَوْبَيْنِ، وَلَا تُحَنِّطُوهُ، وَلَا تُخَمِّرُوا رَأْسَهُ» (قَالَ أَيُّوبُ)
فَإِنَّ اللَّهَ يَبْعَثُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مَلَكِيًّا، (وَقَالَ عَمْرُو فَإِنَّ اللَّهَ
يَبْعَثُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَلْبِي). (٢)

وقد تعددت أقوال أهل العلم والفقهاء في هذا الموضوع، منها:

- لا يجب ستر رأس المحرم ووجه المحرمة بل يحرم، لأن المحرم الميت كالمحرم الحي، فيجنب كل ما يحرم على المحرم من طيب، ومن لبس مخيط لذكر، ومن تغطية رأس ووجه أنثى، ويغطي رأس الأنثى ووجه الذكر وجوباً ^(٣).
- والواجب لحق الله تعالى وحق الميت ستر جميعه سوى رأس المحرم ووجه المحرمة بثوب واحد، متعلق بتكفينه لا يصف البشرة أي سوادها وبياضها ^(٤).

^(١) أبو عبدالله مصطفى العدوي: الغسل والكفن، ص ١٥٩، ١٦٠.

^(٢) صحيح مسلم : ١١-كتاب الجنائز، (١٢)-باب ما يفعل بالمحرم إذا مات، حديث ٩٤- (١٢٠٦)، ص ٤٧٤.

^(٣) عبدالغني بن ياسين اللبدي النابلسي: حاشية اللبدي على نيل المآرب، تحقيق وتعليق د/محمد سليمان الأشقر، الجزء الأول، دار البشائر الإسلامية، د.ت، ص ١٠٦.

^(٤) عبدالقادر بن عمر الشيباني: نيل المآرب بشرح دليل الطالب، ص ٢٢٣.

• إذا مات محرم لم يقرب الطيب ولم يلبس المخيط ولم يخمر رأسه، لما روي ابن عباس أن النبي صلى الله عليه وسلم - قال في المحرم الذي خر من بغيره اغسلوه بماء وسدر وكفنوه في ثوبيه اللذين مات فيهما ولا تقربوه طيباً فإنه يبعث يوم القيامة ملبياً. وإن ماتت معتدة عن وفاة ففيه وجهان: أحدهما لا تقرب الطيب لأنها ماتت والطيب محرم عليها فلم يسقط تحريمه بالموت كالمحرمة. والثاني تقرب الطيب لأن الطيب حرم عليها في العدة حتى لا يدعو ذلك إلي نكاحها وقد زال ذلك بالموت^(١).

• قال الشافعي رضي الله عنه: إذا مات المحرم غسل بماء وسدر، وكفن في ثيابه التي أحرم فيها أو غيرها، ليس فيها قميص ولا عمامة، ولا يعقد عليه ثوب، كما لا يعقد الحي المحرم، ولا يمس بطيب، ويخمر وجهه ولا يخمر رأسه، ويصلي عليه ويدفن. وقال بعض الناس: إذا مات كفن كما يكفن غير المحرم، وليس بميت إحرام^(٢). وهناك من أكد على هذا القول؛ قال أبوحنيفة: إذا مات الرجل والمرأة وهما محرمان فقد ذهب عنهما احرامهما فيصنع بهما كما يصنع بالميت الذي ليس بمحرم من الكفن وتغطية الرأس والوجه^(٣).

• قال الشافعي والأصحاب رحمهم الله: إذا مات المحرم والمحرمة حرم تطيبه، وأخذ شيء من شعره أو ظفره وحرم ستر رأس الرجل والباسه مخيطاً، وعقد أكفانه، وحرم ستر وجه المحرمة، وكل هذا لا خلاف فيه، ويجوز إلباس المرأة القميص والمخيط، كما في الحياة، ولو قال

^(١) أبو إسحاق الشيرازي: المهذب في فقه الإمام الشافعي، ص ٢٤٥.

^(٢) محمد بن إدريس الشافعي: الأم، ص ٦٠٤.

^(٣) أبو عبدالله محمد بن الحسن الشيباني: كتاب الحجة على أهل المدينة حنفي، رتب أصوله وصححه وعلق عليه/مهدي حسن الكيلاني، عالم الكتب - بيروت، د.ت، ص ٣٥١.

المصّف: يجب تجنيبه ما يجب عليه اجتنابه في حياته لكان أحسن، بل هو الصّواب الذي لا بدّ منه^(١).

كفن الشهيد

ومثلما وردت بعض الأحاديث والأقوال في كفن المحرم من مختلف المذاهب الفقهية، وردت أيضاً في كفن الشهيد منها على سبيل الذكر لا الحصر:

- ويكفن في ثيابه التي هي عليه لقول رسول الله صلى الله عليه وسلم - زملوهم بدمائهم وكلومهم. وروي أن زيد بن صوحان لما استشهد يوم الجمل قال: لا تغسلوا عني دماً ولا تنزعوا عني ثوباً فإنني رجل محجاج أحاج يوم القيامة من قتلني. ولما استشهد عمار بن ياسر بصفين قال: لا تغسلوا عني دماً ولا تنزعوا عني ثوباً فإنني ألتقي ومعاوية بالجادة. وهكذا نقل عن حجر بن عدي غير أنه ينزع السلاح والجلد والفرو والحشو والخف والقلنسوة، لأنه إنما لبس هذه الأشياء لدفع بأس العدو وقد استغنى عن ذلك، ولأن هذه عادة أهل الجاهلية، لأنهم كانوا يدفنون أبطالهم بما عليهم من الأسلحة وقد نهينا عن التشبه بهم^(٢).

- ويختص الشهيد بمواراته في الثياب التي مات فيها من غير زيادة عليها ولا نقص منها، وهذا إذا كانت ساترة له جميع جسده، جارية على اللباس المعتاد. وإن قصرت عن ستر الجسد زيد فيها ما يستتره، وهذا لما ثبت من أن مصعب بن عمير استشهد يوم أحد وليس له إلا بردة إن غطي بها رأسه بدت رجلاه، فأمر رسول الله صلى الله عليه

^(١) أبو زكريا يحيى بن شرف النووي: المجموع شرح المذهب، ص ١١١٣.

^(٢) شمس الدين السرخسي: المبسوط، الجزء الثاني، دار المعرفة (بيروت-لبنان)، د.ت، ص

وسلم- أن يغطى رأسه ويجعل على ما عدا ذلك الإذخر (بكسر الهمزة نبات طيب الرائحة تسقف بها البيوت فوق الخشب). واختلف هل يزال عنه الدرع والخفاف والقلنسوة والمنطقة (الحزام)؟ في المذهب قولان: أحدهما: إزالتها، والثاني: تركها. وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم- "زملوهم بثيابهم" فهذا لم يختلف في اللباس المعتاد. والدرع؛ وإن سمي ثوباً لغة فلا يسمى عرفاً. وبين الأصوليين خلاف في تخصيص الألفاظ وتنزيلها على العرف. ومن يقول لا ينتزع عنه شيء يفهم من اللفظ دفنهم على هيئتهم من غير نقص لزيهم، حتى يجيء يوم الحشر على الحالة التي استشهد عليها، وهذا مفهوم من الحديث قطعاً. ومن عول على اللفظ قال لا يدفن إلا في الثياب خاصة⁽¹⁾.

• قال الشافعي رضي الله عنه: وإذا قتل المشركون المسلمون في المعترك، لم يغسل القتلى، ولم يصل عليهم، ودفنوا بكلومهم ودمائهم وكفنهم أهلومهم فيما شاءوا، كما يكفن غيرهم إن شاءوا في ثيابهم التي تشبه الأكفان، وتلك القمص والأزر والأردية والعمائم لا غيرها. وإن شاءوا سلبوه وكفنوهم في غيرها، كما ينح بالموتى من غيرهم، وتنتزع عنهم ثيابهم التي ماتوا فيها. ألا ترى أن بعض شهداء أحد كفن في نمرّة، وقد كان لا يشك -إن شاء الله تعالى- عليهم السلاح والثياب. وقال بعض الناس: يكفنون في الثياب التي قتلوا فيها، إلا فراء، أو حشواً، أو لباً.

⁽¹⁾ أبو الطاهر إبراهيم بن بشير: التنبيه على مبادئ التوجيه، ص ٦٨٣.

قال: ولم يبلغنا أن أحداً كفن في جلد، ولا فرو، ولا حشو. وإن كان الحشو ثوباً كله، فلو كفن به لم أر به بأساً؛ لأنه من لبوس عامة الناس. فأما الجلد فليس يعلم من لباس الناس^(١).

وهناك حديث يدل على أنه يجوز تكفين الشهيد في ثوب آخر غير الذي قتل فيه:

عَنْ شَدَّادِ بْنِ الْهَادِ أَنَّ رَجُلًا مِنَ الْأَعْرَابِ جَاءَ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ فَأَمَّنَ بِهِ وَاتَّبَعَهُ ثُمَّ قَالَ أَهَاجِرُ مَعَكَ فَأَوْصَى بِهِ النَّبِيُّ ﷺ بَعْضَ أَصْحَابِهِ فَلَمَّا كَانَتْ غَزْوَةٌ غَنِمَ النَّبِيُّ ﷺ سَيِّئًا فَقَسَمَ وَقَسَمَ لَهُ فَأَعْطَى أَصْحَابَهُ مَا قَسَمَ لَهُ وَكَانَ يَرْعَى ظَهْرَهُمْ فَلَمَّا جَاءَ دَفَعُوهُ إِلَيْهِ فَقَالَ مَا هَذَا قَالُوا قَسَمَ قَسَمَهُ لَكَ النَّبِيُّ ﷺ فَأَخَذَهُ فَجَاءَ بِهِ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ فَقَالَ مَا هَذَا قَالَ قَسَمْتُهُ لَكَ (٦١/٤) قَالَ مَا عَلَى هَذَا اتَّبَعْتُكَ وَلَكِنِّي اتَّبَعْتُكَ عَلَى أَنْ أُرْمَى إِلَى هَاهُنَا وَأَشَارَ إِلَى حَلْفِهِ بِسَهْمٍ فَأَمُوتَ فَادْخُلِ الْجَنَّةَ فَقَالَ إِنْ تَصَدَّقَ اللَّهُ بِصَدَقَتِكَ فَلْيُثْبِتُوا قَلِيلًا ثُمَّ نَهَضُوا فِي قِتَالِ الْعَدُوِّ فَأَتَى بِهِ النَّبِيُّ ﷺ يُحْمَلُ قَدْ أَصَابَهُ سَهْمٌ حَيْثُ أَشَارَ فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ أَمْرٌ هُوَ قَالُوا نَعَمْ قَالَ صَدَقَ اللَّهُ فَصَدَّقَهُ ثُمَّ كَفَّنَهُ النَّبِيُّ ﷺ فِي جَبَّةِ النَّبِيِّ ﷺ ثُمَّ قَدَّمَهُ فَصَلَّى عَلَيْهِ فَكَانَ فِيمَا ظَهَرَ مِنْ صَلَاتِهِ اللَّهُمَّ هَذَا عَبْدُكَ خَرَجَ مُهَاجِرًا فِي سَبِيلِكَ فُقْتِلَ شَهِيدًا أَنَا شَهِيدٌ عَلَى ذَلِكَ.

(٢)

صفة كفن الرجل

وعن كفن الرجل قال الشيرازي في المهذب والنووي في المجموع شرح المهذب: والمستحب أن يكفن الرجل في ثلاثة أثواب. إزار ولفافتين لما روت عائشة رضي الله عنها قالت: كفن رسول الله صلى الله عليه وسلم - في ثلاثة أثواب بيض سحولية ليس فيها قميص ولا عمامة، فإن كفن في خمسة

^(١) محمد بن إدريس الشافعي: الأم، ص ٥٩٦.

^(٢) سنن النسائي: ٢١-كتاب الجنائز، ٦١-الصلاة على الشهداء، (٦٠/٤)، حديث

(١٩٥٣)، ص ٢٢١.

أثواب لم يكره، لأن ابن عمر رضي الله عنه كان يكفن أهله في خمسة أثواب فيها قميص وعمامة، ولأن أكمل ثياب الحي خمسة: قميصان وسراويل وعمامة ورداء، وتكره الزيادة علي ذلك؛ لأنه سرف. وإن قال بعض الورثة يكفن بثوب، وقال بعضهم يكفن بثلاثة ففيه وجهان: أحدهما يكفن بثوب؛ لأنه يعمم ويستتر. والثاني يكفن بثلاثة أثواب؛ لأنه هو الكفن المعروف المسنون، والأفضل أن لا يكون فيه قميص ولا عمامة لحديث عائشة رضي الله عنها، فإن جعل فيها قميص وعمامة جعل ذلك تحت الثياب لأن إظهاره زينة وليس الحال حال زينة^(١).

ومن أقوال الشافعية أيضًا: إن كان الميت رجلاً ندب له ثلاث لفائف بيض مغسولة، كل واحدة تستر كل البدن، لا قميص فيها ولا عمامة، فإن زاد عليها قميصًا وعمامة جاز^(٢).

ثم تأتي بعد ذلك بعض أقوال المالكية في كفن الرجل، منها:

- ويستحب أن يكفن الميت في وتر ثلاثة أثواب أو خمسة أو سبعة، وما جعل له من أزرة^(٣) وقميص وعمامة فذلك محسوب في عدد الثواب

^(١) أبو إسحاق الشيرازي: المهذب في فقه الإمام الشافعي، ص ٢٤٢. وانظر أيضًا:

- أبو زكريا يحيى بن شرف النووي: المجموع شرح المهذب، ص ١١٠٦.

^(٢) شهاب الدين أبي العباس المصري: عمدة السالك وعدة الناسك، عُني بطبعه ومراجعته/عبدالله بن إبراهيم الأنصاري، طُبع على نفقة الشؤون الدينية بدولة قطر، الطبعة الأولى، ١٩٨٢م، ص ٩١، ٩٠.

^(٣) الأزرة: ما يؤتزر به، وهي عبارة عن سروال يستتر الميت من فوق سرته إلى نصف ساقه، ويلبس تحت القميص. انظر: الطاهر عامر: التسهيل لمعاني مختصر خليل، ص ٢٩٥.

الوتر، وقد كفن النبي -صلى الله عليه وسلم- في ثلاثة أثواب بيض
سحولية أدرج فيه إدراجاً^(١).

- ويكفن الرجل في ثلاث أثواب، فإن لم يكن معها قميص فحسن،
وكذلك إن لم يكن معها عمامة، وإن قمص وعمم فلا بأس^(٢).

وتتشابه الأقوال نصاً في كتب الحنفية حول كفن الرجل منها:

- والسنة أن يكفن الرجل في ثلاثة أثواب: إزار، وقميص، ولفافة. فإن
اقتصروا على ثوبين جاز^(٣).
- وكفن الرجل سنة: قميص، وإزار ولفافة، مما كان يلبسه في حياته،
وكفاية: إزار ولفافة^(٤).

^(١) أبو محمد عبدالله القيرواني: الرسالة في فقه الإمام مالك، ضبطه وصححه
الشيخ/عبدالوارث محمد علي، دار الكتب العلمية (بيروت-لبنان)، د.ت، ص ٤٠.

^(٢) أبو عمر يوسف القرطبي: الكافي في فقه أهل المدينة المالكي، دار الكتب العلمية
(بيروت-لبنان)، الطبعة الثانية، ١٩٩٢م، ص ٨٣.

^(٣) أبو الحسين أحمد بن محمد البغدادي: مختصر القدوري، دراسة وتحقيق د/عبدالله نذير
أحمد مزني، مؤسسة الريان للطباعة والنشر والتوزيع (بيروت-لبنان)، الطبعة الأولى،
٢٠٠٥م، د.ت، ص ١١٠. وانظر أيضاً:

- عبدالغني الغنيمي الحنفي: اللباب في شرح الكتاب، الجزء الأول، المكتبة العلمية
(بيروت-لبنان)، د.ت، ص ١٢٧، ١٢٨.

^(٤) محي الدين عبد الحميد: سبيل الفلاح في شرح نور الإيضاح للشرنبلالي ومعه هبة الفتاح
بتكملة نور الإيضاح، قدم له ووضع فهرسه/محمد محمد بدوي وهبة، دار البيروتي للطباعة
والنشر - دمشق، د.ت، ص ١٧٩. وانظر أيضاً:

• وهناك من أورد قول الشافعي في الأم عندما قال: أحب الكفن إلي ثلاثة أثواب: لفائف بيض، ليس فيها قميص ولا عمامة، فإن ذلك الذي اختاره الله لنبيه صلى الله عليه وسلم، واختاره له أصحابه - رضي الله عنهم^(١).

• ويسن في الكفن له إزار وقميص ولفافة، وتكره العمامة، ولا بأس بالزيادة على ثلاثة، ويحسن الكفن لحديث "حسنوا أكفان الموتى فإنهم يتزاورون فيما بينهم، يتفاخرون بحسن أكفانهم"^(٢).

وأخيراً، هناك من الحنابلة من قال: ولتكن ثلاثة الرجل لفائف، فإن تعذر فقميص ومئزر ولفافة^(٣).

- أبو البركات عبدالله النسفي: كنز الدقائق في الفقه الحنفي، كتب الدراسة وحققه وعلق عليه د/سائد بكداش، دار البشائر الإسلامية (بيروت-لبنان) ودار السراج المدينة المنورة، الطبعة الأولى، ٢٠١١م، ص ١٩٦.

^(١) صدر الدين الحنفي: التنبيه على مشكلات الهداية، تحقيق ودراسة/عبدالحكيم بن محمد شاکر، المجلد الأول، مكتبة الرشد- الرياض، الطبعة الأولى، ٢٠٠٣م، ص ٧٨٧.

^(٢) محمد بن علي الحنفي الحصكفي: الدر المختار شرح تنوير الأبصار وجامع البحار، حققه وضبطه/عبدالمنعم خليل إبراهيم، دار الكتب العلمية (بيروت-لبنان)، الطبعة الأولى، ٢٠٠٢م، ص ١١٨. وانظر أيضاً:

- محمد امين الشهير بابن عابدين(محقق): رد المحتار على الدر المختار شرح تنوير الأبصار، الجزء الثالث، دار عالم الكتب-الرياض، طبعة خاصة، ٢٠٠٣م، ص ٩٦، ٩٥.

^(٣) فخر الدين أبي عبدالله محمد بن تيمية: بلغة الساغب وبغية الراغب، تحقيق/بكر بن عبدالله أبوزيد، من إصدارات وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد- السعودية، د.ت، ص ١٠١.

صفة كفن المرأة

يعتبر كفن المرأة مثل كفن الرجل، والمستحب عند جمهور أهل العلم أن يتكون هذا الكفن من خمسة أثواب كما سيتضح بعد ذلك عند ذكر آرائهم، وقد ورد في ذلك حديث عند أبي داود لكن بإسناد ضعيف:

عن ليلي بنتِ قانِبِ الثَّقَفِيَّةِ، قالت: كنت فيمن غَسَلَتْ أُمَّ كَلثُومِ بنتِ رسولِ اللهِ ﷺ عند وفاتها، فكان أول ما أعطانا رسولُ اللهِ ﷺ الحِجْيَ، ثم الدرْعَ، ثم الخمارَ، ثم المِلْحَفَةَ، ثم أُذْرِجَتْ بعدُ في الثوبِ الآخرِ، قالت: ورسولُ اللهِ ﷺ جالسٌ عند البابِ معه كفنُها يناولُناه ثوباً ثوباً .^(١)

وحول كفن المرأة فقد قال ابن قدامه في مسألة: (والمرأة تكفن في خمسة أثواب: قميص، ومئزر، ولفافة، ومقنعة، وخامسة تشد بها فخذها)، قال ابن المنذر: أكثر من نحفظ عنه من أهل العلم يرى أن تكفن المرأة في خمسة أثواب، وإنما استحب ذلك لأن المرأة تزيد في حال حياتها على الرجل في الستر لزيادة عورتها على عورته، وكذلك بعد الموت، ولما كانت تلبس المَخِيطَ في إحرامها، وهو أكمل أحوال الحياة، استحب إلياسها إياه بعد موتها، والرجل بخلاف ذلك، فافترقا في اللبس بعد الموت، لافتراقهما فيه في الحياة، واستويا في الغسل بعد الموت لاستوائهما فيه في الحياة. ثم ذكر بعد ذلك الحديث السابق^(٢).

ومن أقوال الحنابلة أيضاً: ولتكن خمسة المرأة إزاراً وقميصاً وخماراً ولفافتين^(٣).

^(١) سنن أبي داود: ١٥-كتاب الجنائز، ٣٦-باب في كفن المرأة، حديث ٣١٥٧، ص ٧٠.

^(٢) موفق الدين أبي محمد عبد الله بن قدامة: المغني، ص ٣٩١.

^(٣) فخر الدين أبي عبد الله محمد بن تيمية: بلغة الساعب وبغية الراغب، ص ١٠١.

وانظر أيضاً:

ثم تأتي بعد ذلك بعض أقوال الشافعية في كفن المرأة منها: وأما المرأة فإنها تكفن بخمسة أثواب: إزار وخمار وثلاثة أثواب. وهل يكون أحد الثلاثة درعاً؟ فيه قولان: أحدهما أن أحدها درع لما روي أن النبي صلى الله عليه وسلم - ناول أم عطية في كفن ابنته أم كلثوم إزار ودرعاً وخماراً وثوبين ملاء (جمع ملاءة، قال أرباب اللغة: كل ثوب لم يكن لفقين فهو ملاءة)، والثاني أنه لا يكون فيه درع لأن القميص إنما تحتاج إليه المرأة لتستتر به في تصرفها والميت لا يتصرف. فإن قلنا لا درع فيها أزرّت بإزار وتخرم بخمار وتدرج في ثلاثة أثواب، فإذا قلنا يكون فيها درع أزرّت بإزار وتلبس الدرع وتخرم بخمار وتدرج في ثوبين. قال الشافعي رحمه الله: ويشد علي صدرها ثوب ليضم ثيابها فلا تنتشر، وهل يحل عنها الثوب عند الدفن أم لا؟ فيه وجهان: قال أبو العباس: يدفن معها وعليه يدل كلام الشافعي فإنه ذكر أنه يشد ولم يذكر أنه يحل، وقال أبو إسحاق: ينحى عنها في القبر وهو الأصح لأنه ليس من جملة الكفن^(١).

وتتشابه الأقوال نصاً في كتب الحنفية حول كفن المرأة منها:

- وتكفن المرأة في خمسة أثواب: إزار، وقميص، وخمار، وخرقة يربط بها ثديها، ولفافة، فإن اقتصروا على ثلاثة أثواب جاز، ويكون الخمار فوق القميص تحت اللفافة، ويجعل شعرها على صدرها^(٢).

- إبراهيم بن محمد بن سالم بن ضويان: كتاب منار السبيل في شرح الدليل على مذهب الإمام المبجل أحمد بن حنبل، الجزء الأول، منشورات مؤسسة دار السلام - دمشق، الطبعة الأولى، ١٣٧٨هـ، ص ١٧٠.

^(١) أبو إسحاق الشيرازي: المهذب في فقه الإمام الشافعي، ص ٢٤٤.

^(٢) أبو الحسين أحمد بن محمد البغدادي: مختصر القدوري، ص ١١٠. وانظر أيضاً:

- عبدالغني الغنيمي الحنفي: اللباب في شرح الكتاب، ص ١٢٨.

• وتزاد المرأة في السنة خمراً لوجهها، وخرقة لربط ثدييها. وفي الكفاية: خمراً. ويجعل شعرها ضفيرتين على صدرها، فوق القميص، ثم الخمار فوقه تحت اللقافة، ثم الخرقه فوقها^(١).

وأخيراً من أقوال المالكية من قال: (وكفن كل الأنثى واجب) يعني أن الأنثى يجب أن تكفن جميعاً بحيث لم يبق منها؛ أي شيء وتكف في الوتر من ثلاثة إلى سبعة^(٢).

وفي نهاية الحديث عن كفن الرجل والمرأة، يمكن القول: إن جميع أقوال المذاهب الأربعة قد تشابهت في وصف الكفن، وإن كان الغرض منها جميعاً هو ستر الميت بعد موته وعند الذهاب إلى مسواه الأخير وهو القبر، مثلما كان يعيش مستوراً في الدنيا.

كيفية التكفين

ويستحب قبل تكفين الميت أن يجعل الطيب في مفاصل الميت ومغابنه، وما ينتهي من الإنسان، كطي الركبتين وتحت الإبطين وأصول الفخذين، لأن أحمد روى في مسائل صالح: "أن ابن عمر كان يتتبع مغابن الميت ومرافقه بالمسك، وفي مواضع سجوده تكريماً لها، ويفعل به كما يفعل بالعروس"^(٣).

^(١) محي الدين عبد الحميد: سبيل الفلاح في شرح نور الإيضاح للشرنبلالي ومعه هبة الفتاح بتكملة نور الإيضاح، ص ١٧٩، ١٨٠. وانظر أيضاً:

- أبو البركات عبدالله النسفي: كنز الدقائق في الفقه الحنفي، ص ١٩٧.

^(٢) محمد باي بلعالم: إقامة الحجة بالدليل شرح على نظم ابن بادي لمختصر خليل، الجزء الأول، دار ابن حزم للطباعة والنشر والتوزيع (بيروت-لبنان)، الطبعة الأولى، ٢٠٠٧م، ص ٤٥٩.

^(٣) شمس الدين أبو عبدالله الزركشي: شرح الزركشي على متن الخرقى، دراسة وتحقيق/عبد الملك بن عبدالله بن دهب، المجلد الأول، توزيع مكتبة الأسدى - مكة المكرمة، الطبعة الثالثة، ٢٠٠٩م، ص ٥٢٨. وانظر أيضاً:

- عثمان أحمد النجدي الحنبلي: هداية الراغب لشرح عمدة الطالب، ص ٣٢٥.

وقد وردت أقوال أهل العلم في كيفية التكفين، منها:

- والسنة في الرجل أن يجعل اللفافة بسيطاً أولاً، وهي ما يستر من الفرق إلى القدم، ثم تبسط الإزار، ثم يقمص الميت، ثم يوضع على الإزار. ويعطف الإزار من قبل اليسار، ثم من قبل اليمين، ثم تعطف اللفافة كذلك، هذا في حق الرجال، وأما المرأة فتلبس الدرع أولاً، وتجعل شعرها ضفيرتين، ويسترسل على صدرها فوق الدرع، ثم يجعل الخمار فوق ذلك، ثم يعطف الإزار من قبل اليسار، ثم من قبل اليمين، ثم تعطف اللفافة، ثم الخرقه تربط فوق ذلك على بطنها وتديبها^(١).
- وكيفية التكفين: أن يكفن الرجل في ثلاثة أثواب: قميص وازار ولفافة، يبسط اللفافة ثم الإزار فوقها، ثم يقمص ويوضع على الأرض،

-
- بهرام بن عبدالله الدميري: الشامل في فقه الإمام مالك، ضبطه وصححه د/أحمد بن عبدالكريم نجيب، الجزء الأول، الناشر مركز نجيبويه للطباعة والنشر والدراسات- القاهرة، الطبعة الأولى، ٢٠٠٨م، ص ١٥٧.
 - خليل بن إسحاق الجندي المالكي: التوضيح شرح مختصر ابن الحاجب، حققه وضبطه ووثق نصوصه وخرج أحاديثه وعلق عليه/أبو الفضل الدمياطي وأحمد بن علي، المجلد الأول، دار بن حزم (بيروت-لبنان)، الطبعة الأولى، ٢٠١٢م، ص ٦٢٩.
 - أبو بكر الرازي الجصاص: شرح مختصر الطحاوي في الفقه الحنفي، تحقيق د/عصمت الله عنايت الله محمد، المجلد الثاني، دار البشائر الإسلامية (بيروت-لبنان) ودار السراج المدينة المنورة، الطبعة الأولى، ٢٠١٠م، ص ١٩١.
 - الحافظ أبي الحسن بن القطان: الإقناع في مسائل الإجماع، تحقيق/حسن بن فوزي الصعيدي، المجلد الأول، الناشر الفاروق الحديثة للطباعة والنشر- القاهرة، الطبعة الأولى، ٢٠٠٤م، ص ١٨٤.

^(١) أبو عبدالله محمد بن الحسن الشيباني: الجامع الصغير مع شرحه النافع الكبير، إدارة القرآن للطباعة والنشر والتوزيع (كراتشي-باكستان)، ١٩٩٠م، ص ١١٦.

والقميص من المنكب إلى القدم والإزار واللفافة، وقال الشافعي: كلها لفائف ولا قميص فيها. هذا الكفن السنة، وكفن الكفاية: أن يقتصر على الإزار واللفافة، وكفن الضرورة ما يوجد. وأما كفن السنة في حق المرأة: فهو خمسة أثواب: إزار ولفافة ودرع وخمار وخرقة تربط بها ثديها فوق الأكفان عند الصدر تحت اللفافة، وكفن الكفاية: ثوبان وخمار^(١).

• وأما كيفية التكفين: فينبغي أن تجمر الأكفان أولاً وترأ، أي: مرة أو ثلاثاً أو خمساً، ولا يزيد عليه؛ لما روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم - أنه قال: "إذا أجمرت الميت فأجمروه وترأ"^(٢)، ولأن الثوب الجديد أو الغسيل مما يطيب ويجمر في حالة الحياة؛ فكذا بعد الممات، والوتر مندوب إليه في ذلك؛ لقوله صلى الله عليه وسلم: "إن الله تعالى وتر يحب الوتر"، ثم تبسط اللفافة وهي الرداء طويلاً، ثم يبسط الإزار عليها طويلاً، ثم يلبسه القميص إن كان له قميص، وإن لم يكن له لم يضره، لأن اللبس بعد الوفاة معتبر بحال الحياة إلا أن في حياته كان يلبس السراويل حتى لا تتكشف عورته عند المشي؛ ولا حاجة إلى ذلك بعد موته؛ فأقيم الإزار مقام السراويل، إلا أن الإزار في حال حياته تحت القميص، وبعد الموت فوق القميص من المنكب إلى

^(١) أبو محمد الحنفي: منحة السلوك في شرح تحفة الملوك، تحقيق وتعليق د/أحمد عبدالرازق عبدالله الكبيسي، إصدارات وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية-قطر، الطبعة الأولى، ٢٠٠٧م، ص ٢١١، ٢١٠.

^(٢) المستدرک علی الصحیحین: ١٣-كتاب الجنائز(١/٣٥٥)، حديث(٤٦/١٣١٠)، ص ٥٠٦. وانظر أيضاً:

- السنن الكبير: ٩-كتاب الجنائز(٣/٤٠٥)، باب الحنوط للميت، حديث ٦٧٨٤، ص ٢٥٤.

القدم؛ لأن الإزار تحت القميص حال الحياة؛ ليتيسر عليه المشي، وبعد الموت لا يحتاج إلى المشي. ثم يوضع الحنوط في رأسه ولحيته لما روي أن آدم صلوات الله وسلامه عليه - لما توفي^(١) غسلته الملائكة وحنطوه، ويوضع الكافور على مساجده؛ يعني: جبهته وأنفه وبيديه وركبتيه وقدميه؛ لما روي عن ابن مسعود رضي الله عنه - أنه قال: وتتبع مساجده بالطيب، يعني: بالكافور، ولأن تعظيم الميت واجب؛ ومن تعظيمه أن يطيب؛ لثلاث تجيء منه رائحة منتنة، وليصان عن سرعة الفساد؛ وأولى المواضع بالتعظيم مواضع السجود، وكذا الرأس واللحية هما من أشرف الأعضاء. وعن زفر أنه قال: يذر الكافور على عينيه وأنفه وفمه؛ لأن المقصود أن يتباعد الدود من الموضع الذي يذر عليه الكافور؛ فخص هذه المحال من بدنه لهذا، وغن لم يجد ذلك لم يضره.

ولا بأس بسائر الطيب غير الزعفران والورس في حق الرجل؛ لما روي عن النبي صلى الله عليه وسلم: "أنه نهى الرجال عن المزعفر"^(٢)، ولم يذكر

^(١) علاء الدين أبي بكر بن مسعود الكاساني الحنفي: بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع، ص ٣٢٧.

^(٢)

أخرجه مسلم (٣٤٩/١) كتاب الصلاة: باب النهي عن قراءة القرآن في الركوع، الحديث (٢١٢)، والطيالسي (١٧/١)، (١٠٣)، وأحمد (٨١/١)، وأبو داود (٣٢٢/٤): كتاب اللباس باب من كره لبس الحرير، الحديث (٤٠٤٤)، والترمذي (٥٠-٤٩/٢) والنسائي (١٨٩-١٨٨/٢): كتاب الافتتاح: باب النهي عن القراءة في الركوع، والطحاوي في «شرح معاني الآثار» (٢٣٤-٢٣٣/١) كتاب الصلاة: باب ما يقال في الركوع والسجود، والبيهقي (٨٧/٢): كتاب الصلاة: باب النهي عن قراءة القرآن في الركوع والسجود. وأخرجه أيضاً مالك في «الموطأ» (٨٠/١) كتاب الصلاة: باب العمل في القراءة حديث (٢٨) كلهم من طريق إبراهيم بن عبد الله بن حنين عن أبيه عن علي بن أبي طالب أن رسول الله ﷺ نهى عن لبس القسي وعن تختم الذهب وعن قراءة القرآن في الركوع.

لفظ الإمام مالك:

وقد أخرجه من هذا الوجه أيضاً أبو يعلى (٢٣٨/١) رقم (٢٧٦).

وأخرجه (٣٣٠/١) رقم (٤١٣) من طريق أبوب نافع عن إبراهيم بن حنين عن علي وسنده ضعيف لانقطاعه بين إبراهيم وعلي.

في الأصل أنه هل تحتشي محارقه، وقالوا: إن خشي خروج شيء يلوث الأكفان فلا بأس بذلك في أنفه وفمه، وقد جوز الشافعي في دبره أيضاً، واستقبح ذلك مشايخنا، وإن لم يخش جاز الترك؛ لانعدام الحاجة إليه، ثم يعطف الإزار عليه من قبل شقه الأيسر، وإن كان الإزار طويلاً حتى يعطف على رأسه وسائر جسده فهو أولى، ثم يعطف من قبل شقه الأيمن كذلك؛ فيكون الأيمن فوق الأيسر، ثم تعطف اللفافة وهي الرداء كذلك؛ لأن المنتقب في حال الحياة هكذا يفعل إذا تحزم بدأ بعطف شقه الأيسر على الأيمن، ثم يعطف الأيمن على الأيسر؛ فكذا يفعل به بعد الممات. فإن خيف أن تنتشر أكفانه تعقد، ولكن إذا وضع في قبره تحل العقد، لزوال ما لأجله عقد، والله أعلم^(١).

وأما المرأة: فييسط لها اللفافة والإزار واللفافة فوق الخمار، والخرقة يربط فوق الأكفان، عند الصدر فوق الثديين والبطن؛ كي لا ينتشر الكفن باضطراب ثديها عند الحمل على السرير، وعرض الخرقة ما بين الثدي والسرة، هكذا ذكر محمد في غير رواية الأصول، ويسدل شعرها ما بين ثديها من الجانبين جميعاً تحت الخمار، ولا يسدل شعرها خلف ظهرها.

وعند الشافعي: يسدل خلف ظهرها، واحتج بحديث أم عطية أنها قالت: لما توفيت رقية بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم - ضفرنا شعرها ثلاثة فروق في ناصيتها وقرنيها، وألقيناها خلفها؛ فدل أن السنة هكذا.

^(١) علاء الدين أبي بكر بن مسعود الكاساني الحنفي: بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع،

ولنا: أن إلقاءها إلى ظهرها من باب الزينة؛ وهذه ليست بحال زينة، ولا حجة في حديث أم عطية؛ لأن ذلك كان فعل أم عطية، وليس في الحديث أن النبي صلى الله عليه وسلم - علم ذلك^(١).

أوجه الشبه والاختلاف بين الغسل والكفن في اليهودية والإسلام:

اتفقت اليهودية والإسلام في عملية غسل الميت، على أن يغمر جميع جسده بالماء من خلال مراحل سنن الغسل المختلفة. واختلفوا في هذه الأمور:

(أ) من يغسل الميت

ذكرت اليهودية: أن عملية تغسيل الميت اليهودي لا بد أن تكون بواسطة أعضاء الحفرا قاديشا، كما يجب أن يكونوا من اليهود التقاه، وقد شدد الحكماء أن غُسل وطهارة الميت لا بد أن يكون علي أيديهم، ولا يلمس الوثني الميت أثناء الغسل ولا بعد الغسل ولا أثناء حمل الميت. وإذا رفض أبناء الميت تسليمه لأعضاء الحفرا قاديشا لكي يغسلوه وقاموا هم بتغسيه لا يمكن منعهم من دفنه في مقابر اليهود لأن الغسل يعد تكريمًا للميت.

أما في الإسلام فقد ورد: أن أولى الناس بتغسيل الميت من أوصى بهم قبل موته، لأن أبا بكر الصديق رضي الله عنه - أوصى أن تغسله امرأته أسماء بنت عميس فغسلته وكذلك أوصى أنس أن يغسله محمد بن سيرين ففعل، وإن لم يكن له وصي فأولاهم بغسل الرجل أبوه، ثم جده، ثم ابنه وإن نزل، ثم الأقرب فالأقرب من عصباته، ثم الرجال من ذوي الأرحام، ثم الأجانب. وأولاهم بغسل المرأة أمها ثم جدتها ثم ابنتها ثم الأقرب فالأقرب، ثم الأجنبيات.

^(١) السابق: ص ٣٢٩

إذا توفر فيهم الدراية والخبرة بأمور الغسل كما لا بد أن يتوفر فيهم شرط الصلاح والتقوى فإذا رأى أحد منهم شيء كرهه من الميت لا يتحدث به.

(ب) في عملية غسل وتكفين الزوج لزوجته وكذلك العكس:

وقد ذكرت اليهودية أيضًا: أنه يسمح للزوجة تغسيل زوجها وتكفينه، ولكن لا يسمح للزوج بذلك. حيث يوجد في الحفرا قاديشا نساء يقمن بتغسيل النساء وتكفينهن ويفعلن للنساء كل ما يفعله الرجال للميت الذكر.

أما في الإسلام فقد ورد: في غسل الزوجة لزوجها أن أبا موسى الأشعري قد غسلته زوجته، وقالت عائشة رضي الله عنها: " لو استقبلنا من أمرنا ما استدبرنا ما غسل رسول الله صلى الله عليه وسلم - إلا أزواجه"، ولم ينكر عليها أحد ذلك، ولأن الغسل لما كان فيه اطلاع على العورة والبدن والمغاييب لم يكن بذلك أحد أولى من الزوجة. وقد ذهب الثوري وأبو حنيفة إلى أن الرجل لا يغسل زوجته لأنه لو شاء تزوج أختها حين ماتت.

وقد اتفقا أيضًا في الأمور التالية:

(أ) عدم غسل وتكفين الشهيد:

فقد ذكرت اليهودية كذلك: أن هناك بعض الحالات التي لا تستوجب الغسل والتكفين بل تدفن بهيئتها التي وجدت عليها، من هذه الحالات اليهودي الذي يقتل في الحرب ويخرج منه دم يدفن بملابسه دون أن يغسل أو يكفن. والسبب في ذلك هو إثارة الحمية للأخذ بالثأر من القاتل.

أما في الإسلام فقد ورد: أن الشهيد لا يغسل ولا يكفن، بل يكفن في ثيابه التي هي عليه لقول رسول الله صلى الله عليه وسلم - زملوهم بدمائهم

وكلومهم. والحكمة من أن الشهيد لا يغسل ولا يكفن هو إبقاء أثر الشهادة عليه، والتعظيم من قدره وشأنه لنيله الشهادة في سبيل الله والتي هي مطلب كل إنسان يؤمن بالله واليوم الآخر، وعظم منزلة الشهيد التي لا تجعله في حاجة لدعاء أحد أو ترحمه عليه.

(ب) قص شعر الميت وتقليم أظافره:

ذكرت اليهودية: أن هناك بعض الأمور التي يجب أن تراعى عند غسل الميت منها، أن ينظف جيداً بين أصابع يديه وقدميه. وأن يتم قص شعر رأسه، وتقليم أظافر يديه وقدميه.

أما في الإسلام فقد ورد: أنه يستحب تقليم أظافر الميت، وقص شاربه؛ لأن ذلك سنة في حياته، ويترك ذلك معه في أكفانه، لأنه من أجزائه وكل ما سقط من الميت جعل معه في أكفانه ليجمع بين أجزائه.

(ج) كون التكفين منهج قديم في الديانتين:

ذكرت اليهودية: أن اعتبار تكفين الميت بثيابه ودفنه بها، هو منهج قديم اعتاده اليهود، وقد ورد ذلك في العهد القديم: قَالَهُ لَ: «مَا هِيَ صُورَتُهُ؟» فَقَالَتْ: «رَجُلٌ شَيْخٌ صَاعِدُوهُ وَمُظَيٌّ بِجُبَّةٍ».

أما في الإسلام فقد ورد: أن الملائكة لما غسلت آدم -صلوات الله عليه- كفنوه ودفنوه، ثم قالت لولده: هذه سنة موتاكم.

(د) لون الكفن ونوعه:

ذكرت اليهودية: أن الكفن يصنع من قماش أبيض هو الكتان، كذلك يخاط أيضاً بخيوط من الكتان. وقد تحدث الصوفية اليهود عن سبب اختيار الكتان

الأبيض؛ لأنه كان اللباس المقدس عند الكهنة اليهود أثناء خدمتهم للرب في المعبد وكذلك لسدنة الكاهن الأكبر في يوم الغفران.

أما في الإسلام فقد ورد: أن أفضل الألوان في الكفن الأبيض وأفضل الأنواع القطن والكتان.

الفصل الثاني: أحكام الجنازة والدفن في اليهودية والإسلام

المبحث الأول: أحكام الجنازة والدفن في اليهودية

أولاً: ديني הלוייה.... أحكام الجنازة

وقبل الحديث عن جنازة الميت وتشيعه يقدم الباحث نبذة مختصرة عن عدم تأخير الميت وإخراجه من البيت:

א-הלנת המת...تأخير دفن الميت

يمنع تأخير دفن الميت إلى اليوم التالي، وكل من يؤخر ميتة فقد تجرأ على وصية **לא-תעשה** لا تفعل^(١)، حيث ورد في العهد القديم:

"וכי יהיה באיש، הטא משפט מות והומת: ותלית אתו، על עץ. לא

תלין נבלתו על העץ، כי קבור תקברנו ביום ההוא כי קללת"

وَإِذَا كَانَ عَلَى إِنْسَانٍ خَطِيئَةٌ حَتَّىٰ أَلْمُوتِ، فَاقْتُلْ وَطَقَّهُ عَلَىٰ خَشَبَةٍ، فَلَا تَبِتْ جُثَّتُهُ عَلَىٰ الْخَشَبَةِ، لِي تَذْفَهُ فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ، لِأَنَّ الْمَطَّقَ مَلْعُونٌ مِّنَ اللَّهِ (٢).

هذا وقد أباحت التشريعات اليهودية تأخير الدفن لأسباب معينة قد يكون بعض من الوقت أو اليوم التالي من الوفاة وذلك تكريماً للميت، من أجل تجهيزه وإعداد نعش وكفن مناسبين، أو لانتظار حضور أقاربه من كل المدن المجاورة وحضور المؤيدين، أو من أجل وصول خبر الوفاة إلى المدن المجاورة وعلى أية حال لا ينبغي تأخيره عن الدفن إلى أن تمثّل الشمس للغروب. ويأثم كل من يؤخر الميت بدون دفن، ومن مات في اليوم الأول

^(١) אשר שמחה ווייסמאן: על דבר שרפת המתים، לעמבערג، תרל"ח، עמ' ג.

^(٢) التثنية: (٢١/٢٣، ٢٢)

للعيد لا ينبغي تأخيره دون دفن حتى ليل اليوم الثاني، بل لابد من دفنه^(١). كما يسمح بتأخير دفن الميت إلى اليوم التالي إذا لم يتم التعرف على هويته لكي يتم التعرف عليه^(٢). لذلك ينبغي التعجيل بإخراج سائر الموتى من المنزل إلى مآواهم الأخير لدفنهم، ويعتبر هذا العمل عملاً ممدوحاً. أما في حالة الأب والأم فإذا حدث هذا الأمر فإنه يعتبر أمراً مذموماً، فلا ينبغي التعجيل بدفنهم بل يجب تأبينهم والنياحة عليهم كثيراً، إلا إذا كانت وفاتهم ليلة السبت أو ليلة العيد أو كانت الأمطار تهطل بغزارة على النعش^(٣).

ومثلما ورد في العهد القديم النهي عن تأخير دفن الميت، فقد ورد في المشنا السماح بتأخيره للأسباب السالفة الذكر وهي تكريمه واحضار نعش وكفن، وفقاً للنص التالي:

**אָפֿאַ כָּל תּמָלִין אֶת מָתוֹ עוֹבֵר בְּלֹא תַעֲשֶׂה. הָלִינוּ לְכַבֹּדוֹ,
לְהַבִּיאַ לּוֹ אָרוֹן וּמְקַרְיָכִים. אֵינוֹ עוֹבֵר עָלָיו.**

(٤)

"بينما كل من يؤخر ميتته (دون أن يدفنه) متعدياً على وصية لا تفعل (وإذا) أخره لتكريمه، لكي يحضر له نعشاً وكفنّاً فإنه غير آثم عليه"^(٥).

(١) שלמה موسאיוב: סדר לה' צומות חקת עולם، חלק שלישי، עמ' ע"ב רו.

(٢) שלמה גאנצפריד: ספר קיצור שלחן ערוך، עמ' ע"ב קיז.

(٣) חיים בנימין גולדברג: ספר פני ברוך אבלות בהלכה (אוצר דינם ומנהגים הנהוגים במשך שנת האבלות)، עמ' מח.

ועין כך: שלמה גאנצפריד: ספר קיצור שלחן ערוך، עמ' ע"ב קיז.

(٤) אליעזר לוי: משנה מפורשת - סדר נזיקין، מסכת סנהדרין، פרק ו', הוצאת סיני תל אביב، תשי"ד، עמ' רפא، רפב.

(٥) للمزيد ينظر: أ.د./مصطفى عبدالمعبود: ترجمة متن التلمود (المشنا) القسم الرابع: الأضرار، المبحث الرابع: المحكمة العليا، الفصل السادس، مكتبة النافذة، الطبعة الأولى، ٢٠٠٧م، ص ١٦٧.

ב- הוצאתו מן הבית....إخراجه من البيت

قبل خروج الميت من البيت وبعد نقله من على خشبة الغسل إلى نعشه لابد من التعرف على وصف هذا النعش وهيئته، فقد وصفه أحد الباحثين اليهود، بأنه عبارة عن قضبان من الخشب لكل واحد منهم تسعة شناكل من الحديد، وعند الحاجة إليه يقومون بضم القضبان إلى بعضهما البعض فيكونان ما يشبه السلسلة التي تحتوي على ثمانية عشر حلقة، يضم الشنكلين اللذين في ناحية الرأس بصورة مائلة، حيث يتصل الشنكل الأول في القضيب الخشبي الأول بالشنكل الثاني في القضيب الخشبي الثاني، ثم يتصل بعد ذلك الشنكل الثاني في القضيب الخشبي الأول بالشنكل الأول في القضيب الخشبي الثاني وهكذا^(١). ويشبه النعش ما يسمى الكرب عند المسلمين، ويتم حمل الميت عليه وهو المتبع في هذه الأيام عند اليهود إذا لم يدفن الميت في تابوت.

يقوم أعضاء الحفرا قاديشا بإخراج أدوات الغسل قبل إخراج نعش الميت، ويحظر خروج أحد من الباب الذي سيخرج منه النعش قبل إخراج أدوات الغسل أو قبل إخراج النعش^(٢). ثم يخرجون النعش، وأثناء ذلك يقومون بكسر الفخار على حافة البيت من الخارج، وبعد الخروج من البيت يضعون هذا الفخار على النعش، ويجعلون قدمي الميت أثناء السير من الأمام وفي بعض مدن إسرائيل يجعلونهما ناحية بيت المقدس^(٣).

^(١) يحيאל ميכל טוקצינסקי: ספר גשר החיים، חלק א', עמ' פ.

^(٢) שם: עמ' עד.

ועין כך: חיים בנימין גולדברג: ספר פני ברוך אבלות בהלכה (אוצר דינם ומנהגים הנהוגים במשך שנת האבלות)، עמ' נ.

^(٣) יחיאל מיכל טוקצינסקי: ספר גשר החיים، חלק א', עמ' עז.

وإذا توفى اثنان في مدينة ما فإنهم يخرجون للدفن من مات أولاً ثم بعد ذلك يخرجون الثاني وبعد دفن الأول لا يقفون في صفوف لتلقي العزاء حتى لا يعرقل ذلك دفن الثاني. وإذا كان هناك أي معوق يحول دون خروج الميت الأول، لا ينبغي تأخير الميت الثاني بسبب تأخير الميت الأول بل يتم دفنه على الفور، وإذا كان الميت الثاني طالب علم والميت الأول شخص عادي فإنهم يخرجون طالب العلم أولاً حتى وإن توفى الشخص العادي أولاً. وإذا توفى رجل وامرأة يخرجون المرأة أولاً حتى وإن توفى الرجل قبلها^(١). وفي حالة الحاخام والمرأة إذا كانت المرأة مسنة فإنهم يخرجون من البيت الحاخام أولاً، وإذا كان الحاخام مسناً يخرجون الحاخام أولاً مهما كان سن المرأة^(٢). وأخيراً الحاخام وتلميذه يخرجون الحاخام أولاً^(٣). وعندما يكون الوقت ضيقاً مثل ليلة السبت أو ليلة العيد، فإنه يسمح بإخراج الاثنين معاً من البيت للدفن إذا كانت المقابر بعيدة عن المدينة، حتى لا يكون هناك انتهاك لقدسية السبت أو العيد^(٤). ويعفى الجميع من دراسة التوراة والمشنا لحظة إخراج الميت من البيت وكذلك أثناء تشييعه^(٥).

^(١) שלמה גאנצפריד: ספר קיצור שלחן ערוך, עמ' ע"ב קיז.

^(٢) שלמה מוסאיוב: סדר לה' צומות חקת עולם, חלק שלישי, עמ' ע"א רח.

^(٣) שם: עמ' ע"א רז.

ועין כך: חיים בנימין גולדברג: ספר פני ברוך אבלות בהלכה (אוצר דינם ומנהגים הנהוגים במשך שנת האבלות), עמ' מט.

^(٤) יקותיאל יהודה גרינוואלד: כל בו על אבלות (מבאר ומסדר כל הלכות דינם ומנהגים מיום שנחלה האדם עד תום ימי אבלות), חלק א', עמ' קח.

^(٥) חיים בנימין גולדברג: ספר פני ברוך אבלות בהלכה (אוצר דינם ומנהגים

הנהוגים במשך שנת האבלות), עמ' נא. ועין כך:

– שלמה גאנצפריד: ספר קיצור שלחן ערוך, עמ' ע"ב קיז.

وعند خروج الميت من البيت لابد من تأبينه والنياحة عليه بصوت مرتفع، وبأقوال تؤثر في قلوب ونفوس السامعين حتى يزدادوا في البكاء. وينبغي الثناء على الميت ومدحه بالصفات الطيبة التي كان يتصف بها، لكن يحظر المبالغة في أقوال المدح والثناء بصورة تفوق الواقع. وإذا كان الميت حاخماً أو رجلاً صالحاً فإنهم يذكرون حكمته وتقواه. ويعتقد اليهود أن كل من يبكي أو يرثي رجلاً صالحاً يباركه الرب ويثاب على ذلك، وكل من يتجاهل تأبين ورثاء حاخام فإن أيامه لن تطول على وجه الأرض، بل لابد من دفنه حياً إن أمكن ذلك^(١). ومثلما أن هناك تأبين للرجال كذلك لابد أن يكون هناك تأبين للنساء، كما ينبغي وبالصورة التي تليق بهن^(٢). وقد سمحت المشنا للنساء بالنياحة في رعوس الشهور والأعياد لكنها منعت الندب، عندما قالت:

**ט בראשי חדשים בחנכה ובפורים מענות
ומטפחות בזה ובה אכל לא מקוננות. נקבר המת לא מענות ולא
מטפחות. איזה ענוי? שמקלן עונות כאחת. קינה? שאחת מדגרת
וקלן עונות אחריה, שנאמר, ולמדנה בנותיכם נהי ואשה רעותה
קינה.**

(٣)

(يجوز للنساء) في رعوس الشهور وفي الحانوخا والبوريم أن ينوحن وأن يضرين كفاً بكف، ولكن لا يندبن. وإذا دفن الميت لا ينوحن ولا يضرين كفاً

^(١) שלמה موسאיוב: סדר לה' צומות חקת עולם, חלק שלישי, עמ' ע"ב ר.א.

^(٢) שם: עמ' ע"א ר.ב.

وانظر أيضاً: أبو عمران موسى بن ميمون القرطبي: تثنية التوراة اليد القوية، ترجمة/محمد خليل حسن، الطبعة الأولى، منشورات الجمل بيروت-بغداد ٢٠١٦م، ص ٤٣٥.

^(٣) אליעזר לוי: משנה מפורשת- סדר מועד, מסכת מועד קטן, פרק ג, עמ' תקצא.

بكف. ما هو النواح؟ أن ينوحن معاً. (وما هو) الندب؟ أن تتكلم واحدة وتردد كلهن خلفها، وقد ورد **«وَعَطُّ مَنْ بَاتَ كُنَى الرَّثَايَةِ، وَالرَّوَاةُ صَاحِبَتَهُ أَلِ التُّدْبِ!»**^(١)^(٢). وقد تعود اليهود في بعض الأماكن تأجير نادبات **مקוננות** لتأبين الميت والنواح عليه، ويلزم الزوج بهذا تجاه زوجته المتوفاه، وإن لم يفعل يقوم والدها بهذا العمل، على أن يدفع زوجها الأجرة المطلوبة رغم أنه^(٣).

وقد شددت الشريعة اليهودية في مسألة تشييع الميت، حيث إن فريضة تشييع الميت إلى مئواه الأخير تعتبر فريضة عظيمة ونبيلة، وقد جرمت كل من يرى الجنازة تمر من أمامه ولا يشارك فيها، واعتبرته أثماً ومنبوذاً من المجتمع، وسافك دماء. حيث يجب على الإنسان السير خلف الجنازة لمسافة أربع أذرع على الأقل، وكل من شيع ميدياً أربعة أذرع ينال أجراً عظيماً^(٤). ومن المفترض أن يرافق المشيع نعش الميت حتى المقابر، وإذا كان الشخص

^(١) إرميا: (٢٠/٩)

^(٢) للمزيد ينظر: أ.د/مصطفى عبدالمعبود: ترجمة متن التلمود (المشنا) القسم الثاني:

الأعياد، المبحث الحادي عشر: العيد الصغير، الفصل الثالث، ص ٣٣٩، ٣٣٨.

^(٣) שלמה מוסאויוב: סדר לה' צומות חקת עולם، חלק שלישי، עמ' ע"א רב.

^(٤) שמואל בן לא"א ה"ה יחיאל מלול: קונטרס שבילים בדעה (ליקוט דינים ומנהגים

בהלכות קבורה ואבילות שולחן ערוך יורה דעה)، עמ' כג. ועין כך:

- יקותיאל יהודה גרינוואלד: כל בו על אבלות (מבאר ומסדר כל הלכות דינים

ומנהגים מיום שנחלה האדם עד תום ימי אבלות)، חלק א'، עמ' קה.

- שלמה גאנצפריד: ספר קיצור שולחן ערוך، עמ' ע"ב קיז.

- חיים בנימין גולדברג: ספר פני ברוך אבלות בהלכה (אוצר דינים ומנהגים

הנהוגים במשך שנת האבלות)، עמ' נה.

- أبو عمران موسى بن ميمون القرطبي: تنبيه التوراة اليد القوية، ترجمة/محمد خليل

حسن، ص ٤٣٧.

- שלמה מוסאויוב: סדר לה' צומות חקת עולם، חלק שלישי، עמ' ע"ב רח.

مريضاً ولا يستطيع الذهاب إلى المقابر لتشييع الميت فينبغي عليه أن ينتظر أمام بيت الميت حتى عودة المشيعين من المقابر^(١). كما أنه لا يلزم الشخص بمرافقة الجنازة التي تمر من أمامه، إذا كانت جنازة من أجل تشييع عضو من جسد الإنسان أو عظامه التي تم جمعها من جسد محروق^(٢).

حمل النعش والسير به

عند حمل النعش والسير به هناك بعض الأمور لا بد من مراعاتها، ومنها؛ أنه لا يجوز إلقاء السلام أثناء تشييع الميت، كما ينبغي على المشيعين تلاوة فقرات مقدسة من المزامير أثناء السير بالجنازة، كذلك يحظر على المشيعين الأحاديث الجانبية فيما بينهم لأن هذا ليس من آداب الجنازة^(٣). وكذلك لا يتم إلقاء السلام في المقابر، ولكن عندما لا يكون هناك ميت في المقابر وأراد شخص أن يلقي السلام على شخص آخر يبتعد أربعة أذرع عن المقابر^(٤).

كذلك يحظر أن يخرج النساء خلف النعش وأمامه إلى المقابر وخاصة الحائض والحامل، حيث إن هناك خطر عليها، وحتى لا يلتقي الرجال والنساء عند العودة من المقابر ويكونوا وجهاً لوجه. وأيضاً حتى لا يكون

^(١) يקותيال יהודה גרינוואלד: כל בו על אבלות (מבאר ומסדר כל הלכות דינים

ומנהגים מיום שנחלה האדם עד תום ימי אבלות)، חלק א', עמ' רסא.

^(٢) יחיאל מיכל טוקצינסקי: ספר גשר החיים, חלק א', עמ' צא.

^(٣) יחיאל מיכל טוקצינסקי: ספר גשר החיים, חלק א', עמ' צג.

^(٤) עין:

- שלמה גאנצפריד: ספר קיצור שלחן ערוך, עמ' ע"ב קיז.

- שלמה מוסאיוב: סדר לה' צומות חקת עולם, חלק שלישי, עמ' ע"ב רא.

هناك تداخل فيما بينهما^(١). كما تمنع المرأة المطلقة من المشاركة في جنازة زوجها أو النياحة عليه احتراماً لعقد الطلاق الذي تم بينهما^(٢). أيضاً يمنع الأبناء من تشييع والديهم أو أي أحد من نسله، في حين يشارك زوجات أبنائه وأزواج بناته وأقاربه واخوته. وإذا اضطر أحد أبنائه أن يذهب إلى المقابر لضرورة الدفن فإنه يخرج قبل خروج النعش، ويظل في المقابر إلى أن يصل النعش وتتم عملية الدفن^(٣). كما أنه لا ينبغي على العريس أو العروس خلال أيام الزواج الأولى أن يشاركوا في تشييع موتاهم^(٤). بينما يشارك التلاميذ في حمل نعش حاخامهم وأعمال دفنه، ولا يشارك في الغسل والتكفين إلا من هم على دراية بذلك^(٥). ويسمح للشخص تشييع من كان يكرهه لكنه لا يشارك في حمل نعشه^(٦). أما بالنسبة لتشييع اليهودي للميت غير اليهودي فإن اليهودية قد سمحت بذلك حتى تصل الجنازة إلى المقابر، لكن يمنع أن يدخل إلى

^(١) שמואל בן לא"א ה"ה יחיאל מלול: קונטרס שבילים בדעה (ליקוט דינים ומנהגים בהלכות קבורה ואבילות שולחן ערוך יורה דעה), עמ' כה.
^(٢) יקותיאל יהודה גרינוואלד: כל בו על אבלות (מבאר ומסדר כל הלכות דינים ומנהגים מיום שנחלה האדם עד תום ימי אבלות), חלק א', עמ' קז.
^(٣) עין:

- שמואל בן לא"א ה"ה יחיאל מלול: קונטרס שבילים בדעה (ליקוט דינים ומנהגים בהלכות קבורה ואבילות שולחן ערוך יורה דעה), עמ' כה.
 - יחיאל מיכל טוקצינסקי: ספר גשר החיים, חלק א', עמ' עו.
 - חיים בנימין גולדברג: ספר פני ברוך אבלות בהלכה (אוצר דינים ומנהגים הנהוגים במשך שנת האבלות), עמ' מט.
^(٤) יקותיאל יהודה גרינוואלד: כל בו על אבלות (מבאר ומסדר כל הלכות דינים ומנהגים מיום שנחלה האדם עד תום ימי אבלות), חלק א', עמ' קז.
^(٥) יחיאל מיכל טוקצינסקי: ספר גשר החיים, חלק א', עמ' עד.
^(٦) חיים בנימין גולדברג: ספר פני ברוך אבלות בהלכה (אוצר דינים ומנהגים הנהוגים במשך שנת האבלות), עמ' נו.

أماكن الصلاة الخاصة بغير اليهود وهناك من يقول إنه يمنع من الدخول إلى المقابر؛ لأنها قد يوجد فيها أوثان وأصنام^(١).

والمتبع عند حمل الطفل الذي لم يكمل الثلاثين يوماً أن يقوم بدفنه امرأة ورجلين، ولا يجوز أن يدفنه رجل وامرأتان، ولا ينبغي تأبينه أو تقبل التعازي فيه. وأما بعد الثلاثين فإنه يوضع في صندوق من الخشب عند الذهاب به إلى المقابر. ولكن في هذه الأيام فإن الذي يبلغ من العمر عاماً حتى خمسة أعوام يحمل في صندوق من الخشب، أما الذي يبلغ من السابعة حتى الثانية عشرة فإنه يحمل في نعش مخصص للصغار، ويقوم بتشييعه اثنان أو ثلاثة من رجال الحفرا قاديشا. والذي يبلغ الثالثة عشر أو التي تبلغ الثانية عشر وما بعدها فإنهما يحملان في النعش المتعارف عليه ولا يشييعهما أقل من النصاب الشرعي المعروف باسم **מגיד** أي عشرة رجال من الحفرا قاديشا^(٢).

أما المتبع الآن عند حمل رجل ذو المكانة أو إن كان من الشخصيات البارزة، فإنه يحمل على الأيدي إلى المقابر. وأما الرجل البسيط فإنه يحمل على الأكتاف، ولكن بسبب زحام وحوادث الطرق في هذا الوقت، فإنهم يحملون الميت على الأيدي أو الأكتاف إلى العربة المخصصة لنقل الموتى،

^(١) شموאל بن לא"א ה"ה יחיאל מלול: קונטרס שבילים בדעה (ליקוט דינים ומנהגים בהלכות קבורה ואבילות שולחן ערוך יורה דעה)، עמ' כז.

^(٢) יחיאל מיכל טוקצינסקי: ספר גשר החיים، חלק א', עמ' פ"א. ועין כך:

- שלמה מוסאיוב: סדר לה' צומות חקת עולם، חלק שלישי، עמ' ע"ב רו.
- שמואל בן לא"א ה"ה יחיאל מלול: קונטרס שבילים בדעה (ליקוט דינים ומנהגים בהלכות קבורה ואבילות שולחן ערוך יורה דעה)، עמ' כו.
- יקותיאל יהודה גרינוואלד: כל בו על אבלות (מבאר ומסדר כל הלכות דינים ומנהגים מיום שנחלה האדם עד תום ימי אבלות)، חלק א', עמ' קז.

ثم ينقل منها عند الوصول إلى المقابر. ويحمل أيضًا على الأكتاف أو الأيدي حسب مكانته إلى قبره. وقد اعتاد السفاراديم أن يشعلوا شمعتين ذواتا طول وسمك أثناء تشييع ميت ذي مكانة أو شخصية بارزة إحداهما أمام النعش والأخرى خلفه. أما الاشكناز فلم يعتادوا ذلك بل كانوا يشعلون مصباحًا من الجاز أثناء تشييع الميت ليلاً. واعتاد اليهود بصفة عامة توزيع الصدقات للفقراء أثناء خروج الميت من البيت لتشييعه وكان ذلك النهج نفسه متبعًا أثناء الصلاة على رجل ذي مكانة في المعبد، وكان منهج السفاراديم أن لا يقف الفقراء بين المشيعين لأخذ هذه الصدقات بل يقفوا في مكان خاص بهم، سواء في الشارع أو بالقرب من مدخل المعبد، حتى لا يتم التشويش على موكب الجنازة وعلى المشيعين^(١). وإذا أراد رجل بسيط أن يشارك في جنازة رجل ذي مكانة، وأن يحمل نعشه فإنه لا يجوز منعه من تأدية هذا الفرض، كما يسمح بأن يشارك اليهودي في تشييع جنازة ميت غير يهودي على نحو ما ذكر من قبل^(٢).

ما يفعل أثناء السير بالجنازة وحتى الوصول إلى المقابر

يُغْفَى حاملوا النعش وبدلاؤهم وبدلاء البدائل سواء حاملوا مقدمة النعش أو مؤخرته من قراءة الشماع؛ لأن حمل النعش يحتاج إليهم. بينما ينبغي على بقية المشيعين أثناء السير بالجنازة قراءة الشماع وسفر المزامير والترحم والدعاء للميت، حيث لا حاجة لهم في حمل النعش ويحظر عليهم التحدث أثناء السير في الجنازة بكلام دنيوي لا قيمة له^(٣). وقد ورد هذا المعنى في المشنا، ونصه:

(١) 'יחיאל מיכל טוקצינסקי: ספר גשר החיים, חלק א', עמ' עח, עט.

(٢) 'יקותיאל יהודה גרינוואלד: כל בו על אבלות (מבאר ומסדר כל הלכות דינים

ומנהגים מיום שנחלה האדם עד תום ימי אבלות), חלק א', עמ' קו.

(٣) 'שלמה מוסאיוב: סדר לה' צומות חקת עולם, חלק שלישי, עמ' ע"א רז. ועין כך:

א מי שמתו מוטל קפניו, פטור מקריאת שמע ומן התפלה
ומן התפלין. נושאי המטה וחלופיהן וחלופי חלופיהן, את שפני
המטה ואת שלחם המטה, את שלמטה צרף קהן פטורין, ואת
שאין למטה צרף קהן חיבין. אלו נארו פטורין מן התפלה.⁽¹⁾

من كان ميته راقدًا أمامه^(٢) فإنه يُعفى من قراءة الشمامع، ومن الصلاة،
ومن ارتداء التفلين^(٣) ويُعفى حاملو النعش وبدلاؤهم، وبدلاء البدائل،

– חיים בנימין גולדברג: ספר פני ברוך אבלות בהלכה (אוצר דינם ומנהגים
הנהוגים במשך שנת האבלות), עמ' נח.

⁽¹⁾ אליעזר לוי: משנה מפורשת – סדר זרעים, מסכת ברכות, פרק ג, עמ' ל, לא.
⁽²⁾ أي أن الذي يقوم بحراسة الميت قبل خروجه إلى لدفن يعفى هذا من قراءة שמע الشمامع
حتى وإن لم يكن هذا الميت قريب له، ويعفى كذلك من الدعاء ومن كل الوصايا التي
نصت عليها التوراة. وإذا كانا اثنين فإن أحدهما يحرس والآخر يقرأ ويتضرع.

עין: שלמה גאנצפריד: ספר קיצור שלחן ערוך, עמ' ע"א קטו.

⁽³⁾ תפילין: תפלין:

وصية افعل من التوراة، توجد في أمر التفلين وصيتان (لا تعيق إحداها الأخرى) تفلين اليد
وتفلين الرأس. وتعد حجيرات التفلين بمثابة تجاويف مصنوعة من الجلد، مشدودة بالشرايط
السوداء، والمربوطة بدورها حول الرأس والذراع. ويوجد تفلين الرأس أربعة تجاويف
متجاورة وتشكل مجتمعة صورة مربع. وتوضع بداخل التجاويف أربع فقرات من التوراة
تذكر وصية التفلين وهي فقرة " שמע: اسمع " (الثنية ٦: ٤-٩)، وفقرة " ויהיה אם
שמעו: فإذا أظعتم " (الثنية ١١: ١٣-٢١)، وفقرة " קדש: קדש " (الخروج ١٣:

والمتقدمون للنعش والمتأخرون عنه، ومن كان (حمل) النعش في حاجة إليهم،
ومن لم يكن (حمل) النعش في حاجة إليهم فإنهم يلزمون (بقراءة الشماع).
ويُعفى جميعهم من الصلاة^(١).

كما يُعفى الكاهن الأكبر من الخروج خلف النعش، مثلما أوضحت المشنا؛

في النص التالي:

א פהן גדוד... מת לו מת, אינו יוצא אחר המטה, אלא
הן נכסין והוא נגלה, הן נגלין והוא נכסה, ויוצא עמהן עד פתח
העיר, דברי רבי מאיר. רבי יהודה אומר, אינו יוצא מן המקדש
שנאמר "ומן המקדש לא יצא". וכשהוא מנחם אחרים, דרוך כל
העם עוברין בזה אחר זה והממנה ממצעו בינו לבין העם. וכשהוא
מתנחם מאחרים, כל העם אומרים לו: אנו כפרתך. והוא אומר
להן: התברכו מן השמים. וכשמברין אוחו, כל העם מסבים על
הארץ והוא מסב על הספסל.

(١)

١ - ١٠)، وفترة "هيا كذا يبياد": ويكون حين يدخلك " (الخروج ١٣ : ١١ - ١٦).
وهناك خلاف حول ترتيب وضع الفقرات في التفلين، والعادات المتبعة حتى اليوم (مثل تفلين
راشي، وراينو تام، وشيموشا ربا). ويضعون تفلين الرأس على وسط الجبهة، عند منبت
الشعر. ويضعون تفلين اليد على الذراع عند بروز العضلة. وتوجد عادات مختلفة في أحكام
ربط شريط تفلين اليد. ويُعد التفلين مقدسًا بسبب الفقرات التي يحويها، وكل جزء منه يمثل
قداسة؛ لذا يجب الحذر من وضعه في مكان مدنس أو عندما لا يستطيع الإنسان أن يحافظ
على نظافة جسده. وتنص وصية التفلين على وضعه طيلة ساعات النهار (على الرغم من أن
أجيال متعددة قد يضعونه وقت صلاة الفجر فحسب) ولا يضعون التفلين إلا في الأيام
العادية فحسب، وليس في السبوت أو الأعياد. وحول أيام تحليل العيد توجد خلافات
(حول وضع التفلين بها) ويُعفى كل من النساء والعييد من وصية التفلين.

- عادين شتینزلتس: معجم المصطلحات التلمودية، ترجمة وتعليق أ.د.مصطفى عبدالمعبود
سيد، مركز الدراسات الشرقية، العدد ١٩، ٢٠٠٦م، ص ٢٧٥، ٢٧٦.

^(١) للمزيد ينظر: أ.د.مصطفى عبد المعبود: ترجمة متن التلمود (المشنا)، القسم الأول:

الزروع، المبحث الأول: البركات، الفصل الثالث، ص ٣٧، ٣٨.

الكاهن الأكبر.....إذا مات له ميت، لا يخرج خلف النعش، فإذا توارى (عن النظر حاملو النعش) فليظهر، وإذا ظهروا فليتوارى هو (عن الأنظار)، ويسمح له أن يخرج معهم حتى مدخل المدينة، طبقاً لأقوال رابي مئير. يقول رابي يهودا: لا يخرج من المقدس؛ لأنه قد ورد "ولا يخرج من المقدس"^(٢). وعندما يُعزِّي الآخريين، فإن المتبع أن يسير الناس خلف بعضهم البعض، وعلى نائب (الكاهن) أن يفصل بينه وبين الناس وعندما يُعزِّيه الآخرون، فإن كل الناس يقولون له: نحن فداؤك. فيقول لهم: ليبارككم الرب. وعندما يقدمون له وجبة المآتم. فإن كل الناس (يجلسون) على الأرض ملتقين حوله في حين يجلس هو على المقعد^(٣).

أما الملك فلا يجوز له أن يخرج من باب القصر، وقد أجاز الرابي يهودا له الخروج على غرار ما حدث مع سيدنا داود -عليه السلام- عندما خرج خلف نعش أبينير. فقد ورد في المشنا؛ ما نصه:

ב המלך **ג** **מת לו מת, אינו יוצא מפתח פלטרין**
שָׂרו. רַבִּי יְהוּדָה אוֹמֵר, אִם רוּצָה לְצֵאת אַחַר הַמָּצָה יוֹצֵא, שָׁכֵן
מְצִינֵו בְדוּד שְׂיֻצָא אַחַר מִטָּתוֹ שֶׁל אֲבִנָּר, שְׂנֵאָמַר „וְהַמְלָךְ דּוּד הַלֶּךְ
אַחֲרֵי הַמָּטָה". אָמְרוּ לוֹ, לֹא הָיָה הַדְּבָר אֶלָּא לְפִיִּם אֶת הָעָם.
וּכְשֶׁמְבָרִין אוֹתוֹ כֹּל הָעָם מְסַבִּין עַל הָאָרֶץ, וְהוּא מִסֵּב עַל הַדְּרָגָשׁ.^(٤)

^(١) אליעזר לוי: משנה מפורשת- סדר נזיקין، מסכת סנהדרין، פרק ב، עמ' רנא، רנב.
^(٢) "وَلَا يُخْرَجُ مِنَ الْمَقْدِسِ لِتَلَاً يَحْتَسِبُ مَقْدِسَ إِلَهِي، لِأَنَّ الْكَلِيلَ نَهْنِ مَسْحَةَ إِلَهِي عَلَيْهِ. أَنَا الرَّبُّ." - اللاويين (١٢/٢١).

^(٣) للمزيد ينظر: أ.د/مصطفى عبدالمعبود: ترجمة متن التلمود (المشنا) القسم الرابع: الأضرار، المبحث الرابع: المحكمة العليا، الفصل الثاني، ص ١٥٣.

^(٤) אליעזר לוי: משנה מפורשת- סדר נזיקין، מסכת סנהדרין، פרק ב، עמ' רנב، רנג.

الملك..... إذا مات له ميت، فإنه لا يخرج من باب قصره. يقول رابي يهودا: إذا أراد أن يخرج خلف النعش فليخرج، لأننا وجدنا داود قد خرج خلف نعش أبنير، فقد ورد "وكان الملك داود يمشي خلف النعش"^(١). قالوا له، لم يكن الأمر إلا لإرضاء الشعب. وعندما يقدمون له الطعام فإن كل الناس (يجلسون) على الأرض ملتقين حوله، بينما يجلس هو على الأريكة^(٢).

وقد اعتاد اليهود أثناء السير بالجنائز الوقوف سبع مرات وتلاوة المشنا، وفقرات من العهد القديم، وهناك من يقول ثلاث مرات والآن أصبحوا لا يدققون في عدد الوقفات، ولكن كلما مروا على معبد لابد أن يقفوا حتى وإن مروا على أكثر من معبد. أما إذا لم يكن هناك معابد في طريق المقابر فإنهم يقفوا مرة أو مرتين على الأقل. كما اعتادوا الطواف بالميت في الشوارع والضواحي وخاصة إذا كانت الوفاة في مدينة القدس، نظراً لقدسية المدينة وإذا كانت الوفاة خارج مدينة القدس لا ينبغي الدخول بالميت إليها من أجل الطواف داخل شوارعها وضواحيها^(٣). وهذه العادة موجودة في بعض قرى صعيد مصر. وعندما يصلون بالميت إلى المقابر فإنهم يقفون بالنعش كل أربعة أذرع قبل دفن الميت في قبره. معتقدين أن هذا التوقف من الممكن أن يتسبب في إبعاد الأرواح النجسة والشريرة التي تريد أن تتعلق بالميت وتدخل معه القبر^(٤).

(١) " فَقَالَ دَاوُدُ لِي وَأَبَ وَلِجَمِيعِ الشَّعْبِ الَّذِي مَعَهُ: « مَرُّوا بِذِيَابِكُمْ وَتَطَّقُوا بِالْمَسُوحِ وَالطُّبَا أَلَمَ أَيْبُرُ » . وَكَانَ دَاوُدُ الْمَلِكُ يَمْشِي وَرَاءَ النُّعْشِ " . - صموئيل الثاني (٣١/٣)

(٢) للمزيد ينظر: أ.د/مصطفى عبدالمعبود: ترجمة متن التلمود (المشنا) القسم الرابع: الأضرار، المبحث الرابع: المحكمة العليا، الفصل الثاني، ص ١٥٣، ١٥٤.

(٣) يחיאל ميכל سوكزينسكي: ספר גשר החיים، חלק א', עמ' צה.

(٤) שלמה מוסאיוב: סדר לה' צומות חקת עולם، חלק שלישי، עמ' ע"ב רח.

لكن ما ورد في المشنا عكس ذلك تمامًا، فقد رأت المشنا أنه لا يجوز وضع النعش في الشارع، لأنه من الممكن أن يسبب الحزن، وخاصة نعش المرأة إكرامًا لها، ونصه:

**אין מניחין את המטה ברחוב שלא להרגיז את ההספד.
ודא שיש נשים לעולם מפני הכבוד.^(١)**

لا يضعون النعش في الشارع لئلا يألّفوا الحزن، ولا (نعش) النساء على الإطلاق إكرامًا لهن^(٢).

وقد اعتاد خادم المعبد في القدس أن يأخذ معه عند الذهاب إلى المقابر حقيبة بها طعام لكي يطعم منها أعضاء الحفرا قاديشا بعد عملية الدفن^(٣). وعند الوصول إلى المقابر ودخولها يجب احترامها، ولا يجوز التحقير من شأنها أو الاستخفاف بها احترامًا للأموات التي تسكن فيها. ولا يجب أيضًا تسريح (رعي) الحيوانات (البهائم) في المقابر، كما لا يجب قطع الأعشاب التي فيها، لكن يسمح بقطف ثمار الأشجار المغروسة في المقابر، وليست التي فوق القبور مباشرة^(٤). كذلك يحظر على المشيعة أثناء السير في المقابر أن يتخطوها^(٥). وبالوصول إلى المقابر تكون مراسم تشييع الميت قد انتهت. وتجدر الإشارة إلى أن هناك مصادر يهودية أخرى قد تحدثت عن طريقة إخراج الميت من البيت، وعن تشييعه حتى الوصول به إلى المقابر^(٦).

^(١) אליעזר לוי: משנה מפורשת- סדר מועד, מסכת מועד קטן, פרק ג, עמ' תקצ.
^(٢) للمزيد ينظر: أ.د./مصطفى عبدالمعبود: ترجمة متن التلمود (المشنا) القسم الثاني: الأعياد، المبحث الحادي عشر: العيد الصغير، الفصل الثالث، ص ٣٣٨.
^(٣) יחיאל מיכל טוקצינסקי: ספר גשר החיים, חלק א', עמ' קיג.
^(٤) שלמה גאנצפריד: ספר קיצור שלחן ערוך, עמ' ע"ב קיח.
^(٥) יקותיאל יהודה גרינוואלד: כל בו על אבלות (מבאר ומסדר כל הלכות דינים ומנהגים מיום שנחלה האדם עד תום ימי אבלות), חלק א', עמ' קעט.
^(٦) للمزيد حول خروج الميت من البيت وتشيعه ينظر:

إلى أن يصلوا به إلى القبر يريحون النعش على الأرض بالقرب من فتحة القبر، ويضعون على بطن الميت سبع قطع من الفضة أو النحاس أو من أي معدن آخر. ويطوف رجال الحفرا قاديشا العشرة المكلفون بحمل النعش في شكل حلقة سبع مرات حول النعش، حيث يمسك الواحد منهم يد أخيه أو يمسك الواحد منهم بوسط الآخر وينبغي ألا ينفصلوا أثناء الطواف، كما يكون الطواف من اليمين إلى اليسار. وفي حالة ما إذا كان الميت رجلاً ذا مكانة أو من حفظة ومفسري التوراة، فمن الممكن أن يشارك طلابه أو أقاربه في الطواف. ومن باب التيسير في هذه الأيام سواء عند السفارديم أو الاشكنازيم استبدلوا السبع قطع من المعدن بسبع قطع أحجار صغيرة^(١). ويكون هذا الطواف للرجل لا للمرأة ولا للصبى الذي لم يبلغ الثالثة عشرة وهو سن التكليف^(٢). وهناك من يقول: إنه لا ينبغي تكوين هذه الحلقات لا في الليل ولا بعد منتصف الليل^(٣). وقد اعتاد الصوفية اليهود أثناء هذا الطواف أن يقولوا^(٤):

– ניסן רובין: קץ החיים (טקסי קבורה ואבל במקורות חז"ל), דפוס "חדקל" בע"מ ת"א, תשנ"ז, עמ' קל:קלג.

– אליעזר ליזר בר מאיר לאנדסהוטה: סדר בקור חולים מעבר יבק וספר החיים, עמ' LII–XLIV.

– יחיאל מיכל טוקצינסקי: ספר גשר החיים, חלק שני (ש"ת ובאורים לעניני מעבר החיים הדורשים דיון מיוחד), עמ' צה:צט.

^(١) יחיאל מיכל טוקצינסקי: ספר גשר החיים, חלק א', עמ' צו.

^(٢) שם: עמ' צה.

^(٣) שלמה מוסאיוב: סדר לה' צומות חקת עולם, חלק שלישי, עמ' ע"ב רח.

^(٤) שמואל בן לא"א ה"ה יחיאל מלול: קונטרס שבילים בדעה (ליקוט דינים ומנהגים בהלכות קבורה ואבילות שולחן ערוך יורה דעה), עמ' לד, לה.

כִּי עָפַר אֶתֶּהּ, וְאֵל עָפַר מְשׁוֹב. וַיֵּשֶׁב הָעָפָר עַל הָאָרֶץ, כְּשֶׁהָיָה;
וְהָרוּחַ מְשׁוֹב, אֵל הָאֱלֹהִים אֲשֶׁר נִתְּנָה. יְהוָה נָתַן, וַיְהִי לָקַח; יְהִי
שֵׁם יְהוָה, מְבֹרָךְ. וְהוּא רַחוּם, יְכַפֵּר עֲוֹן וְלֹא יִשְׁחִית וְהַרְבֵּה, לְהַשִּׁיב
אִפְסוּ; וְלֹא יַעִיר, כָּל חַמָּתוֹ. יְהוָה הוֹשִׁיעָה: הַמְלִיךְ, יַעֲנֵנוּ בַיּוֹם קִרְאֵנוּ.

لَأَنَّكَ تَرْابٌ، وَاللَّي تَرْابٌ تَعُودُ^(١) يَجْعُ التُّرَابُ إِلَى الْأَرْضِ كَمَا كَانَ، وَتَرْجِعُ
الرُّوحُ إِلَى اللَّهِ الَّذِي أَعْطَاهَا^(٢). الرَّبُّ أَعْطَى وَالرَّبُّ أَخَذَ، فَمَا كَانَ اسْمُ الرَّبِّ
مُبَارَكًا^(٣) هُوَ فَرُوفٌ، يَغْرِ الإِثْمَ وَلَا يَهْدِيكَ. وَكَذَبًا مَا رَدَّ غَضَبَهُ، وَلَا
يُشْعِلُ كُلَّ سَخَطِهِ^(٤). يَا رَبِّ خَلِّصْ! لِيَبْتَغِبَ لَنَا الْمَلِكُ فِي هِمِّ نَعْدَانَا!^(٥).

وبعد الطواف سبع مرات يكلف الأكبر سنًا في الحفرا قاديشا أحد
الأشخاص بإدخال الميت إلى القبر. وإذا كان الميت بدين الجسد يدخله اثنين
وإذا كان القبر يحتاج إلى توسعه يقومون بتوسيعه أثناء الطواف^(١)، حيث
يجب الانتهاء من حفر القبر قبل وصول الجنازة إلى المقابر وهناك بعض
الأُمور التي تتعلق بحفر القبر، منها؛ أنه يحفر بعمق من ٣٠، ١٣٠ سم إلى
٤٠، ٧٠ سم ويُوصي بعض الصوفية اليهود أن يكون عمق القبر ما يقارب وقفة
رجل أي ٧٠، ١٣٠ سم، كما أن عرض القبر يجب أن يكون طبقاً لحجم الميت،

^(١) التكوين (١٩/٣)

^(٢) الجامعة (٧/١٢)

^(٣) أيوب (٢١/١)

^(٤) المزمير (٣٨/٧٨)

^(٥) المزمير (٩/٢٠)

^(٦) יחיאל מיכל טוקצינסקי: ספר גשר החיים, חלק א', עמ' צח.

ويكون من الداخل على شكل خيمة أو ما يشبه القوس لدخول الميت^(١). وقد وصفت المشنا المغارة أو القبر في النص التالي:

ח המוכר מקום לחברו לעשות לו קבר, וכן המקבל מחברו לעשות לו קבר, עושה תוכה של מערה ארבע אמות על שש, ופוחת לתוכה שמונה כוכין, שלשה מקאן ושלשה מקאן ושנים מקנגדו, והכוכין ארפן ארבע אמות ורומן שבצה ורחבן ששה. רבי שמעון אומר, עושה תוכה של מערה שש אמות על שמונה, ופוחת לתוכה שלשה עשר כוה, ארבעה מקאן וארבעה מקאן ושלשה מקנגדו, ואחד מימין הפתח ואחד מן השמאל. ועושה חצר על פי המערה שש על שש כמלא המטה וקובריה, ופוחת לתוכה שתי מערות, אחת מקאן ואחת מקאן. רבי שמעון אומר, ארבע לארבע רוחותיה. רבן שמעון בן גמליאל אומר, הפל רפי הסלע.

(٢)

الذي يبيع مكاناً لصاحبه ليجعل له قبراً، وكذلك من يتولى عمل قبر لصاحبه، يجب أن يجعل داخل المغارة أربع أذرع (عرض) على ستة (أذرع طول)، ويفتح في داخلها ثمانية تجاويف، ثلاثة من كل من جهة أو جانب (بطول حائط المغارة) واثنين مقابل (فتحة المغارة)، ويكون طول التجاويف أربعة أذرع وارتفاعها سبعة (أذرع) وعرضها ستة (أذرع). يقول رابي שמعون: يجعل داخل المغارة ستة أذرع (عرض) وثمانية (أذرع طول)، ويفتح في داخلها ثلاث عشر تجويفاً، أربعة من كل جهة أو جانب (بطول حائط المغارة) وثلاثة مقابل (فتحة المغارة)، وواحد عن يمين وواحد عن يسار الفتحة. ويجعل أمام المغارة فناءً ستة أذرع (طول) وستة (أذرع عرض) يكفي للنعش ولدافنيه، ويفتح بداخله مغارتين، واحدة في كل جهة أو جانب. يقول

^(١) שם: עמ' קח.

^(٢) אליעזר לוי: משנה מפורשת - סדר נזיקין, מסכת בבא בתרא, פרק ו, עמ' רו, רז.

رابي شمعون: يفتح أربع (مغارات) لزواياه الأربع. يقول ريان شمعون بن جملئيل: (يتوقف الأمر) كله على (طبيعة) الصخرة^(١).

وأثناء حفر القبر يُعفى الذي يحفر من قراءة الشماع والدعاء للميت، وإذا كانوا اثنين فإنهم يتبادلون عملية الحفر أحدهما يقرأ الشماع ويدعو للميت والآخر يحفر والعكس، وإذا كان الاثنان مضطرين للحفر معاً يُعفى الاثنان من قراءة الشماع^(٢). وبعد الانتهاء من حفر القبر لا ينبغي تركه مفتوحاً إلى اليوم الثاني دون أن يدفن فيه الميت على الفور؛ لأنهم يعتقدون أنه لو حدث ذلك وظل مفتوحاً للغد فلن تمر أيام قليلة ويموت آخر خلال ستة عشر يوماً^(٣). وإذا لم يكن هناك متسع من الوقت لدفن الميت وتم تأخيره إلى الغد، فينبغي أن يملأ القبر بالتراب^(٤). كما لا يجوز حفر تجاويف أو مقابر أثناء العيد، ولكن يجوز تهذيبها وذلك طبقاً لما ورد في المشنا:

ו אין חופרין פוכין וקברות במועד. אכל מן הקברים את הפוכין במועד.

(٥)

لا يجوز أن يحفروا تجاويف أو مقابر في العيد. ولكن يجوز أن يهدبوا التجاويف (القديمة) في العيد^(١). وبعد الوصول بالجنائز إلى المقابر وحفر

^(١) للمزيد ينظر: أ.د/مصطفى عبدالمعبود: ترجمة متن التلمود (المشنا) القسم الرابع: الأضرار، المبحث الثالث: الباب الأخير، الفصل السادس، ص ١٣٠، ١٣١.

^(٢) حיים بنيמין גולדברג: ספר פני ברוך אבלות בהלכה (אוצר דינם ומנהגים הנהוגים במשך שנת האבלות)، עמ' סא.

^(٣) שלמה מוסאיוב: סדר לה' צומות חקת עולם، חלק שלישי، עמ' ע"א רי.

^(٤) שלמה גאנצפריד: ספר קיצור שלחן ערוך، עמ' ע"ב קיח.

^(٥) אליעזר לוי: משנה מפורשת- סדר מועד، מסכת מועד קטן، פרק א، עמ' תקעז.

^(٦) للمزيد ينظر: أ.د/مصطفى عبدالمعبود: ترجمة متن التلمود (المشنا) القسم الثاني: الأعياد، المبحث الحادي عشر: العيد الصغير، الفصل الأول، ص ٣٣١.

القبر والطواف حول النعش. يرفع الميت من النعش لإنزاله إلى القبر وقد اعتاد اليهود بعد رفع الميت من النعش أن يقلبوا النعش ثلاث مرات على الأرض^(١)، وتأتي بعد ذلك عملية دفن الميت.

ثانيًا: ديني הקבורה أحكام الدفن^(٢)

وجوب الدفن وعلى من يجب دفن الميت

يعتبر دفن الميت واجباً فرضته التوراة، ويلتزم بهذا الواجب ورثة الميت الذين يجب عليهم الحداد عليه. وإذا قام الأبناء بدفن أبيهم لابد أن يجتهدوا في دفنه بجوار آبائه، وذلك على غرار ما ورد في وصية يعقوب -عليه السلام-

^(١) حיים בנימין גולדברג: ספר פני ברוך אבלות בהלכה (אוצר דינם ומנהגים

הנהוגים במשך שנת האבלות)، עמ' סד.

ועין כך: יחיאל מיכל טוקצ'ינסקי: ספר גשר החיים، חלק א', עמ' צט.

^(٢)

المصطلح العبري المقابل لمعنى الدفن هو الجنيزا، وهي تعني لغة المخبأ أو مكان الدفن، فهي قريبة من الكلمة العربية " جنازة " التي تعني النعش أو الموكب المشيع للميت. واصطلاحاً يشير مصطلح الجنيزا إلى مستودع الأوراق البالية من الكتابات اليهودية المقدسة التي لا يجوز إبادتها، حتى وإن لم تعد تستعمل، وذلك لما يُفترض من وجود اسم الله في ثناياها. وعليه فقد جرت العادة على خزن هذه الكتب البالية والتصاصات، مؤقتاً في مكان ما في الكنيس (المعبد)، ثم يتم من حين لآخر تفريغ هذا المكان من محتوياته؛ لتنتقل عادة إلى المقبرة حيث تدفن نهائياً. وفي القرون الوسطى مارس يهود القاهرة عادة الجنيزا، فاحتفظوا في أحد كنسهم بحجرة ضخمة لهذا الغرض بحيث استوعبت مهملات قرون طويلة. وبفضل هذا التقليد الخاص والمناخ الجاف في مصر، فقد تم الاحتفاظ بكنز هائل من المخطوطات منذ العصور الوسطى وحتى القرن التاسع عشر حين تم اكتشافه في كنيس " قصر الشمع " والذي عُرف كذلك بعدة أسماء منها " كنيس إلباهو"، و" كنيس عزرا"، و" كنيس ابن عزرا"، وهو يقع في القسطنطينية بمصر القديمة.

انظر: أ.د/مصطفى عبدالمعبود: ترجمة متن التلمود (المشنا) القسم الثاني: الأعياد، المبحث الأول: السبت، الفصل السادس عشر، ص ٧١. حيث نجد في اليهودية أن الميت ليس وحده الذي يقبر أي يدفن في القبر بل أيضاً الأوراق البالية من الكتابات اليهودية المقدسة التي لا يجوز إبادتها تحسباً لوجود اسم المولى -عز وجل- في داخلها.

ושכבתי עם אבותי וארقد مع آبائي^(١). وإن لم يكن للميت ورثة ولا أهل فإن واجب الدفن في هذه الحالة يكون على كل أبناء المدينة، وبالأخص على المحكمة وعلى رئيس الطائفة في المدينة أما إذا كان يوجد في المدينة جماعة الحفرا قاديشا فإن هذا الواجب يسند إليهم. كما يجب على الزوج القيام بما يلزم الزوجة من إعداد ودفن إذا ماتت في حياته^(٢).

كيفية الدفن

يتم إنزال الميت عن طريق قدميه وتكون ناحية بيت المقدس (أما في الإسلام فيكون الميت راقباً ووجهه وقدماه ناحية الكعبة)، ويوضع في القبر على ظهره ووجهه إلى أعلى وقدماه ناحية بيت المقدس. وذلك اعتقاداً من اليهود أن الإنسان عندما يبعث بعد ذلك ينهض من مرقدته ويتجه ناحية بيت المقدس. ويوضع حجر تحت رأس الميت، ومن يدفن خارج فلسطين وقد توفر له تراب منها فإنه ينثر قليل من هذا التراب تحته وأيضاً عليه، معتقدين في ذلك أن وجود هذا التراب أو الثرى برفقة صاحبه يكفر عنه ذنوبه ويؤضي على الميت وعلى كل أعضائه كفمه وعينيه ويديه بركة وقداسة^(٣). وبعد ذلك تفك الثلاث عقدات المؤقتة الموجودة في الكفن، وبالأخص **סובב** (الطوق). وبعد ذلك تسد الفتحة التي دخل منها الميت والتي تكون على شكل القوس بالحجارة ثم يردم القبر بالتراب^(٤). وأثناء ردم القبر لا يمنع أحد من المشاركة

^(١) יקותיאל יהודה גרינוואלד: כל בו על אבלות (מבאר ומסדר כל הלכות דינים

ומנהגים מיום שנחלה האדם עד תום ימי אבלות)، חלק א', עמ' קעו.

^(٢) שמואל בן לא"א ה"ה יחיאל מלול: קונטרס שבילים בדעה (ליקוט דינים ומנהגים

בהלכות קבורה ואבילות שולחן ערוך יורה דעה)، עמ' לא. ועין כך:

– יחיאל מיכל טוקצינסקי: ספר גשר החיים، חלק א', עמ' קב.

^(٣) שלמה גאנצפריד: ספר קיצור שלחן ערוך، עמ' ע"א קיח.

^(٤) יחיאל מיכל טוקצינסקי: ספר גשר החיים، חלק א', עמ' צח، קח.

في ردمه كما يحظر تناول الأدوات التي تستخدم في ردم القبر كالمعول أو الفأس، الواحد من يد زميله، بل إنه لابد أن يضعها الأول على الأرض ثم يتناولها الآخر من على الأرض^(١) وبعد الانتهاء من ردم القبر هناك أماكن اعتادوا ألا يشيدوا شاهد القبر (اللافتة التي تحمل اسم المتوفى) إلا بعد اثني عشر شهراً. حيث إن هذا الشاهد يعتبر مهماً؛ لأنه يوضح من هو صاحب القبر، باعتبار أنه في خلال الاثني عشر شهراً يكون هناك حزن على الميت، وأن شكل الشاهد لا يغيب عن الأذهان، كما أنهم يعتقدون أن الميت لا يمكن نسيانه إلا بعد اثني عشر شهراً، وهناك أماكن لا تدقق في هذا الأمر^(٢). وهناك من يضع حجراً فوق القبر من أعلى.

وتوصي الشريعة اليهودية عند عملية دفن الميت بوجوب اتصال الجسد بالتراب، كما ورد في التوراة: **כִּי-עֹפֶר אֶתָּהּ، וְאֶל-עֹפֶר תָּשׁוּב. לְאַתָּךְ תָּרַב، וְאֵלֵי תִבּוֹתָ עוֹד**^(٣). لذلك وجب على الذين يقومون بعملية الدفن في الأماكن التي يدفن فيها الميت في تابوت من الخشب، سواءً كانوا من الكهنة

ועין כד:

- שמואל בן לא"א ה"ה יחיאל מלול: קונטרס שבילים בדעה (ליקוט דינים ומנהגים בהלכות קבורה ואבילות שולחן ערוך יורה דעה)، עמ' לה.
- שלמה מוסאויב: סדר לה' צומות חקת עולם، חלק שלישי، עמ' ע"א רט.
- ^(١) שמואל בן לא"א ה"ה יחיאל מלול: קונטרס שבילים בדעה (ליקוט דינים ומנהגים בהלכות קבורה ואבילות שולחן ערוך יורה דעה)، עמ' לה. ועין כד:
- שלמה גאנצפריד: ספר קיצור שלחן ערוך، עמ' ע"א קיח.
- שלמה מוסאויב: סדר לה' צומות חקת עולם، חלק שלישי، עמ' ע"א רי.
- יקותיאל יהודה גרינוואלד: כל בו על אבילות (מבאר ומסדר כל הלכות דינים ומנהגים מיום שנחלה האדם עד תום ימי אבילות)، חלק א'، עמ' קצז.

^(٢) שלמה גאנצפריד: ספר קיצור שלחן ערוך، עמ' ע"ב קיח.

^(٣) التكوين (١٩/٣)

أو الأولاد البواكير الذين يصنع لهم تابوت. أو كان منقولاً من مدينة إلى مدينة أخرى في تابوت، أن يقوموا بإزالة اللوح الخشبي السفلي من التابوت من أجل اتصال الجسد بالأرض، وعند صناعة التابوت يجب أن يوصى بعدم استخدام بقايا النجيرة في صناعة أي شيء آخر. كما يجب أن تستخدم هذه البقايا كوقود تحت الأدوات التي تستخدم لتسخين الماء الذي سيستخدم في عملية الطهارة. أما الأشخاص الذين كانوا أسخياء اليد في حياتهم فأغنوا الفقراء ببرهم عن السؤال والحاجة لابد أن يصنع لهم تابوت من المائدة^(١) كما ورد وعاد إليك برك، "יְהוָה לְפָנֶיךָ צְדָקָה، כְּבוֹד יְהוָה יִאֱסֹפֶה" "וַיְסִיר בִּרְכָּךְ אֲמַמְךָ، וַיְמַדּוּ הַרְבֵּי יַבֵּעַ" "سَاقَتَكَ"^(٢)^(٣). وهناك بعض الأماكن تقوم بدفن الموتى بدون تابوت، حيث يضعون الميت في القبر على الأرض، ويضعون لوحين خشبيين من الجانبين، كما يضعون لوحاً آخرًا من أعلى حتى لا يسقط التراب على جسد الميت سواءً من أعلى أو من الجانبين؛ لأن هذا يعد إهانة للميت^(٤). والمتبع الآن في إسرائيل هو دفن الميت بدون تابوت، كما يجب دفن أي جزء من جسد الإنسان حتى وإن كان عضوًا واحدًا^(٥)، حيث اعتاد اليهود دفن الأعضاء التي تبتتر من الشخص الحي، فعلى سبيل المثال: إذا كانت اليد أو القدم فإنهم يقومون بتنظيف الأظافر، ويلفون هذا العضو بقماش من الكتان ويدفن في التراب. وبعد وفاة هذا الشخص صاحب العضو المبتور

^(١) שלמה גאנצפריד: ספר קיצור שלחן ערוך، עמ' ע"א קיח.

^(٢) إشعياء (٨/٥٨)

^(٣) יחיאל מיכל טוקצינסקי: ספר גשר החיים، חלק א'، עמ' קג. ועין כד:

- שמואל בן לא"ה יחיאל מלול: קונטרס שבילים בדעה (ליקוט דינים ומנהגים בהלכות קבורה ואבילות שולחן ערוך יורה דעה)، עמ' לא.

^(٤) שלמה גאנצפריד: ספר קיצור שלחן ערוך، עמ' ע"א קיח.

^(٥) שמואל בן לא"ה יחיאל מלול: קונטרס שבילים בדעה (ליקוט דינים ומנהגים בהלכות קבורה ואבילות שולחן ערוך יורה דעה)، עמ' לא.

فإنهم يقومون بدفنه في نفس القبر الذي دفن فيه العضو المبتور حتى يعود إلى الجسد الذي بتر منه. وإذا تعذر دفن الشخص في نفس القبر الذي دفن فيه العضو يدفن في القبر الذي بجواره. وفي بعض الأماكن يتشاءم صاحب العضو المبتور من دفن جزء من جسده خوفاً من الموت، فيتم حفظ هذا العضو إلى أن يموت صاحبه، حتى يدفنا معاً في قبر واحد. كذلك الأسنان التي تسقط من الشخص بعد موته ينبغي أن تدفن معه، أما التي تسقط في حياته فلا ينبغي دفنها^(١). كذلك تدفن مع الميت الأشياء سواء المقرونة أو المحفورة في جسده، مثل **פאה ערית** الشعر المستعار (الباروكة). وكذلك **שן תותבת** السن الاصطناعية^(٢). ومن يطلب أن تدفن معه التيممة أو الحجاب الذي كان يلبسه وهو حي تنفذ وصيته. وإذا أوصى أحد أن يدفن ومعه التفلين وحدث جدال حيث يكون هناك خوف من فقدان كتابات مقدسة. وبالرغم من كل ذلك اعتاد اليهود أن ينفذوا وصايا الميت. ولا يجب أن تدفن أواني فخارية مع الميت^(٣)؛ إلا إذا كان الميت قد مات محروقاً فينبغي في هذه الحالة وضع رماد هذا الجسد المحترق في إناء من الفخار أو الزجاج، ويدفن الإناء مع الرماد في القبر. ولا ينبغي عمل ما يشبه الخيمة أو القوس داخل القبر ولا المبالغة في عمق القبر لدفن هذا الرماد. كذلك فإنه ليس واجباً على كل من رأى جنازة هذا الرماد تمر من أمامه أن يشارك في تشييعها، مثلما تم ذكره في جنازة الميت العادي، ولا يقف المشيوعون بعد دفنه صفّاً لتقديم التعازي. ويبدأ الحداد عليه منذ أن احترق جسده حتى وإن دفن بعد ذلك^(٤). ويمنع حرق جثة

^(١) יחיאל מיכל טוקצינסקי: ספר גשר החיים، חלק א', עמ' קה.

^(٢) שלמה גאנצנפריד: ספר קיצור שלחן ערוך، עמ' ע"ב קיז.

^(٣) יקותיאל יהודה גרינוואלד: כל בו על אבלות (מבאר ומסדר כל הלכות דינים

ומנהגים מיום שנחלה האדם עד תום ימי אבלות)، חלק א', עמ' צא.

^(٤) יחיאל מיכל טוקצינסקי: ספר גשר החיים، חלק א', עמ' קיד.

الميت وكل من يوصي بحرق جثته بعد وفاته لا تنفذ وصيته^(١)؛ لأن ذلك يعد إنمًا كبيرًا يحل العقاب من الرب على من يفعله وقد ورد في العهد القديم، ما نصه:

"כֹּה אָמַר יְהוָה: עַל שְׂלֵשָׁה פְּשָׁעֵי מוֹאָב، יַעַל אֲרֻבָּעָה לֹא אֲשִׁיכְנוּ:

עַל שָׂרְפוֹ עֲצָמוֹת מֶלֶךְ אֲדוֹם לְשִׂיד"

הַכֹּהֵן קָאֵל הַרְשִׁי: אֲגַל זָדוֹב מוֹאָב הַדְּלָאִתָּה וְהָאַרְבָּעָה לֹא אֲרַגַע עִנְיָהּ، לְאַהֲרָם
אֲחֻזָּוָה עֲזָאֵם מַלְכֵי אֲנוֹם כְּלָסָא^(٢).

كما يجب أن يدفن الدم الذي يوجد على جسد القتيل وعلى ملابسه ونعله معه في القبر؛ لأن هذا يعتبر دم النفس. وكذلك الدم الذي يوجد على ملابس المرأة التي ماتت أثناء الوضع. وأيضًا الجنود الذين ماتوا في المعركة، حيث يدفنوا بملابسهم دون تغسيل أو تكفين، ويتم إدراجهم في قطعة من القماش (ملاءة) فوق ملابسهم. وقد اعتاد اليهود دفن موتاهم بالطاليت المزين بالأهداب وكان يتم إزالة هذه الأهداب أو ربطها مع بعضها قبل إنزال الميت إلى قبره، ولكن هذا النهج غير متبع في هذه الأيام أما المتبع فهو تغطية النعش بالطاليت أثناء الجنازة، وقبل الدفن ينزع الطاليت من على النعش أما المرأة فلا يتم تغطية نعشها بالطاليت بل يغطي بملاءة بيضاء^(٣).

يدفن الميت في مقبرة من المفترض أنه قد اشتراها لنفسه قبل موته، وفي حالة إذا لم يكن الميت قد اشترى لنفسه مقبرة قبل موته فمن الممكن أن يشتري

^(١) شموאל بن لا"א ה"ה יחיאל מלול: קונטרס שבילים בדעה (ליקוט דינים ומנהגים) בהלכות קבורה ואבילות שולחן ערוך יורה דעה(، עמ' לב.

^(٢) עמוס: (١/٢)

^(٣) שמואל בן לא"א ה"ה יחיאל מלול: קונטרס שבילים בדעה (ליקוט דינים ומנהגים) בהלכות קבורה ואבילות שולחן ערוך יורה דעה(، עמ' לג، לד.

ورثته له مقبرة ليُدفن فيها بعد وفاته. وإذا كان الميت فقيراً أو لم يستطع الورثة شراء المقبرة تتولى جماعة الحفرا قاديشا شراء المقبرة له ودفنه فيها^(١). وإذا احترق أشخاص في مدينة غالبيتها من اليهود ويستحيل التعرف على هويتهم هل هم من اليهود أم لا، فمن الممكن دفنهم في مقابر اليهود وينبغي أن تبتعد قبورهم ثمانية أذرع عن قبور اليهود الأتقياء. كذلك إذا وجد شخص غريقاً في نهر في مدينة يقطن غالبيتها من اليهود ولم يتم التعرف عليه هل هو من اليهود أم من الجوييم؟ فمن الممكن أن يتم دفنه في مقابر اليهود وينبغي أن يبتعدوا أربع أذرع عن بقية المقابر^(٢). أما اليهودي الذي حكم عليه بالقتل أو الخنق أو الرجم أو الحرق فقد كانوا يدفنونه في مقابر المحكمة، مثلما ورد في المشنا:

**וְדָא הָיוּ קוֹבְרִין אוֹתוֹ בְּקְבָרוֹת אֲבוֹתָיו, אֶלְאִי
שְׁגִי בְּתֵי קְבָרוֹת הָיוּ מְתַקְנִין לְבֵית דִּין, אֶחָד לְנַהֲרָגִין וְלַנְּחַנְקִין,
אֶחָד לְנִסְקָלִין וְלְנִשְׂרָפִין. וְנִמְצָא הַנְּשָׂר מִלְּקָטִין אֵת הַעֲצָמוֹת
וְקוֹבְרִין אוֹתָן בְּמִקְוֵה.**

(٣)

ولم يكن يدفنونه في مقابر آبائه، فقد كانت هناك مقبرتان تابعتان للمحكمة واحدة للقتلى والخنقى والأخرى للمرجومين والمحروقين. وإذا فني جسد (المرجوم) يجمعون عظامه ويدفنونها مكانها (أي بمقابر المحكمة)^(٤). وقد أوصت التوراة بأن يكون دفن الميت اليهودي بواسطة اليهود، ولا يشارك في الدفن غير اليهود، كما شددت الشريعة اليهودية على اليهود عدم

^(١) يחיאל ميכל טוקצינסקי: ספר גשר החיים، חלק א'، עמ' קג.

^(٢) יקותיאל יהודה גרינוואלד: כל בו על אבלות (מבאר ומסדר כל הלכות דינים ומנהגים מיום שנחלה האדם עד תום ימי אבלות)، חלק א'، עמ' קפט، קצ.

^(٣) אליעזר לוי: משנה מפורשת - סדר נזיקין، מסכת סנהדרין، פרק ו'، עמ' רפב.

^(٤) للمزيد ينظر: أ.د/مصطفى عبدالمعبود: ترجمة متن التلمود (المشنا) القسم الرابع: الأضرار، المبحث الرابع: المحكمة العليا، الفصل السادس، ص ١٦٧.

السماح لغير اليهود بالنظر إلى وجه الميت ولا إلى الميت وهو في القبر، حتى وإن كان وجهه مغطى. وإذا استعان أبناء جماعة الحفرا قاديشا بغير اليهود في إحضار الأحجار أثناء عملية الدفن لتغطية القبر، فإنهم يأمرونهم بتركها بعيداً عن القبر حتى لا ينظر أحدهم إلى داخل القبر قبل ردمه بالتراب^(١).

ولا يجب دفن الموتى بجوار بعضهم البعض إلا إذا كان الجدار الذي يفصل بينهم يبلغ طوله ستة أصابع، وإذا كان في الإمكان فإنه يجب أن يشدد على أن يكون الجدار الفاصل يبلغ ارتفاعه ستة طفاحيم أي أشبار^(٢). وقد ورد ارتفاع هذا الجدار في موضع آخر سبعة طفاحيم، كما لا ينبغي دفن ميت بجوار عظام ميت آخر، وكذلك العكس، لكن يدفن الرجل والمرأة مع أبنائهم أو مع أبناء أبنائهم أو أبناء بناتهم. هذه هي القاعدة أن كل صغير قد نام معه في حياته يدفن معه عند موته. إلا أن الابن البالغ على الرغم من أنه يسمح بأن ينام مع والده في حياته، وكذلك البنت البالغة مع والدتها في حياتها، لكن لا ينبغي دفنهم معاً في قبر واحد^(٣). أما الصغار الذين لم يبلغوا سن التكليف فمن الممكن أن يدفن اثنين في قبر واحد إذا دفنا في نفس الوقت^(٤). والمتبع اليوم هو دفن كل شخص بمفرده ليس مع أبنائه ولا بناته، باستثناء المرأة التي ماتت بعد الولادة فإنها تدفن مع طفلها إذا مات ويوضع على ذراعها الأيمن^(٥). كذلك إذا توفي اثنان فإن الذي يموت أولاً يدفن أولاً وإذا كان الأمر صعباً أن يدفن الأول على الفور، لا يجب تأخير الميت الثاني

^(١) يחיאל ميכל טוקצינסקי: ספר גשר החיים، חלק א', עמ' קד.

^(٢) שלמה גאנצפריד: ספר קיצור שלחן ערוך، עמ' ע"א קיח.

^(٣) שלמה מוסאיוב: סדר לה' צומות חקת עולם، חלק שלישי، עמ' ע"א רט.

^(٤) שלמה גאנצפריד: ספר קיצור שלחן ערוך، עמ' ע"א קיח.

^(٥) שמואל בן לא"א ה"ה יחיאל מלול: קונטרס שבילים בדעה (ליקוט דינים ומנהגים

בהלכות קבורה ואבילות שולחן ערוך יורה דעה)، עמ' לו.

وفي حالة ما إذا كانا رجلاً وامرأة تدفن المرأة أولاً. وأما إذا كانا حاخاماً مسناً وامرأة يدفن الحاخام المسن أولاً مهما كان عمر المرأة. وإذا كان الحاخام صغير السن تدفن المرأة أولاً^(١). وذلك على غرار ما سبق الحديث عنه عند خروج الميت من البيت.

ولا ينبغي أن يدفن الشرير أو الآثم المذنب بجوار النقي، طبقاً لما ورد في العهد القديم: "אַל-תַּיַסֵּף עִם-חַטָּאִים נַפְשִׁי؛ וְעִם-אַנְשֵׁי דָמִים חַיִּי". لا تَجْمَعْ مَعَ الْخُطَاةِ نَفْسِي، وَلَا مَعَ رِجَالِ الدِّمَاءِ حَيَاتِي^(٢). إلا إذا كان بينهما فاصل لا يقل عن أربعة أذرع^(٣). كما لا ينبغي دفن اثنين معاً في قبر واحد كانا يكرهان بعضهما في الدنيا في مقبرة العائلة إلا إذا كان قد مر عام كامل على الأول في القبر^(٤). كذلك لا يدفن النقي والآخرى المعتدل الوسطي مع النقي المتشدد^(٥).

أما المرأة التي ورثت مقبرة من عائلتها فمن الممكن أن تدفن فيها، ولكن لا يدفن نسلها في هذه المقبرة، إلا إذا كانت قد شاهدت هذا النسل في حياتها قبل أن تموت. وإذا حدث خلاف بين الزوج ووالد الزوجة في دفن زوجته حيث أراد والدها أن يدفنها في مقابر عائلته، وأراد الزوج أن يدفنها في مقابر عائلته فإنه ينبغي أن تدفن في مقابر عائلة الزوج، وهناك من يقول: إنها تدفن في مقابر

^(١) يקותيال יהודה גרינוואלד: כל בו על אבלות (מבאר ומסדר כל הלכות דינים

ומנהגים מיום שנחלה האדם עד תום ימי אבלות)، חלק א', עמ' קעו.

^(٢) המזמיר: (٩/٢٦)

^(٣) שמואל בן לא"א ה"ה יחיאל מלול: קונטרס שבילים בדעה (ליקוט דינים ומנהגים בהלכות קבורה ואבילות שולחן ערוך יורה דעה)، עמ' לו.

^(٤) שלמה מוסאיוב: סדר לה' צומות חקת עולם، חלק שלישי، עמ' ע"א، ע"ב רט.

^(٥) שלמה גאנצפריד: ספר קיצור שלחן ערוך، עמ' ע"א קיח.

عائلة الأب. أما إذا رفض الزوج أن تدفن زوجته في مقابر عائلته، وكذلك رفض الأب أن تدفن ابنته في مقابر عائلته فإنه ينبغي في هذه الحالة أن تدفن في مقابر عائلة الزوج. وإذا كان لديها أبناء وأوصت بأن تدفن مع أبنائها فإنه ينبغي أن تنفذ وصيتها. أما الأرملة، فإنها إذا أنجبت من زوجها الأول أولاداً، ثم تزوجت بزواج آخر وأنجبت منه أولاداً أيضاً ثم ماتت، فإنها تدفن في مقابر عائلة الزوج الأول^(١). أما عند دفن المرأة التي ماتت أولادها في حياتها فإنهم إذا وجدوا فمها مفتوحاً فلا بد أن يملئوه بالتراب حتى لا تجلب الشر مرة ثانية^(٢). اعتقاداً منهم أن هذا النوع من النساء من الممكن أن يجلب الشر لعائلته بسبب موته بهذه الطريقة.

وقد اعتاد اليهود دفن الرجل بجوار الرجل، والمرأة بجوار المرأة* كما اعتادوا أيضاً دفن الرجل بجوار زوجته. أما إذا كان الرجل متزوجاً من اثنتين وقد أنجب من زوجته الأولى ولم ينجب من الثانية فإنه ينبغي أن يدفن بجوار زوجته الأولى، ولا يجوز دفن الرجل بين امرأتين وكذلك الأمر بالنسبة للزوجة. وإذا كان الرجل له أولاد من الزوجتين فإن معظم المشرعين قد أوجبوا دفنه أيضاً بجوار الأولى إلا إذا أوصى أن يدفن بجوار الزوجة الثانية^(٣).

بعد الانتهاء من الدفن وعند العودة من المقابر

اعتاد كثير من اليهود بعد قيام جماعة الحفرا قاديشا بردم القبر بالتراب أو عندما يستدير الحاضرون مغادرين القبر أن يتلوا صيغة קדיש. وهناك أماكن

^(١) שלמה מוסאיוב: סדר לה' צומות חקת עולם، חלק שלישי، עמ' ע"ב רט.

^(٢) שם: עמ' ע"א רי.

^(٣) שמואל בן לא"א ה"ה יחיאל מלול: קונטרס שבילים בדעה (ליקוט דינים ומנהגים

בהלכות קבורה ואבילות שולחן ערוך יורה דעה)، עמ' לז.

* (وهذا يوجد في الإسلام في نظام المنامة أو الفسقية حيث يكون في المنامة الواحدة

غرفتين واحدة للرجال والثانية للسيدات)

يتلون فيها: **צדוק הדין** قبل الدفن وبعد الدفن يتلون **קדיש**. كما أن هناك أماكن أخرى يتلون فيها: **קדיש** قبل الدفن و**צדוק הדין** بعد الدفن^(١). وبعد ذلك يبتعد المشيعةون أربعة أذرع عن القبر مصطفين صفوفاً وقبل أن يكونوا هذه الصفوف، من الممكن أن يقرأوا الشماع إن استطاعوا. وقد ورد في المشنا، ما نصه:

**ב קברו את המת וקורו, אם יכולים קתחיל וקגמור עד ששא
יגיעו לשורה יתחילו, ואם לאו לא יתחילו. העומדים בשורה,
הפנימים פטורין, והחיצונים חייבין.**
(٢)

إذا دفنوا الميت وعادوا، فإن استطاعوا أن يبدعوا (قراءة الشماع) ويختموها قبل أن يصلوا إلى الصف فلهم أن يبدعوا، وإن لم (يستطيعوا ذلك) فليس لهم أن يبدعوا ويُدعى الواقفون في الصف الخلفي من تلاوة الشماع. أما الواقفون في الصف الأول فإنهم ملزمون بها^(٣).

وينبغي أن لا يقل عدد أفراد الصف عن عشرة رجال ولا يكون من بينهم الحادين، ومن الممكن أن يكونوا صفيين، عدد أفراد كل صف منهم خمسة أفراد، يمر الحاد خالطاً نعله بين هذه الصفوف، ويقوم المشيعةون بتقديم التعازي له. ولا ينبغي عمل هذه الصفوف للمرأة الحادة، ولا للطفل الصغير الحاد الذي لم يبلغ الثالثة عشرة عاماً كما يُكون المشيعةون هذه الصفوف على الميت الذي لا يقل عمره عن ثلاثين يوماً^(٤).

^(١) שלמה موسאיוב: סדר לה' צומות חקת עולם, חלק שלישי, עמ' ע"ב רי, ע"א ריא.

^(٢) אליעזר לוי: משנה מפורשת- סדר זרעים, מסכת ברכות, פרק ג, עמ' לא.

^(٣) للمزيد ينظر: أ.د/مصطفى عبد المعبود: ترجمة متن التلمود (المشنا)، القسم الأول: الزروع، المبحث الأول: البركات، الفصل الثالث، ص ٣٧، ٣٨.

^(٤) יחיאל מיכל טוקצינסקי: ספר גשר החיים, חלק א', עמ' קיב.

وقد اعتادت بعض الطوائف اليهودية أيضاً عند عودتها من المقابر نبش التراب واقتلاع العشب من الأرض، ونثر هذا العشب والتراب الذي يخرج معه عند اقتلعه على ظهورهم^(١)، وعندما ينبشون التراب يقولون: **זְכוּרָהּ, כִּי-לְפָרָהּ אֲנִי תָרַבְנָהּ**. **יִזְכְּרוּ אֲנֵינוּ תְרַבְנָהּ**^(٢). واقتلاع العشب هو رمز لبعث واحياء الموتى كما ورد في العهد القديم: **וַיִּצְיִצּוּ מִעֵירָהּ, כְּעֵשֶׂב הָאָרֶץ. וַיִּזְהְרוּ מִן הָעִירָה מִثַּל עֵשֶׂב הָאָרֶץ**^(٣). بينما لا يتم نثر التراب واقتلاع العشب في أيام الأعياد أثناء تواجدهم في المقابر مثلما يفعلون في الأيام العادية^(٤). ثم بعد ذلك يضع الحاد بعض التراب في نعله ويقوم بلبسه إلى أن يصل إلى بيته إلا أنهم لم يعتادوا ذلك في هذه الأيام^(٥).

وقد اعتاد المشيخون عقب الخروج من المقابر غسل أيديهم ووجوههم من ترابها، ولا يقومون بتنشيفها بالمناشف، بل تترك لتجف وحدها، ومن أجل ذلك اعتادوا أيضاً أن يضعوا ما يشبه خزانات المياه على أبواب المقابر. وينبغي عند الغسل عدم تناول الواحد إناء الماء من يد زميله، بل لابد أن يضع زميله

- שמואל בן לא"א ה"ה יחיאל מלול: קונטרס שבילים בדעה (ליקוט דינים ומנהגים בהלכות קבורה ואבילות שולחן ערוך יורה דעה), עמ' לט.

- חיים בנימין גולדברג: ספר פני ברוך אבלות בהלכה (אוצר דינם ומנהגים הנהוגים במשך שנת האבלות), עמ' סה.

^(١) שלמה מוסאיוב: סדר לה' צומות חקת עולם, חלק שלישי, עמ' ע"א ריא. ועין כך:

- חיים בנימין גולדברג: ספר פני ברוך אבלות בהלכה (אוצר דינם ומנהגים הנהוגים במשך שנת האבלות), עמ' סה.

^(٢) המזמיר: (١٠٣/١٤)

^(٣) המזמיר: (٧٢/١٦)

^(٤) שלמה מוסאיוב: סדר לה' צומות חקת עולם, חלק שלישי, עמ' ע"ב ריא.

^(٥) יחיאל מיכל טוקצינסקי: ספר גשר החיים, חלק א', עמ' קיב.

الإناء على الأرض ويتناوله هو من على الأرض^(١). كما ينبغي أيضاً سكب كل الماء الذي في الأواني بعد ذلك على الأرض، وتترك الأواني فارغة^(٢). ويحظر على أي يهودي أن يدخل بيته أو أي بيت آخر قبل غسل يديه ووجهه، وهو عائد من المقابر، وأن يجلس بعض الوقت في المعبد^(٣). وعن سبب ذلك قال الرابي موسى بن ميمون: إن سبب نثر التراب والعشب وغسل الأيدي بالماء هو إشارة إلى أن هذه النجاسة لا تطهر إلا بالأمر الثلاثة التالية: **אפר פרה**^(٤) رماد البقرة، **מים המاء**، **אזוב**^(٥) الزوفا^(٦). وعند العودة

^(١) שם: עמ' קיג. ועין כך:

- חיים בנימין גולדברג: ספר פני ברוך אבלות בהלכה (אוצר דינם ומנהגים הנהוגים במשך שנת האבלות)، עמ' סו.

^(٢) שמואל בן לא"א ה"ה יחיאל מלול: קונטרס שבילים בדעה (ליקוט דינים ומנהגים בהלכות קבורה ואבילות שולחן ערוך יורה דעה)، עמ' לט.

^(٣) שלמה מוסאיוב: סדר לה' צומות חקת עולם، חלק שלישי، עמ' ע"ב ריא.

^(٤) اسم فصل في التلمود يعالج موضوع الطهارة. עין: דוד שגיב: מילון עברי-ערבי, כרך שני, הוצאת שוקן, ירושלים ותל-אביב, מהדורה שלישית, תשנ"א, עמ' 1456.

^(٥) نبات أريج من الفصيلة الشتوية ينمو على الصخور والجبال. עין: דוד שגיב: מילון עברי-ערבי, כרך ראשון, עמ' מ.

وقد عرفها آخر على أنها نوع من أنواع النباتات العطرية من الفصيلة الشتوية ينمو أيضاً على الصخور والجبال وتستخدم كذلك كنوع من أنواع التوابل ويُعرف بـ **זעתר** زعتر. עין: יהודה פלקיס: הצומח והחי במשנה, הוצאת המכון לחקר המשנה, ירושלים, 1983, עמ' 22. نقلاً عن/ عادين شتينزلتس: معجم المصطلحات التلمودية, ترجمة وتعليق أ.د/مصطفى عبد المعبود, ص ٢٨١.

^(٦) שלמה מוסאיוב: סדר לה' צומות חקת עולם, חלק שלישי, עמ' ע"א ריא.

من المقابر اعتاد المشيخون مرافقة الحادين إلى أن يصلوا إلى منازلهم^(١)، كما ينبغي الرجوع من طريق آخر غير الذي ذهبوا منه^(٢).

نقل الميت من مقبرة إلى أخرى

لا ينبغي نقل الميت ولا حتى عظامه من مقبرة أقل في الإمكانيات إلى مقبرة ذات إمكانيات عالية؛ لأن اليهود اعتقدوا أن هذا الأمر لو تم فإنه من الممكن أن يسبب الضيق والسأم لبقية الموتى الذين تم دفنهم معه في نفس المقبرة التي سوف ينقل منها هذا الميت، حتى لو كان هذا الأمر بناءً على طلب الورثة أنفسهم. كما لا ينبغي نبش القبر بعد ردمه بالتراب لإخراج شيء ما قد سقط من أحد المشيخين أو من الذين يقومون بعملية الدفن. كذلك لا يجوز نبش القبر بناءً على طلب شركة التامين إذا مات الشخص في حادث لمعرفة سبب الوفاة. وهناك بعض كتب الفتاوى التي أجازت ذلك من أجل التيسير، وذلك حينما لا يعرفون هوية الشخص الميت حتى يتم التعرف عليه والسماح لزوجته بالزواج من آخر بعد ذلك، بدلاً من أن تصبح زوجة معلقة*^(٣).

ومثلما أنه لا ينبغي نقل الميت من مقبرة إلى أخرى كذلك فإنه لا ينبغي نقل الميت من مدينة فيها مقابر إلى مدينة أخرى؛ لأن هذا يعد إهانة له بل

^(١) יחיאל מיכל טוקצ'ינסקי: ספר גשר החיים, חלק א', עמ' קיב.

^(٢) חיים בנימין גולדברג: ספר פני ברוך אבלות בהלכה (אוצר דינם ומנהגים הנהוגים במשך שנת האבלות), עמ' סז.

* **עגונה:** מعلقة אی المرأة التي فقدت زوجها ولا يعرف مصيره فهي لا متزوجة ولا مطلقة ولا يمكنها ان تتزوج الا اذا حصلت على وثيقة طلاق أو تبين أنه مات). עיין: דוד שגיב: מילון עברי-ערבי, כרך שני, עמ' 1293.

^(٣) שמואל בן לא"א ה"ה יחיאל מלול: קונטרס שבילים בדעה (ליקוט דינים ומנהגים בהלכות קבורה ואבילות שולחן ערוך יורה דעה), עמ' מ.

إنه يجب أن يدفن في المكان الذي مات فيه^(١). إلا إذا كانت هذه المدينة تقع خارج فلسطين، وكان يرغب في أن يدفن في أرض أباؤه؛ لأن الدفن في فلسطين فريضة عند اليهود حتى وإن مات الشخص خارجها، كما أنهم كانوا يعتقدون أن تراب فلسطين يكفر عن الذنوب، والشخص الذي كان مريضاً بمرض عضال جعله يلزم الفراش ثم مات، وقبل أن يموت أوصى بأن تنقل جثته إلى فلسطين، ينبغي أن تنفذ وصيته حتى وإن لم يكن لورثته رغبة في ذلك. وإذا أوصى حاخام في حياته أن لا تنقل عظامه بعد موته إلى فلسطين، ثم رغب ورثته بعد ذلك في أن ينقلوها إلى هناك فإن عظامه تنقل بالرغم من الوصية^(٢). ويسمح أحياناً بنقل الميت من مكان إلى آخر في بعض الحالات، منها؛ أنه عندما يتم شراء مقبرة كبيرة للعائلة فإنه يسمح بنقل أفراد العائلة إليها، وكذلك يسمح بنقل جثة الزوج ليكون بجوار زوجته، أيضاً يسمح بنقل الشخص من قبره عند نقل المقبرة بالكامل إذا كانت تسبب ضرراً أو أذى للآخرين؛ فعلى سبيل المثال إذا كانت المقبرة على الشارع بصورة مباشرة أو إن كان الشخص قد تم دفنه في مقبرة عن طريق الخطأ، وأخيراً إذا كانت المقبرة ليست لها حراسة كافية وهناك خوف من سرقة جثة الميت من الجويمم لأخذ أعضائه أو إن كان مدفوناً في مقابر الجويمم. ولكن يمنع نقل الميت إلى مكان قريب حتى يتمكن الأبناء من زيارته في مقبرته بسهولة ويسر. وإذا أوصى الشخص بنقله من المقبرة التي يدفن فيها بعد موته إلى مقبرة أخرى تنفذ وصيته ولو بعد عدة سنين^(٣). كما تنفذ وصية الميت إذا أوصى أن يدفن في بيته بدلاً من أن يدفن في المقابر^(٤).

^(١) שלמה גאנצפריד: ספר קיצור שלחן ערוך، עמ' ע"ב ע"ב ק"ח.

^(٢) שלמה מוסאיוב: סדר לה' צומות חקת עולם، חלק שלישי، עמ' ע"א ר"י.

^(٣) שמואל בן לא"א ה"ה יחיאל מלול: קונטרס שבילים בדעה (ליקוט דינים ומנהגים

בהלכות קבורה ואבילות שולחן ערוך יורה דעה)، עמ' מ"מא.

^(٤) שלמה מוסאיוב: סדר לה' צומות חקת עולם، חלק שלישי، עמ' ע"א ר"י.

وفي النهاية ينبغي عند نقل الميت الانتظار حتى يتحلل الجسد لكي يتم نقل العظام فقط، وإذا كان الميت يدفن في التراب بدون تابوت فلا بد من نقل التراب الذي اختلط به جسد الميت بعد تحلله مع عظامه إلى المقبرة التي سوف ينقل إليها^(١).

وبانتهاء الحديث عن نقل الميت من مقبرة إلى أخرى أو من مدينة إلى أخرى تكون مراسم دفن الميت قد انتهت، وتجدر الإشارة إلى أن هناك مصادر يهودية أخرى قد تحدثت عن عملية دفن الميت والعودة من المقابر^(٢). ثم تنتقل الدراسة إلى المرحلة الأخيرة من مراسم الموت، وهي الحداد على الميت وهذا ما ستوضحه الدراسة في الفصل الثالث.

^(١) شموאל بن لا"א ה"ה יחיאל מלול: קונטרס שבילים בדעה (ליקוט דינים ומנהגים

בהלכות קבורה ואבילות שולחן ערוך יורה דעה)، עמ' מב.

^(٢) للمزيد حول دفن الميت والعودة من المقابر ينظر:

- ניסן רובין: קץ החיים (טקסי קבורה ואבל במקורות חז"ל)، עמ' קמ:קמב.
- אליעזר ליזר בר מאיר לאנדסהוטה: סדר בקור חולים מעבר יבק וספר החיים، עמ' צה.
- יחיאל מיכל טוקצינסקי: ספר גשר החיים، חלק שני (שו"ת ובאורים לעניני מעבר החיים הדורשים דיון מיוחד)، עמ' קד:קי.

المبحث الثاني: أحكام الجنازة والدفن في الإسلام

أولاً: أحكام الجنازة

اتفق جمهور الفقهاء على أن تشييع الجنازة سنة مؤكدة، وذهب بعضهم إلى أن ذلك واجب على الكفاية أي فرض كفاية^(١). والذي يظهر أن حمل الجنازة واتباعها واجب على الكفاية؛ لأن ذلك من حق الميت المسلم على المسلمين^(٢)، كما جاءت نصوص السنة بذلك:

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: **(حَمْسٌ تَجِبُ لِلْمُسْلِمِ عَلَى أَخِيهِ: رَدُّ السَّلَامِ، وَتَشْمِيتُ الْعَاطِسِ، وَإِجَابَةُ الدَّعْوَةِ، وَعِيَادَةُ الْمَرِيضِ، وَاتِّبَاعُ الْجَنَائِزِ).**

(٣)

وقد ورد هذا الحديث بصيغة فيها زيادة في نفس هذا الموضع:

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: **(حَقُّ الْمُسْلِمِ عَلَى الْمُسْلِمِ سِتٌّ. قِيلَ: مَا هُنَّ؟ يَا رَسُولَ اللَّهِ! قَالَ: إِذَا لَقِيْتَهُ فَسَلِّمْ عَلَيْهِ، وَإِذَا دَعَاكَ فَاجِبْهُ، وَإِذَا اسْتَنْصَحَكَ فَانصَحْ لَهُ، وَإِذَا عَطَسَ فَحَمِدِ اللَّهَ فَسَمِّتْهُ. وَإِذَا مَرِضَ فَعُدَّهُ، وَإِذَا مَاتَ فَاتَّبِعْهُ).**

(١)

^(١) عبدالرحمن الجزيري: كتاب الفقه على المذاهب الأربعة، الجزء الأول، دار الكتب العلمية (بيروت-لبنان)، الطبعة الثانية، ٢٠٠٣م، ص ٤٨٢.

^(٢) عبدالله بن محمد الطيار: الفقه الميسر، الجزء الأول، مدار الوطن للنشر-الرياض، الطبعة الثانية، ٢٠١٢م، ص ٤٩٣.

^(٣) صحيح مسلم: ٣٩-كتاب السلام، (٣)-باب: من حق المسلم للمسلم رد السلام حديث ٤-(٢١٦٢) ص ٨٩٢. وانظر أيضاً: صحيح البخاري: ٦/٢٣-كتاب الجنائز، ٢/٢-باب الأمر بإتباع الجنائز، حديث ١٢٤٠، ص ١٦٧.

كما ورد بصيغة أخرى فيها زيادة أيضاً، لكن في موضع آخر:

عَنْ الْبَرَاءِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ

قَالَ: أَمَرَنَا النَّبِيُّ ﷺ بِسَبْعٍ وَنَهَانَا عَنْ سَبْعٍ: أَمَرَنَا بِاتِّبَاعِ الْجَنَائِزِ، وَعِيَادَةِ الْمَرِيضِ، وَإِجَابَةِ الدَّاعِي، وَنَضْرِ الْمَظْلُومِ، وَإِزْرَارِ الْقَسَمِ، وَرَدِّ السَّلَامِ، وَتَشْمِيتِ الْعَاطِسِ، وَنَهَانَا عَنْ آنِيَةِ الْفِضَّةِ، وَخَاتَمِ الذَّهَبِ، وَالْحَرِيرِ، وَالذَّبَّاجِ، وَالْقَسِيِّ، وَالْإِسْتَبْرَقِ.

(٢)

وكما ورد أن تشييع الجنازة أو إتباعها سنة، فهناك من يقول: إنه يكون على مرتين^(٣):

الأولى: إتباعها من عند أهلها، حتى الصلاة عليها.

الثانية: إتباعها من عند أهلها، حتى يفرغ من دفنها.

وقد فعل رسول الله -صلى الله عليه وسلم- كل منهما، فعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال:

^(١) صحيح مسلم: ٣٩-كتاب السلام، (٣)-باب: من حق المسلم للمسلم رد السلام حديث ٥-(٢١٦٢) ص ٨٩٣.

^(٢) صحيح البخاري: ٢٣-كتاب الجنائز، ٢/٢-باب الأمر بإتباع الجنائز، حديث ١٢٣٩، ص ١٦٧.

^(٣) محمد ناصر الدين الألباني: أحكام الجنائز ويدعها، ص ٨٧. وانظر أيضاً: - حسين بن عودة العوايشة: الموسوعة الفقهية الميسرة في فقه الكتاب والسنة المطهرة، الجزء الرابع، المكتبة الإسلامية (عمان-الأردن) ودار ابن حزم (بيروت-لبنان)، الطبعة الأولى، ٢٠٠٢م، ص ٨٩.

كُنَّا

مَقْدِيمَ النَّبِيِّ ﷺ إِذَا حُضِرَ مِنَّا الْمَيِّتُ آذْنَا النَّبِيَّ ﷺ، فَحَضَرَهُ وَاسْتَغْفَرَ لَهُ، حَتَّى إِذَا قُبِضَ انصَرَفَ النَّبِيُّ ﷺ وَمَنْ مَعَهُ حَتَّى يُدْفَنَ، وَرُبَّمَا قَعَدَ وَمَنْ مَعَهُ حَتَّى يُدْفَنَ، وَرُبَّمَا طَالَ حَبْسُ ذَلِكَ عَلَى نَبِيِّ اللَّهِ ﷺ، فَلَمَّا خَشِينَا مَشَقَّةَ ذَلِكَ عَلَيْهِ، قَالَ بَعْضُ الْقَوْمِ لِبَعْضٍ: لَوْ كُنَّا لَا نُؤَذِّنُ النَّبِيَّ ﷺ بِأَحَدٍ حَتَّى يُعْبَضَ، فَإِذَا قُبِضَ آذَنَاهُ، وَلَمْ يَكُنْ عَلَيْهِ فِي ذَلِكَ مَشَقَّةٌ وَلَا حَبْسٌ؟ فَفَعَلْنَا ذَلِكَ، فَكُنَّا نُؤَذِّنُهُ [٣٩/٤] بِالْمَيِّتِ بَعْدَ أَنْ يَمُوتَ فَيَأْتِيهِ وَيُصَلِّي عَلَيْهِ، وَرُبَّمَا انصَرَفَ وَرُبَّمَا مَكَثَ حَتَّى يُدْفَنَ الْمَيِّتُ، وَكُنَّا عَلَى ذَلِكَ حَيثًا، ثُمَّ قُلْنَا: لَوْ لَمْ نُشَخِّصِ النَّبِيَّ ﷺ وَحَمَلْنَا جِنَازَتَنَا إِلَيْهِ حَتَّى يُصَلِّيَ عَلَيْهِ عِنْدَ بَيْتِهِ، لَكَانَ ذَلِكَ أَرْفَقَ بِهِ؟ فَفَعَلْنَا فَكَانَ ذَلِكَ الْأَمْرُ إِلَى الْيَوْمِ .

(١)

ولا شك في أن المرتبة الثانية أفضل من الأولى، فعن أبي هريرة أن النبي - صلى الله عليه وسلم - قال:

«مَنْ شَهِدَ الْجِنَازَةَ [مِنْ بَيْتِهَا]، (وفي رواية: مَنْ اتَّبَعَ جِنَازَةَ مُسْلِمٍ إِيْمَانًا وَاحْتِسَابًا) حَتَّى يُصَلِّيَ عَلَيْهَا فَلَهُ قِيرَاطٌ، وَمَنْ شَهِدَهَا حَتَّى تُدْفَنَ، (وفي الرواية الأخرى: يُفْرَغُ مِنْهَا) فَلَهُ قِيرَاطَانِ [مِنَ الْأَجْرِ]، قِيلَ: [يَا رَسُولَ اللَّهِ] وَمَا الْقِيرَاطَانِ؟ قَالَ: مِثْلُ الْجَبَلَيْنِ الْعَظِيمَيْنِ. (وفي الرواية الأخرى: كُلُّ قِيرَاطٍ مِثْلُ أَحَدٍ)».

(٢)

وهناك من يقول أن إتباع الجنابة يكون على ثلاثة أضرب^(١):

^(١) السنن الكبير: كتاب الجنائز، باب من كره النعي والإيدان والقدر الذي لا يكره منه، ٧٤/٤، حديث ٧٢٦١، ص ٥٠٩. وانظر أيضًا: المستدرک علی الصحیحین: کتاب الجنائز، ٣٦٥/١، حديث ١٣٤٩/٨٥، ص ٥١٩.

^(٢) محمد ناصر الدين الألباني: أحكام الجنائز ويدعها، ص ٨٨. وانظر أيضًا:

- صحيح مسلم، ١١-كتاب الجنائز، ١٧-باب: فضل الصلاة على الجنابة وإتباعها، حديث ٩٤٥، ص ٣٦٦، ٣٦٧.

- صحيح البخاري: ٢٣-كتاب الجنائز، ٥٨/٥٨-باب من انتظر حتى تدفن، حديث ١٣٢٥، ص ١٧٨.

أحدهما: أن يصلي وينصرف.

والثاني: أن يتبعها إلى القبر ثم يقف حتى تدفن لما روى أبو هريرة رضي الله عنه في الحديث السابق.

الثالث: أن يقف بعد الدفن يستغفر له، ويسأل الله له التثبيت، لما روي عن عثمان بن عفان رضي الله عنه، قال:

كان النبي ﷺ إذا فرغ من دفن الميت

وقف عليه فقال: «اسْتَغْفِرُوا لِأَخِيكُمْ وَسَلُّوا لَهُ بِالتَّثْبِيتِ؛ فَإِنَّه الآن يُسأل»

(٢)

حكم تشييع الجنازة للرجال والنساء

وفضل حمل الجنازة للرجال دون النساء؛ لأن حمل الجنازة بر وكرام للميت، ولا يتولاه غير الرجال حتى وإن لم يكن الميت ذكراً، والإزاء بالميت والاستهانة به حرام، فلا يجوز الحمل على الهيئة المزرية ولا على وجه يخاف منه السقوط، فيجب أن يكون الحملة أقوياء بحيث يؤمن من حملهم السقوط، وكذا الواضعون في القبر^(٣). فعن سعيد المقبري عن أبيه:

أَنَّهُ سَمِعَ أَبَا سَعِيدِ الْخُدْرِيِّ يَقُولُ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِذَا وُضِعَتِ الْجَنَازَةُ فَاحْتَمَلَهَا الرِّجَالُ عَلَى أَعْتاقِهِمْ فَإِنْ كَانَتْ صَالِحَةً قَالَتْ قَدُمُونِي قَدُمُونِي وَإِنْ كَانَتْ غَيْرَ صَالِحَةٍ قَالَتْ يَا وَيْلَهَا إِلَى أَيْنَ تَذْهَبُونَ بِهَا يَسْمَعُ صَوْتَهَا كُلَّ شَيْءٍ إِلَّا الْإِنْسَانَ وَلَوْ سَمِعَهَا الْإِنْسَانُ لَصَعِقَ.

(٤)

(١) موفق الدين عبدالله بن قامة المقدسي: الكافي في فقه الإمام أحمد بن حنبل، ص ٣٦٩.

(٢) سنن أبي داود: ١٥- كتاب الجنائز، ٧٣- باب الاستغفار عند القبر للميت، حديث ٣٢٢١، ص ١٢٧.

(٣) يوسف بن إبراهيم الأربيلي: الأنوار لأعمال الأبرار، ص ٢٣٨.

(٤) سنن النسائي: ٢١- كتاب الجنائز، ٤٤- السرعة بالجنازة، حديث ١٩٠٩، ص ٢١٧.

وقد اختلف الفقهاء في حكم تشييع النساء للجنائز؛ فالحنفية(في حاشية ابن عابدين) قالوا: لا ينبغي لهن أن يخرجن في الجنائز. وذهب الشافعية(في المجموع) والحنابلة(في غاية المنتهى) إلى كراهة تشييع المرأة للجنائز، وذهب المالكية(في الشرح الصغير) إلى جواز خروج كبيرة السن مطلقاً، وكذا الشابة ممن لا تخشى فتنتها لجنائز من عظمت مصيبتة عليها؛ كأب وأم وزوج وابن ونحو ذلك، أما من تخشى فتنتها فيحرم خروجها مطلقاً. والصحيح أنه لا يجوز للمرأة مطلقاً إتباع الجنائز، لا جنازة قريب ولا بعيد، فعن أم عطية رضي الله عنها قالت: "نهينا عن إتباع الجنائز ولم يعزم علينا" والنهي هنا للتحريم^(١)، بينما ورد عند الألباني أنه نهي تنزيه^(٢).

كيفية حمل النعش

وقد تعددت الآراء في حمل الجنائز عن أيهما أفضل التربيح أم الحمل بين العمودين على النحو التالي:

- التربيح في حمل الجنائز أفضل من حملها بين العمودين. وفي صفة التربيح روايتان:

إحداهما: أن يبدأ بقائمة السرير التي على يمين الميت من عند رأسه فيضعها على عاتقه الأيمن، ثم يتأخر إلى اليمنى من عند رجله فيضعها على عاتقه الأيمن أيضاً، ثم يدور على الجانب الآخر فيضع القائمة التي عند رأس الميت على عاتقه الأيسر، ثم يتأخر إلى القائمة التي عند رجله فيضعها كذلك.

^(١) عبدالله بن محمد الطيار: الفقه الميسر، ص ٤٩٣، ٤٩٤.

^(٢) محمد ناصر الدين الألباني: أحكام الجنائز ويدعها، ص ٩٠.

والرواية الأخرى: يضع قوائم السرير على عاتقيه كما تم وصفه من قبل، إلا أنه يوالي بين قائمتي السرير التي عند رجلي الميت، ويختم بالرأس، فتكون بدايته بالرأس وخاتمته به.

وصفة الحمل بين العمودين: أن يقف بينهما، ويضع كل واحد من العمودين على عاتقه^(١).

• ويستحب الترييع في حمله، وهو أن يضع قائمة السرير اليسرى المقدمة على كتفه اليمنى، ثم ينتقل إلى المؤخرة، ثم يضع قائمة اليمنى المقدمة على كتفه اليسرى، ثم ينتقل إلى المؤخرة، وإن حمل بين العمودين فحسن^(٢).

• والحمل بين العمودين أفضل من الترييع، وهو أن يتقدم رجلان ويتأخر رجلان، فإن لم يستقل المتقدم أعانه آخران خارج العمودين، والأولى أن يتقدم رجل ويضع العمودين على عاتقيه، والخشبة المعترضة بينهما على كتفيه، ويحمل آخر النعش آخران: أحدهما عن اليمين والآخر عن اليسار^(٣).

• ويجوز حمل جنازة بين العمودين، وهو أن يجعل الحامل رأسه بين عمودي مقدمة النعش، ويجعلهما علي كاهله، ويجوز الحمل من الجوانب الأربعة فيبدأ بياسرة المقدمة فيضع العمود علي عاتقه الأيمن، ثم يجيء إلى ياسرة المؤخرة فيضع العمود علي عاتقه الأيمن، ثم يأخذ يامنة المقدمة فيضع العمود علي عاتقه الأيسر، ثم يجيء إلى يامنة المؤخرة فيضع العمود علي عاتقه الأيسر، والحمل بين العمودين أفضل لأن النبي صلى الله عليه وسلم - حمل جنازة سعد بن معاذ

^(١) نصير الدين محمد بن عبدالله السامري الحنبلي: المستوعب، ص ٣١٤.

^(٢) موفق الدين عبدالله بن أحمد بن قدامة المقدسي: المقنع في فقه إمام السنة أحمد بن حنبل الشيباني رضي الله عنه، ص ٤٩.

^(٣) يوسف بن إبراهيم الأربيلي: الأنوار لأعمال الأبرار، ص ٢٣٨.

بين العمودين، ولأنه روي ذلك عن عثمان وسعد بن أبي وقاص وأبي هريرة وابن الزبير رضي الله عنهم^(١).

ويبدو أن فقهاء الحنابلة قد فضلوا الترييع على الحمل بين العمودين وذلك طبقاً لما ورد في الرأيين الأول والثاني، أما فقهاء الشافعية فقد فضلوا الحمل بين العمودين على الترييع، وهذا ما اتضح من الرأيين الثالث والرابع.

تحريم حمل الجنازة على عربة مخصصة لها:

وأما حمل الجنازة على عربة أو سيارة مخصصة للجنازة، وتشجيع المشيعين لها وهم في السيارات، فهذه الصورة لا تشرع البتة، وذلك لأمر:
الأول: أنها من عادات الكفار وقد تقرر أنه لا يجوز تقليدهم فيها.
الثاني: أنها بدعة في عبادة، مع معارضتها للسنة العملية في حمل الجنازة، وكل ما كان كذلك من المحدثات، فهو ضلالة اتفاقاً.

الثالث: أنها تفوت الغاية من حملها وتشجيعها، وهي تذكرة الآخرة، كما نص على ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم: "عودوا المريض، واتبعوا الجنازة، تذكركم الآخرة"

الرابع: أنها سبب قوي لتقليل المشيعين لها، والراغبين في الحصول على الأجر.

الخامس: أن هذه الصورة لا تتفق لا من قريب ولا من بعيد مع ما عرف عن الشريعة المطهرة السمحة من البعد عن الشكليات والرسميات، لاسيما في مثل هذا المر الخطير: الموت^(٢).

^(١) أبو إسحاق الشيرازي: المهذب في فقه الإمام الشافعي، ص ٢٥١، ٢٥٢.

^(٢) محمد ناصر الدين الألباني: أحكام الجنازة وبدعها، ص ٩٩، ١٠٠. وانظر أيضاً:

حكم من رأى جنازة تمر أمامه

ويستحب لمن مرت به جنازة أو رآها أن يقول: سبحان الحي الذي لا يموت، أو: لا إله إلا الله الحي القيوم الذي لا يموت. وأن يدعو لها ويثني عليها بالخير إن كانت أهلاً له بلا مجازفة، ويجوز ذكر مساوئ أموات الكفار والمسلمين المعلنين بفسق أو بدعة لحاجة كالتحذير والتنفير من حالهم، وبلا حاجة يحرم^(١).

واختلف الفقهاء في حكم القيام لها؛ فالجمهور لا يرون القيام لها إلا إذا أراد أن يشهدها، وعلى هذا أكثر أهل العلم، وذلك لأن القيام لها منسوخ، فعند مسلم من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: "قام رسول الله صلى الله عليه وسلم - ثم قعد"^(٢)، وهذا هو آخر الأمرين منه صلى الله عليه وسلم. وذهب النووي (في المجموع) إلى أن المختار هو استحباب القيام؛ لقوله صلى الله عليه وسلم:

عَنْ عَامِرِ بْنِ رَبِيعَةَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِذَا رَأَيْتُمُ الْجَنَازَةَ فَقُومُوا لَهَا، حَتَّى تُخَلَّفَكُمْ أَوْ تُوَضَّعَ».

(٣)

- حسين بن عودة العوايشة: الموسوعة الفقهية الميسرة في فقه الكتاب والسنة المطهرة، ص ٩٩، ١٠٠.

- أبو مالك كمال بن السيد سالم: صحيح فقه السنة وأدلته وتوضيح مذاهب الأئمة، ص ٦٣٥.

^(١) يوسف بن إبراهيم الأردبيلي: الأئوار لأعمال الأبرار، ص ٢٣٩.

^(٢) صحيح مسلم: ١١-كتاب الجنائز، ٢٥-باب: نسخ القيام للجنازة، حديث ٨٢-(٩٦٢)، ص ٣٧٢.

^(٣) صحيح مسلم: ١١-كتاب الجنائز، ٢٤-باب: القيام للجنازة، حديث ٧٣-(٩٥٨)، ص ٣٧٠، ٣٧١.

وذهب أحمد(في غاية المنتهى) في رواية عنه: أنه مخير بين القيام والقعود. والذي يظهر -والله أعلم- أن الوقوف للجنائز هو المستحب؛ لعموم قوله - صلى الله عليه وسلم: "إذا رأيتم الجنائز فقوموا لها"، ومن تركه فلا حرج؛ لفعل النبي -صلى الله عليه وسلم- الأمرين^(١).

ويستحب الإسراع بالجنائز، وأن يتقدمها المشاة ويتبعها الركبان^(٢)، ويتضح ذلك من حديث رسول الله -صلى الله عليه وسلم:

عَنْ أَبِي
هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «أَسْرِعُوا بِالْجِنَازَةِ، فَإِنَّ
تَكَّ صَالِحَةً فَخَيْرٌ تُقَدِّمُونَهَا، وَإِنْ يَكُّ سِوَى ذَلِكَ، فَشَرٌّ
تَضَعُونَهُ عَنْ رِقَابِكُمْ».

(٣)

وظاهر الأمر من الحديث هنا هو الوجوب، أي وجوب السرعة بالجنائز، ولكن ليس كذلك، فقد جاء في الروضة الندية أن المراد القصد في المشي وليس الإفراط، حيث إن الأحاديث المصرحة بمشروعية الإسراع ليس المراد بها الإفراط في المشي الخارج عن الاعتدال. والأحاديث التي فيها الإرشاد إلى القصد، ليس المراد بها الإفراط في البطء، فيجمع بين الأحاديث بسلوك طريقة

- صحيح البخاري: ٢٣-كتاب الجنائز، ٤٦/٤٦-باب القيام للجنائز، حديث ١٣٠٧، ص ١٧٦.

^(١) عبدالله بن محمد الطيار: الفقه الميسر، ص ٤٩٨، ٤٩٩.

^(٢) نصير الدين محمد بن عبدالله السامري الحنبلي: المستوعب، ص ٣١٤. وانظر أيضاً:
- مجد الدين ابن تيمية: المحرر في القه على مذهب الإمام أحمد بن حنبل، المجلد الأول، من إصدارات وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد-السعودية، د.ت، ص ٢٠١، ٢٠٢.

^(٣) صحيح البخاري: ٢٣-كتاب الجنائز، ٥١/٥١-باب السرعة بالجنائز، حديث ١٣١٥، ص ١٧٧.

وسطى بين الإفراط، والتفريط يصدق عليها أنه إسراع بالنسبة إلى الإفراط في البطء، وأنها قصد بالنسبة إلى الإفراط في الإسراع، فيكون المشروع دون الخبب، وفوق المشي الذي يفعله من يمشي في غير مهم^(١).

ويجوز المشي أمام الجنازة وخلفها، وعن يمينها ويسارها، على أن يكون قريباً منها، إلا الراكب فيسير خلفها، ويتضح ذلك من حديث رسول الله -صلى الله عليه وسلم:

قال: «الراكبُ يَسِيرُ خَلْفَ الْجَنَازَةِ، وَالْمَاشِي

يَمْشِي خَلْفَهَا وَأَمَامَهَا، وَعَنْ يَمِينِهَا وَعَنْ يَسَارِهَا، قَرِيباً مِنْهَا، وَالسَّقَطُ يُصَلِّي عَلَيْهِ، وَيُدْعَى لِوَالِدَيْهِ بِالْمَغْفِرَةِ وَالرَّحْمَةِ»^(٢)

وكل من المشي أمامها وخلفها ثبت عن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- فعلاً، كما قال أنس بن مالك -رضي الله عنه:

عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ قَالَ كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَأَبُو بَكْرٍ وَعُمَرُ وَعُثْمَانُ يَمْشُونَ أَمَامَ الْجَنَازَةِ.^(٣)

لكن المشي خلفها أفضل لما ورد من قول رسول الله -صلى الله عليه وسلم- بإتباع الجنائز: "عودوا المريض، واتبعوا الجنائز، تذكركم الآخرة" وقد سبق ذكره.

ويؤيد ذلك أيضاً قول علي رضي الله عنه:

^(١) محمد صديق البخاري: الروضة الندية شرح الدرر البهية، تقديم وتعليق وتخريج/محمد صبحي حسن، الجزء الأول، مكتبة الكوثر-الرياض ودار الأرقم (برمنجهام-بريطانيا)، الطبعة الثانية، ١٩٩٣م، ص ٤٣٠.

^(٢) سنن أبي داود: كتاب الجنائز، ٥٠-باب الإسراع بالجنازة، حديث ٣١٨١، ص ٩١.

^(٣) سنن ابن ماجه: ٦-كتاب الجنائز، ١٦-باب ما جاء في المشي أمام الجنازة، حديث ١٤٨٣، ص ١٦٣.

عن أبي فروة

الجُهَنِيُّ قَالَ: سَمِعْتُ زَائِدَةَ يُحَدِّثُ عَنْ ابْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ أَبْرَى، عَنْ أَبِيهِ، أَنَّ أَبَا بَكْرٍ وَعُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا كَانَا يَمْشِيَانِ أَمَامَ الْجِنَازَةِ، وَكَانَ عَلِيُّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يَمْشِي خَلْفَهَا، فَقِيلَ لِعَلِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: إِنَّهُمَا يَمْشِيَانِ أَمَامَهَا. فَقَالَ: إِنَّهُمَا يَعْلَمَانِ أَنَّ الْمَشِيَّ خَلْفَهَا أَفْضَلُ مِنَ الْمَشِيِّ أَمَامَهَا كَفَضْلِ صَلَاةِ الرَّجُلِ فِي جَمَاعَةٍ عَلَى صَلَاتِهِ فِدًّا، وَلَكِنَّهُمَا سَهْلَانِ يَسْهَلَانِ لِلنَّاسِ .

(١)

والذي يظهر أن كل ذلك في الفضل سواء، فالأمر فيه سعة، وذلك لحصول الأمرين منه صلى الله عليه وسلم.

وعن الركوب خلف الجنازة أو المشي أفضل؛ فالركوب لا بأس به أي يجوز، لكن المشي أفضل، وذلك لأنه المعهود عنه صلى الله عليه وسلم، ولم يرد أنه ركب معها، ويؤيد ذلك هذا الحديث:

عن ثوبان، أن

النَّبِيِّ ﷺ شَخَّ جِنَازَةً فَأَتَى بِدَائِبَةٍ فَأَبَى أَنْ يَرْكَبَهَا، فَلَمَّا انصَرَفَ أَتَى بِدَائِبَةٍ فَرَكَبَهَا، فَقِيلَ لَهُ، فَقَالَ: «إِنَّ الْمَلَائِكَةَ كَانَتْ تَمْشِي، فَلَمْ أَكُنْ لِأَرْكَبْ وَهُمْ يَمْشُونَ، فَلَمَّا ذَهَبُوا- أَوْ قَالَ: عَرَجُوا- وَرَكِبْتُ» .

(٢)

وأما الركوب بعد الانصراف عنها؛ فجازز بدون كراهة؛ لحديث ثوبان المذكور آنفاً، ومثله حديث:

(١) السنن الكبير: كتاب الجنائز، باب المشي خلفها، ٢٥/٤، حديث ٦٩٤٩، ص ٣٤٣.

(٢) السابق: كتاب الجنائز، باب الركوب عند الانصراف من الجنازة، ٢٣/٤، حديث ٦٩٣٥،

عَنْ جَابِرِ ابْنِ سَمُرَةَ، قَالَ: صَلَّى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَلَى ابْنِ الدَّحْدَاحِ، ثُمَّ أَتَى بِقَرَسِ عُرْيٍ، فَعَقَلَهُ رَجُلٌ فَرَكِبَهُ، فَجَعَلَ يَتَوَقَّصُ بِهِ، وَتَحَنُّنُ تَبِعُهُ، تَسْمَعِي خَلْفَهُ، قَالَ فَقَالَ رَجُلٌ مِنَ الْقَوْمِ: إِنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: (كَمْ مِنْ عَذْقٍ مُعَلَّقٍ (أَوْ مُدَلِّيٍّ) فِي الْجَنَّةِ لِابْنِ الدَّحْدَاحِ).^(١) أَوْ قَالَ شُعْبَةَ: (لَأَبِي الدَّحْدَاحِ).

(١)

ويستحب أن يتخذ للمرأة سترة تسترها كالقبة أو الخيمة، وتحرم النياحة والصياح وراء الجنازة وكذا القراءة بالتمطيط بالإجماع، ومن تمكن من المنع ولم يمنع فسق. ويكره إتباع الجنازة بنار في مجمرة أو غيرها، وكذا اللغط في المشي معها، والحديث في أمور الدنيا، والسكوت حال السير وترك الصوت بقراءة أو ذكر أو غير ذلك، بل المستحب للمشيح التفكير في الموت وما بعده وفناء الدنيا، والتأمل في عاقبة أمره.

لحديث أبي داود (٣١٧١) عن أبي هريرة

رضي الله عنه، عن النبي ﷺ قال: «لَا تَتَّبِعُ الْجَنَازَةَ بِصَوْتٍ وَلَا نَارٍ».^(٢)

^(١) صحيح مسلم: ١١-كتاب الجنائز، (٢٨)-باب: ركوب المصلي على الجنازة إذا

انصرف، حديث ٨٩- (٩٦٥)، ص ٣٧٤. للمزيد حول المشي أمام الجنازة وخلفها ينظر:

- محمد ناصر الدين الألباني: أحكام الجنائز وبدعها، ص ٩٤: ٩٨.

- أبو مالك كمال بن السيد سالم: صحيح فقه السنة وأدلته وتوضيح مذاهب الأئمة، ص ٦٣٦، ٦٣٧.

- حسين بن عودة العوايشة: الموسوعة الفقهية الميسرة في فقه الكتاب والسنة المطهرة، ص ٩٧، ٩٨.

- عبدالله بن محمد الطيار: الفقه الميسر، ص ٤٩٤، ٤٩٥.

^(٢) يوسف بن إبراهيم الأربيلي: الأنوار لأعمال الأبرار، ص ٢٣٨، ٢٣٩. وانظر أيضًا:

- مصطفى الخن ومصطفى البغا: الفقه المنهجي على مذهب الإمام الشافعي، ص ٢٥٩.

ويحرم إتباع الجنازة بمنكر؛ كالطبل والعزف الحزين على الآلة، والتصفيق كما يفعل ذلك في بعض البلدان الإسلامية تقليدًا للكفار، فهؤلاء جمعوا بين أمرين:

الأول: فعل محرم، وذلك بالعزف على الآلات الموسيقية أمام الجنازة أو خلفها.

الثاني: التشبه بالنصارى فإن من عاداتهم رفع الأصوات بأناجيلهم وأذكارهم مع التمثيط والتلحين والتحزين^(١).

وقد ذهب الفقهاء إلى كراهية الجلوس لمشييع الجنازة قبل وضعها؛ وذلك لما جاء عن النبي صلى الله عليه وسلم:

عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخَدْرِيِّ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: (إِذَا رَأَيْتُمُ الْجَنَازَةَ فَقُومُوا فَمَنْ تَبِعَهَا فَلَا يَجْلِسُ حَتَّى تُوَضَعَ).

(٢)

وذلك لأن الجلوس قبل وضعها ازدراء بها، فإذا وضعت في القبر فلا بأس بالجلوس.

وهناك بعض البدع في مجتمعنا منذ الخروج بالجنازة وحتى الصلاة عليه ومنها؛ اعتقاد بعض الناس أن الجنازة إذا كانت سالحة خف وزنها، الإبطاء في السير بها، والتزاحم على النعش، وترك الاقتراب من الجنازة، وكذلك ترك الإنصات في الجنازة، والذكر خلف الجنازة بالجلالة أو البردة أو الأسماء الحسنى، والطواف بالجنازة خلف الأضرحة، وحمل بعض الأموات على عربة

^(١) عبدالله بن محمد الطيار: الفقه الميسر، ص ٤٩٨.

^(٢) صحيح مسلم: ١١-كتاب الجنائز، ٢٤-باب: القيام للجنازة، حديث ٧٧-(٩٥٩)، ص ٣٧١.

المدفع^(١). وكل ما يخالف آداب التشييع التي ذكرت فهي بدع ينبغي التحرز منها، كتشييع الجنازة راكباً، وكرفع الأصوات معها كما ورد من قبل، وحمل الأكاليل ونحوها مع الجنازة فهي بدعة محرمة، تسالت على المسلمين تقليدا لعادات الكافرين في مراسيم جنازتهم وفيها ما فيها من إضاعة المال دون فائدة والمفاخرة والمباهاة^(٢).

صلاة الجنازة

والصلاة على الميت فرض كفاية، لأمره النبي -صلى الله عليه وسلم في

هذا الحديث:

عَنْ زَيْدِ بْنِ خَالِدِ الْجُهَنِيِّ قَالَ تَوَقَّي رَجُلٌ مِنْ أَشْجَعٍ بِحَبِيرٍ فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ صَلُّوا عَلَيَّ صَاحِبِكُمْ فَإِنَّكَرَ النَّاسُ ذَلِكَ وَتَغَيَّرَتْ لَهُ وَجُوهُهُمْ فَلَمَّا رَأَى ذَلِكَ قَالَ إِنَّ صَاحِبِكُمْ عَلٌّ فِي سَبِيلِ اللَّهِ.

قَالَ زَيْدٌ قَالْتُمْسُوا فِي مَنَاعِهِ فَإِذَا حَرَزَاتٍ مِنْ حَرَزِ يَهُودَ مَا تُسَاوِي

دِرْهَمَيْنِ -

(٣)

إلا أنها واجبة على من حضره وعلم به من المسلمين، وإن قام بها منهم أقل جماعة سقط وجوبها عن غيرهم، ولم يخرج متخلفهم عنها، وفاز فاعل ذلك بأجرها وهكذا، كالجهاد لا يستوي القاعد عنه والقائم به^(٤). وهي جائزة في كل وقت إلا عند طلوع الشمس وعند غروبها؛ لأنها لما لم يكن لها وقت راتب كأوقات الفرائض المرتبة جازت في جميع الأوقات، وكرهت عند طلوع الشمس وغروبها لنهي النبي -صلى الله عليه وسلم- عنها في هذين الوقتين بنهيه عن

^(١) أيمن بن علي موسى: روضة المنتزه شرح بداية المتفقه، الجزء الأول، دار ابن رجب ودار الفوائد-القاهرة، الطبعة الأولى، ٢٠١٠م، ص ٣٩٨، ٣٩٩.

^(٢) مصطفى الخن ومصطفى البغا: الفقه المنهجي على مذهب الإمام الشافعي، ص ٢٦١.

^(٣) سنن ابن ماجه ٣١٠

^(٤) أبو عمر يوسف القرطبي: الكافي في فقه أهل المدينة المالكي، ص ٨٤.

الصلوات فيها عمومًا. وهذا إذا أمن عدم تغيرها، فإن خيف ذلك صلى عليها في أي وقت كان؛ لأن النهي مضمّن بالسلامة والأمن من هتك الحرمة، فإذا لم يؤمن ذلك زال المنع، ولأنه لو منع ذلك مع الخوف لم يخل من أحد أمرين: إما أن يدفن بغير صلاة وذلك ممنوع، أم أن ينتظر به ذهاب هذه الأوقات فيؤدي إلى هتك الحرمة، وذلك ممنوع أيضًا^(١).

من هو الذي تشرع عليه صلاة الجنازة؟

يشترط فيمن يصلى عليه أمر، منها؛ أن يكون ميتًا، فلو وجد بعض مسلم ولم يعلم موته لم يجب الغسل والتكفين ولا الصلاة عليه ولا الدفن، وإن علم موته لكن أكله السبع وجب. ولو وجد ميت أو بعضه في دار الإسلام ولم يعلم أنه مسلم أو كافر غُسل وكُنَّ وصلى عليه وُدُنَّ حتمًا. ومتى تمت الصلاة على العضو ينوى الصلاة على الميت لا على العضو، وأن يكون مسلمًا، فلا يجوز الصلاة على الكافر^(٢).

لقول الله تعالى: ﴿وَلَا تُصَلِّ عَلَىٰ أَحَدٍ مِّنْهُمْ مَّتَّ أَبَدًا

وَلَا تُقُمْ عَلَىٰ قَبْرِهِ إِنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ﴾^(٣)

وذلك لأن الصلاة لطلب المغفرة، والكافر لا يغفر له، فلا معنى للصلاة عليه، ويجوز غسله وتكفينه وقد سبق الحديث عن ذلك، لأن النبي صلى الله عليه وسلم - أمر عليًا - عليه السلام - أن يغسل أباه وأعطاه قميصه ليكفن به عبدالله بن أبي سلول، وإن اختلط المسلمون بالكفار ولم يتميزوا صلوا على

^(١) عبد الوهاب البغدادي: المعونة على مذهب عالم المدينة "الإمام مالك بن أنس"، ص ٣٤٧.

^(٢) يوسف بن إبراهيم الأربيلي: الأنوار لأعمال الأبرار، ص ٢٤٠، ٢٤١.

^(٣) سورة التوبة: (آية ٨٤)

المسلمين بالنية، ولأن الصلاة تنصرف إلى الميت بالنية، والاختلاط لا يؤثر فيها^(١).

الصلاة على السقط والطفل

إذا استهل السقط ثم مات غُسل وصلى عليه؛ لأن الصلاة إنما هي على من علمت حياته قبل موته، وأمارة الحياة هي الصياح أو ما يقوم مقامه من طول المكث إذا طالت به مدة يعلم أنه لو لم يكن حياً لم يبق إليها، ولا معتبر بالحركة لأنها لا تدل على الحياة؛ لأن المقتول يتحرك وليس بحي، ولأنه قد كان متحركاً قبل وضعه ولم يحكم بحياته^(٢)، وإن لم يستهل ولم يتحرك - وإن لم يكن له أربعة أشهر - كفن بخرقه ودفن، وإن تم له أربعة أشهر، ففيه قولان: قال في القديم يصلى عليه، لأنه نفخ فيه الروح فصار كمن استهل. وقال في الأم: لا يصلى عليه وهو الأصح؛ لأنه لم يثبت له حكم الدنيا في الإرث وغيره فلم يصل عليه^(٣).

أما الطفل فتشرع الصلاة عليه لحديث عائشة بنت طلحة.

عَنْ عَائِشَةَ أُمِّ الْمُؤْمِنِينَ قَالَتْ: دُعِيَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِلَى جَنَازَةِ صَبِيٍّ مِنَ الْأَنْصَارِ، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ! طَوَّبِي لِهَذَا، عَصْفُورٌ مِنْ عَصَافِيرِ الْجَنَّةِ! لَمْ يَعْْمَلِ السُّوءَ وَلَمْ يُدْرِكْهُ، قَالَ: «أَوْ غَيْرَ ذَلِكَ»، يَا عَائِشَةُ! إِنَّ اللَّهَ خَلَقَ لِلْجَنَّةِ أَهْلًا، خَلَقَهُمْ لَهَا وَهُمْ فِي أَصْلَابِ آبَائِهِمْ، وَخَلَقَ لِلنَّارِ أَهْلًا، خَلَقَهُمْ لَهَا وَهُمْ فِي أَصْلَابِ آبَائِهِمْ.

(٤)

(١) أبو إسحاق الشيرازي: المهذب في فقه الإمام الشافعي، ص ٢٥٠.

(٢) عبد الوهاب البغدادي: المعونة على مذهب عالم المدينة "الإمام مالك بن أنس"، ص ٣٥٠، ٣٥١.

(٣) أبو زكريا يحيى بن شرف النووي: المجموع شرح المهذب، ص ١١٣٦، ١١٣٧.

(٤) صحيح مسلم: ٤٦-كتاب القدر، (٦)-باب معنى كل مولود يولد على الفطرة وحكم موت أطفال الكفار وأطفال المشركين، حديث ٣١-(٢٦٦٢)، ص ١٠٦٨.

الصلاة على الغائب

وتجوز الصلاة على الميت الغائب وهو مذهب الشافعية^(١)، والحنابلة^(٢)،
لما ورد في هذا الحديث:

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ،
أَنَّهُ قَالَ: نَعَى لَنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ النَّجَاشِيَّ صَاحِبَ
الْحَبَشَةِ، فِي الْيَوْمِ الَّذِي مَاتَ فِيهِ. فَقَالَ: «اسْتَغْفِرُوا
لَاخِيكُمْ». قَالَ ابْنُ شَهَابٍ: وَحَدَّثَنِي سَعِيدُ ابْنُ الْمُسَيَّبِ،
أَنَّ أَبَا هُرَيْرَةَ حَدَّثَهُ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ صَفَّ بِهِمْ
بِالْمُصَلَّى، فَصَلَّى فَكَبَّرَ عَلَيْهِ أَرْبَعَ تَكْبِيرَاتٍ. (٣)

وهناك قول آخر للشافعية أكد ذلك، بشرط ألا تكون المسافة بين مكان
الوفاة والصلاة عليه أقل من ثلاثمائة ذراع فقال: "تجوز الصلاة على الغائب
عن البلد بالنية ولو كان في غير جهة القبلة والمصلي يتوجه إلى القبلة، وإن
كان في البلد ولو يكن الميت بين يديه قدر ثلاثمائة ذراع تقريباً أو أقل:
بطلت. ولو دفن بلا صلاة أثموا، لأن تقديم الصلاة على الدفن واجب، لكن لا
ينبش بل يصلى على قبره"^(٤).

في حين امتنع عن أداء الصلاة على الميت الغائب المالكية والحنفية؛
لأنهم رأوا أن ما حدث مع النجاشي فيه خصوصية له، لأنه مات بين أمة
مشركة، حسب ما أورده صاحب المطى، فقال: "ومنع من ذلك مالك وأبو
حنيفة، وادعى أصحابهما الخصوص للنجاشي وهذه دعوة كاذبة بلا برهان"^(٥).

^(١) أبو إسحاق الشيرازي: المهذب في فقه الإمام الشافعي، ص ٢٤٩.

^(٢) موفق الدين عبدالله بن قامة المقدسي: الكافي في فقه الإمام أحمد بن حنبل، ص ٣٦٧.

^(٣) صحيح مسلم: ١١-كتاب الجنائز، (٢٢)-باب في التكبير على الجنائز، حديث ٦٣-
(٩٥١)، ص ٣٦٩.

^(٤) يوسف بن إبراهيم الأردبيلي: الأنوار لأعمال الأبرار، ص ٢٤٧.

^(٥) أبو محمد علي بن أحمد بن حزم: المطى، الجزء الخامس، ص ١٣٩.

الصلاة على من عليه دين

ترك رسول الله صلى الله عليه وسلم - الصلاة على من عليه دين في أول الأمر إلى أن يقضى عنه دينه، إما بمال يتركه بعد موته أو أن يتولى أحد المسلمين سداذه عنه، وفي ذلك أحاديث جمعها الألباني، وهي:

عن سلمة بن الأكوع قال :

«كُنَّا جُلُوسًا عِنْدَ النَّبِيِّ ﷺ إِذْ أَتَى بِجَنَازَةٍ فَقَالُوا: صَلَّى عَلَيْهَا، فَقَالَ: هَلْ عَلَيْهِ دَيْنٌ؟ قَالُوا: لَا، قَالَ: فَهَلْ تَرَكَ شَيْئًا؟ قَالُوا: لَا، فَصَلَّى عَلَيْهِ.

ثم أتى بجنازة أخرى فقالوا: يا رسول الله صل عليها، قال: هل عليه دين؟ قيل: نعم، قال: فهل ترك شيئاً؟ قالوا: ثلاثة دنائير [قال: فقال بأصابعه ثلاث كيات]، فصلّى عليها.

ثم أتى بالثالثة، فقالوا: صل عليه، قال: هل ترك شيئاً؟ قالوا: لا، قال: هل عليه دين؟ قالوا: ثلاثة دنائير، قال: صلوا على صاحبكم، قال [رجل من الأنصار يُقال له] أبو قتادة: صل عليه يا رسول الله وعلى دينه، فصلّى عليه»^(١)

كما ورد حديث آخر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم - لما فتح الله عليه قال: أنا أولى بكل مؤمن ترك ديناً من نفسه، وعلي قضاءه ومن يترك ما لا فلورثته:

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ كَانَ يُؤْتَى بِالرَّجُلِ الْمَيِّتِ، عَلَيْهِ الدَّيْنُ، فَيَسْأَلُ: (هَلْ تَرَكَ لِدِينِهِ مِنْ قِضَاءٍ؟) فَإِنْ حَدَّثَ أَنَّهُ تَرَكَ وَقَاءَ صَلَّى عَلَيْهِ، وَإِلَّا قَالَ: (صَلُّوا عَلَيَّ صَاحِبِكُمْ). فَلَمَّا فَتَحَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْفَتْوحَ قَالَ: (أَنَا أَوْلَى بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنْفُسِهِمْ، فَمَنْ تُوْقِيَ وَعَلَيْهِ دَيْنٌ فَعَلَيَّ قِضَاؤُهُ، وَمَنْ تَرَكَ مَا لَا فَهُوَ لَوْرَثَتِهِ).

(٢)

^(١) محمد ناصر الدين الألباني: أحكام الجنائز وبدعها، ص ١١٠.

^(٢) صحيح مسلم: ٢٣-كتاب الفرائض، (٤)- باب من ترك ما لا فلورثته، حديث ١٤-

الصلاة على قاتل نفسه والغال

هناك قولين في ذلك، الأول: لا يصلي الإمام على من قتل نفسه. أو غل من غنيمة. وإذا وجد بعض الميت غسل وصلى عليه. وعنه لا يصلى على الجوارح^(١).

والثاني: صَلَّى عليه، وبه قال الحسن والنخعي وقتادة ومالك وأبوحنيفة والشافعي وجماهير العلماء، وقد أجابوا عن حديث جابر المتقدم بأن النبي - صلى الله عليه وسلم - لم يصل عليه بنفسه زجرًا للناس عن مثل فعله، وصلّت عليه الصحابة، وهذا كما ترك النبي - صلى الله عليه وسلم - الصلاة في أول الأمر على من عليه دين زجرًا لهم عن التساهل في الاستدانة وعن إهمال وفائه، وأمر أصحابه بالصلاة عليه، فقال - صلى الله عليه وسلم: "صلوا على صاحبكم". وقال القاضي: مذهب العلماء كافة الصلاة على كل مسلم ومحدود ومرجوم وقاتل نفسه وولد الزنا^(٢).

وقد أيد القول الثاني ما قاله مالك أيضًا: صَلَّى على قاتل نفسه ويصنع به ما يصنع بموتى المسلمين وإثمه على نفسه، قال: وسئل مالك عن امرأة خنقت نفسها؟ قال مالك: صلوا عليها وإثمها على نفسها، قال ابن وهب، وقال مثل قول مالك عطاء بن أبي رباح^(٣).

^(١) مجد الدين ابن تيمية: المحرر في الفقه على مذهب الإمام أحمد بن حنبل، ص ٢٠١.

وانظر أيضًا: الشرح الممتع على زاد المستقنع حنبلي ٣٥٠، ٣٤٩.

^(٢) النووي: شرح مسلم (٤٧/٧) نقلًا عن: أبو مالك كمال بن السيد سالم: صحيح فقه السنة

وأدلته وتوضيح مذاهب الأئمة، ص ٦٤٦.

^(٣) مالك بن أنس الأصبحي: المدونة الكبرى، ص ٢٥٤.

الصلاة على الشهيد

اختلفت أهل المذاهب في الصلاة على الشهيد فعند الحنابلة والشافعية والمالكية لا يصلى عليه، طبقاً لما ورد في كتب الفقه عندهم على النحو التالي:

قال الحنابلة: ويصلى على كل مسلم لما تقدم إلا شهيد المعتك (١). وقال الشافعية: ومن مات في جهاد الكفار بسبب من أسباب قتالهم قبل انقضاء الحرب فهو شهيد لا يغسل ولا يصلى عليه (٢). وقال المالكية: من مات في المعركة فلا يغسل ولا يكفن ولا يصلى عليه، ويدفن بثيابه (٣). واستدلوا على ذلك بأحاديث، منها:

عن أنس: أن النبي ﷺ مرَّ بحمزة وقد مُثِّلَ به، ولم يصلِّ على

أحدٍ من الشهداء غيره . (٤)

وكذلك حديث جابر بن عبدالله في قتلى أحد عندما أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بدفنهم في دمائهم، ولم يغسلوا، ولم يصلِّ عليهم، والذي ورد في مَوْضِعِ الحديث عن غسل الشهيد.

وعند الحنفية يصلى عليه حسب ما ورد في كتبهم، وعرفوه بأنه من قتله أهل الحرب، أو البغي، أو قطاع الطريق، أو وجد في معركة وبه أثر، أو قتله مسلم ظلماً ولم تجب به دية، فيكفن ويصلى عليه بلا غسل ويدفن بدمه وثيابه (٥).

(١) موفق الدين عبدالله بن قامة المقدسي: الكافي في فقه الإمام أحمد بن حنبل، ص ٣٦٧.

(٢) أبو إسحاق الشيرازي: المهذب في فقه الإمام الشافعي، ص ٢٥٠.

(٣) مالك بن أنس الأصبحي: المدونة الكبرى، ص ٢٥٨.

(٤) أبو إسحاق الشيرازي: المهذب في فقه الإمام الشافعي، ص ٢٥٠.

(٥) سراج الدين عمر بن إبراهيم ابن نجم الحنفي: النهر الفائق شرح كنز الدقائق،

- واستدلوا على ذلك بأحاديث، منها؛ حديث الأعرابي الذي جاء إلى النبي -
 صلى الله عليه وسلم- وأمن به وأتبعه ثم استشهد بعد ذلك وصلى عليه -
 صلى الله عليه وسلم، والذي ورد ذكره في كفن الشهيد. وحديث آخر:

عَنْ عُقَيْبَةَ ابْنِ عَامِرٍ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ خَرَجَ يَوْمًا
 فَصَلَّى عَلَى أَهْلِ أَحُدَ صَلَاتَهُ عَلَى الْمَيِّتِ، ثُمَّ انْصَرَفَ
 إِلَى الْمَنْبَرِ، فَقَالَ: «إِنِّي قَرَطُ لَكُمْ، وَأَنَا شَهِيدٌ عَلَيْكُمْ،
 وَإِنِّي، وَاللَّهِ! لَأَنْظُرُ إِلَى حَوْضِي الْآنَ، وَإِنِّي قَدْ أُعْطِيتُ
 مَفَاتِيحَ خَزَائِنِ الْأَرْضِ، أَوْ مَفَاتِيحَ الْأَرْضِ، وَإِنِّي،
 وَاللَّهِ! مَا أَخَافُ عَلَيْكُمْ أَنْ تُشْرِكُوا بَعْدِي، وَلَكِنْ أَخَافُ
 عَلَيْكُمْ أَنْ تَتَنَافَسُوا فِيهَا.» (١)

وهناك قول ثالث: وهو الأخذ بالقولين السابقين فيجوز الأخذ والترك، فإن صَلَّى
 على قتيل المعركة فحسن، وإن لم يصل عليه فحسن^(٢).

الصلوة على من جرح في المعركة ثم عاش بعدها

فأما إن حمل من المعترك جريحاً فبقي زماناً أو أياماً ثم مات، فإنه يُغسل
 ويُصلى عليه، لأن عدم الصلاة قد وردت فيمن قتل في المعركة؛ ولأنه إذا
 هُمل وعاش أمكن أن يكون مات من سبب طراً عليه فلم يكن حكمه حكم من

^(١) صحيح مسلم: ٤٣-كتاب الفضائل، (٩) باب: إثبات حوض نبينا -صلى الله عليه
 وسلم، حديث ٣٠-(٢٢٩٦)، ص ٩٤١.

^(٢) زين بن محمد بن هادي المدخلي: الأفتان الندية شرح منظومة السبل السوية لفقهِ السنن
 المروية، الجزء الثاني، دار علماء السلف للطباعة والنشر والتوزيع، الطبعة الثانية،
 ١٩٩٣م، ص ٢٩٤. وانظر أيضاً:

- أبو محمد علي بن أحمد بن حزم: المحلى، الجزء الخامس، ص ١١٥.
- عبدالكريم زيدان: المفصل في أحكام المرأة والبيت المسلم في الشريعة الإسلامية،
 الجزء الأول، مؤسسة الرسالة-بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٩٣م، ص ٢٧٩.

مات في المعترك، ولأن الذي فاضت نفسه في المعترك له منزلة لا يدانيه فيها غيره، لأنه فارق الدنيا على نصرته الدين والتوحيد، وذلك أشرف المقامات فلم يحتج إلى شفاعة المصلين، وهذا هو الفرق بين الشهيد في سبيل الله وبين سائر الشهداء من الغريق والحريق والطعين والهديم والحامل ومن قتل دون ماله^(١).

من الأولى بالصلاة على الميت؟

وردت آراء فقهاء المذاهب الأربعة في من هو أولى بالإمامة والصلاة على الميت في كتبهم، وسيتم عرض بعض هذه الآراء من كل مذهب على النحو التالي:

المالكية قالوا: أن أولى الناس بالصلاة على الميت الوالي إذا كان عدلاً، والقاضي وسائر الأمراء إذا كانوا عدولاً، وأصحاب الصلوات ولو حضر الخليفة لم يجز أن يتقدمه أحد، وقد قدم الحسين على جنازة أخيه الحسن سعيد بن العاص، وهو أمير المدينة فقال له: تقدم فلولا أنها سنة ما قدمتك، ثم الأولياء القرب فالأقرب^(٢).

أما الشافعية فقالوا: الجديد أن الولي أول بإمامتها من الوالي، فيقدم الأب ثم الجد وإن علا ثم الابن ثم ابنه وإن سقى، ثم الأخ والأظهر تقديم الأخ لأبوين على الأخ لأب ثم ابن الأخ لأبوين ثم لأب، ثم العصابة على ترتيب الإرث ثم ذوو الأرحام ولو اجتمعا في درجة فالأسنُّ العدل أولى على النُّص، ويقدم الحر

^(١) عبد الوهاب البغدادي: المعونة على مذهب عالم المدينة "الإمام مالك بن أنس"،

ص ٣٥٢.

^(٢) أبو عمر يوسف القرطبي: الكافي في فقه أهل المدينة المالكي، ص ٨٣.

البعيد على العبد القريب^(١) وما ورد من أن أبا بكر وصّى أن يُصلي عليه عمر فصلي، وأن عمر وصّى أن يُصلي عليه صهيب فصلي، وأن عائشة وصت أن يصلي عليها أبو هريرة فصلي، وأن ابن مسعود وصّى أن يُصلي عليه الزبير فصلي. فذلك محمول على أن أولياءهم قد أجازوا الوصية^(٢).

وأيضاً الحنفية قالوا: وأما بيان من له ولاية الصلاة على الميت، فذكر في الأصل: أن إمام الحي أحق بالصلاة على الميت. وروى الحسن عن أبي حنيفة: أن الإمام الأعظم أحق بالصلاة إن حضر، فإن لم يحضر فأمرير المصّر، وإن لم يحضر فإمام الحي، وإن لم يحضر فالأقرب من ذوي قرابته، وهذا هو حاصل المذهب عندنا، والتوفيق بين الروايتين ممكن؛ لأن السلطان إذا حضر فهو أولى؛ لأنه إمام الأئمة، فإن لم يحضر فالقاضي؛ لأنه نائبه، فإن لم يحضر فإمام الحي؛ لأنه رضي بإمامته في حال حياته؛ فيدل على الرضا به بعد مماته، ولهذا لو عين الميت أحداً في حال حياته فهو أولى من القريب؛ لرضاه به، إلا أنه بدأ في كتاب الصلاة بإمام الحي؛ لأن السلطان قلما يحضر الجنائز، ثم الأقرب فالأقرب من عصبته وذوي قرابته؛ ولأن ولاية القيام بمصالح الميت له، وهذا كله قول أبوحنيفة^(٣).

^(١) عبدالله بن الشيخ الكوهجي: زاد المحتاج بشرح المنهاج، الجزء الأول، حققه وراجعاه/عبدالله بن إبراهيم الأنصاري، دن، الطبعة الأولى، دت، ص ٤٠٣:٤٠٥.

وانظر أيضاً: - محمد عبدالله الجرداني: فتح العلام بشرح مرشد الأنام في الفقه على مذهب السادة الشافعية، صححه وعلق عليه وخرج أحاديثه/محمد الحجار، الجزء الثالث، دار ابن حزم (بيروت-لبنان)، الطبعة الرابعة، ١٩٩٧م، ص ١٧٢.

^(٢) شمس الدين الأنصاري: نهاية المحتاج إلى شرح المنهاج، الجزء الثاني، دار الكتب العلمية (بيروت-لبنان)، الطبعة الثالثة، ٢٠٠٣م، ص ٤٨٧، ٤٨٨.

^(٣) علاء الدين أبي بكر بن مسعود الكاساني الحنفي: بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع،

وأخيراً الحنابلة، فقد جمعوا كل هذه الآراء السابقة وقالوا بها: وأحق الناس بالصلاة عليه من أوصى أن يصلي عليه، فإن كان الوصي فاسقاً أو مبتدعاً لم تقبل الوصية، لأن الموصي جهل الشرع. ثم الأمير، لأن أكثر أهل العلم يرون تقديم الأمير على الأقارب في الصلاة على الميت، فإن لم يكن فنائبه. ثم الأب وإن علا، ثم الابن وإن سفل، ثم أقرب العصبية. وإن اجتمع زوج المرأة وعصبتها، فظاهر كلام الخرقى تقديم العصبية وهو أكثر الروايات عن أحمد. فإن اجتمع أخ من الأبوين وأخ من أب ففي تقديم الأخ من الأبوين أو التسوية وجهان؛ أخذاً من الروايتين في ولاية النكاح، والحكم في أولادهما وفي الأعمام وأولادهم كالحكم فيهما سواء. فإن انقرض العصبية من النسب فالمولى المنعم ثم أقرب عصباته، ثم الرجال من ذوي الأرحام الأقرب فالأقرب ثم الأجنبي^(١).

الصلاة على الجنازة في المسجد

اختلف الفقهاء حول الصلاة على الجنازة في المسجد فأجازها أكثرهم، وقال الحنابلة لا بأس بالصلاة على الميت في المسجد إذا لم يُخَفْ تلويثه^(٢) لحديث عائشة رضي الله عنها، عن عباد ابن عبدالله ابن الزبير قال:

يُحَدِّثُ عَنْ عَائِشَةَ ، أَنَّهَا لَمَّا تَوَقَّي سَعْدَ بْنَ أَبِي وَقَّاصٍ ، أَرْسَلَ أَزْوَاجَ النَّبِيِّ ﷺ أَنْ يَمْرُؤًا بِجَنَازَتِهِ فِي الْمَسْجِدِ ، فَيُصَلِّينَ عَلَيْهِ ، فَفَعَلُوا ، فَوَقَّفَ بِهِ عَلَيَّ حُجْرَمَنَ يُصَلِّينَ عَلَيْهِ ، أَخْرَجَ بِهِ مِنْ بَابِ : الْجَنَائِزِ الَّذِي كَانَ إِلَيَّ الْمَقَاعِدَ ، فَبَلَغَهُنَّ أَنَّ النَّاسَ عَابُوا ذَلِكَ ، وَقَالُوا : مَا كَانَتْ الْجَنَائِزُ يُدْخَلُ بِهَا الْمَسْجِدَ ، فَبَلَغَ ذَلِكَ عَائِشَةَ ، فَقَالَتْ : مَا أَسْرَعَ النَّاسَ إِلَى أَنْ يَعْيِيُوا مَا لَا عِلْمَ لَهُمْ بِهِ ! عَابُوا عَلَيْنَا أَنْ يَمْرَ بِجَنَازَةٍ فِي الْمَسْجِدِ ! وَمَا صَلَّى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَلَى سَهِيلِ ابْنِ بَيْضَاءَ إِلَّا فِي جَوْفِ الْمَسْجِدِ .

(١)

^(١) موفق الدين أبي محمد عبد الله بن قدامة: المغني، ص ٤٠٥: ٤٠٩.

^(٢) السابق: ص ٤٢١.

وصرح الشافعية باستحبابها في المسجد وقال أبوحنيفة ومالك تكره^(١)
استناداً للحديث التالي:

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مَنْ صَلَّى عَلَيَّ جِنَازَةً فِي الْمَسْجِدِ
فَلَيْسَ لَهُ شَيْءٌ. (٣)

صلاة الجنازة على القبر

اختلف أهل العلم في صلاة الجنازة على القبر لمن فاتته الصلاة، وقال أكثرهم
يُصلى عليه وبه قال ابن المبارك والشافعي وأحمد وإسحاق وابن حزم وغيرهم،
واستدلوا بالحديث التالي:

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، أَنَّ امْرَأَةً سَوْدَاءَ، كَانَتْ تَقُمُ
الْمَسْجِدَ (أَوْ شَابًا) فَقَقَدَهَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ. فَسَأَلَ عَنْهَا (أَوْ
عَنْهُ) فَقَالُوا: مَاتَ. قَالَ: (أَفَلَا كُنْتُمْ آذَنْتُمُونِي). قَالَ:
فَكَانَتْهُمْ صَخَّرُوا أَمْرَهَا (أَوْ أَمْرَهُ). فَقَالَ: (دَلُّونِي عَلَى
قَبْرِهِ). فَدَلُّوهُ، فَصَلَّى عَلَيْهَا، ثُمَّ قَالَ: (إِنَّ هَذِهِ الْقُبُورَ
مَمْلُوءَةٌ ظِلْمَةً عَلَى أَهْلِهَا، وَإِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ يَتَوَرَّهَا لَهُمْ
بِصَلَاتِي عَلَيْهِمْ). (٤)

^(١) صحيح مسلم: ١١-كتاب الجنائز، (34)-باب: الصلاة على الجنازة في المسجد،
حديث ١٠٠- (٩٧٣)، ص ٣٧٥.

^(٢) عبدالكريم زيدان: المفصل في أحكام المرأة والبيت المسلم في الشريعة الإسلامية،
ص ٢٨٢.

^(٣) سنن ابن ماجه: ٦-كتاب الجنائز، ٢٩-باب ما جاء في الصلاة على الجنائز في
المسجد، حديث ١٥١٧، ص ١٦٦.

^(٤) صحيح مسلم: ١١-كتاب الجنائز، (34)-باب: القيام للجنازة، حديث ٧١- (٩٥٦)،
ص ٣٧٠.

وهناك من قال: إنه لا تجوز الصلاة عليها بين القبور، لحديث أنس بن مالك رضي الله عنه "أن انبي صلى الله عليه وسلم نهى عن أن يُصلى على الجنائز بين القبور"^(١).

موقف الإمام في الصلاة من الميت وفي اجتماع أكثر من ميت

يقف الإمام حذاء صدر الرجل ووسط المرأة. ومتى اجتمعاً سَوَى بين رأسيهما، ووقف تلقاء صديهما. وقيل: يجعل صدره حذاء وسطها. وإذا تنوعت الجنائز قرب إلى الإمام الرجل الحر ثم العبد ثم الصبي ثم المرأة، وعنه تقديم الصبي على العبد. وقال الخرقى: يؤخر الصبي عن المرأة. ومن مات ولم يحضره غير نسوة صلين عليه. وإن اجتمعت جنازة ومكتوبة قدمت المكتوبة، إلا أن تكون فجرًا أو عصرًا^(٢).

كيفية صلاة الجنازة^(٣):

أما عن كيفية الصلاة على الجنازة فهي كما يلي:

- ١- أن يكبر المصلي (الإمام والمأموم) ويتعوذ، ويسمي، ويقرأ الفاتحة، ولا يستفتح على القول الصحيح.
- ٢- ويستحب أن تقرأ بعد الفاتحة سورة قصيرة (كالإخلاص والعصر أو بعض الآيات)؛ لما صح ذلك عن ابن عباس رضي الله عنه، وإن اكتفى بالفاتحة فلا بأس.

^(١) حسين بن عودة العوايشة: الموسوعة الفقهية الميسرة في فقه الكتاب والسنة المطهرة، ص ١٣١.

^(٢) مجد الدين ابن تيمية: المحرر في الفقه على مذهب الإمام أحمد بن حنبل، ص ٢٠١. وانظر أيضًا: أبو زكريا محيي الدين النووي: تصحيح التنبيه، ضبط وتحقيق وتعليق د/محمد عقله الإبراهيم، الجزء الأول، مؤسسة الرسالة-بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٩٦م، ص ١٨٢، ١٨٣.

^(٣) عبدالله بن محمد الطيار: الفقه الميسر، ص ٤٩٠: ٤٩٢.

٣- يكبر التكبيرة الثانية رافعاً يديه (الإمام والمأموم) على القول الصحيح، فإذا كبر يصلي على النبي صلى الله عليه وسلم - بأي صفة من الصلاة الإبراهيمية.

٤- يكبر التكبيرة الثالثة رافعاً يديه عند التكبير ثم يدعو للميت، والأفضل أن يكون بما ورد عن النبي صلى الله عليه وسلم - مثل أن يقول: "اللهم اغفر لحينا وميتنا وصغيرنا وكبيرنا وذكرنا وأنثانا وشاهدنا وغائبنا، اللهم من أحييته منا فأحيه على الإسلام، ومن توفيته منا فتوفه على الإيمان، اللهم لا تحرمنا أجره ولا تضلنا بعده، اللهم اغفر له وارحمه، وعافه واعف عنه أكرم نزله ووسع مدخله، واغسله بماء وثلج وبرد، ونقه من الخطايا كما ينقى الثوب الأبيض من الدنس، وأبدله داراً خيراً من داره، وأهلاً خيراً من أهله وزوجاً خيراً من زوجته، وقيه فتنة القبر وعذاب النار، وأفسح له في قبره ونور له فيه، اللهم لا تحرمنا أجره ولا تضلنا بعده". وإن دعا بغيره من المأثور فلا بأس، وإن دعا بأي دعاء آخر غير المأثور فلا بأس.

٥- ثم يكبر التكبيرة الرابعة ويقف قليلاً، ثم يسلم تسليمه واحدة عن يمينه قائلاً: السلام عليكم ورحمة الله، وإن زاد تسليمه أخرى جاز، ووجب على المأموم أن يتابع الإمام.

حكم دفن الميت وسنة دفنه في المقبرة

دفن الميت فرض على الكفاية، لأن من تركه على الأرض فإن ذلك هتكاً لحرمة، ويتأذى الناس برائحته، والدفن في المقبرة أفضل، لأن النبي صلى الله عليه وسلم - كان يدفن الموتى بالقبور، ولأنه يكثر الدعاء له ممن يزوره. ويجوز الدفن في البيت لأن النبي صلى الله عليه وسلم - دفن في حجرة عائشة رضي الله عنها. فإن قال بعض الورثة يدفن في المقبرة، وقال بعضهم يدفن في البيت، دفن في المقبرة؛ لأن له حقاً في البيت فلا يجوز إسقاطه. ويستحب أن يدفن في أفضل مقبرة؛ لأن عمر رضي الله عنه استأذن عائشة رضي الله عنها أن يدفن مع صاحبيه. ويستحب أن تجمع الأقارب في موضع واحد، لما روي أن النبي صلى الله عليه وسلم - ترك عند رأس عثمان بن مظعون صخرة، وقال: أعلم بها على قبر أخي لأدفن إليه من مات^(١). ولا يدفن مسلم مع كافر، ولا كافر مع مسلم، بل يدفن المسلم في مقابر المسلمين والكافر في مقابر المشركين. كذلك كان الأمر على عهد النبي - صلى الله عليه وسلم - واستمر إلى عصرنا هذا^(٢).

صفة القبر

لابد في الدفن من حفرة تحرس الميت عن السباع وتكتم الرائحة وتمنع انتشارها مستقبلاً فيها القبلة، ويستحب توسيع القبر وتعميقه بقدر قامة رجل معتدل وبسط اليد مرفوعة وهو ثلاثة أذرع ونصف، وقيل: أربعة أذرع

^(١) أبو إسحاق الشيرازي: المهذب في فقه الإمام الشافعي، ص ٢٥٣.

وانظر أيضاً: موفق الدين عبدالله بن قامة المقدسي: الكافي في فقه الإمام أحمد بن حنبل، ص ٣٧٠.

^(٢) محمد ناصر الدين الألباني: أحكام الجنائز وبدعها، ص ١٧٢.

ونصف^(١). وهناك من قال: يحفر القبر نصف قامة أو إلى الصدر، وإن زيد كان حسناً^(٢).

يجوز في القبر اللحد والشق

يسن أن يكون القبر لحدًا إن كانت الأرض صلبة، لحديث مسلم:

أَنَّ سَعْدَ ابْنَ أَبِي وَقَّاصٍ قَالَ فِي مَرَضِهِ الَّذِي هَلَكَ فِيهِ: اَلْحَدُّوا لِي لِحْدًا، وَأَنْصِبُوا عَلَيَّ اللَّبْنَ نَصْبًا، كَمَا صَنَعَ بِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ.

(٣)

واللحد تجويف يفتح في الجدار القبلي للقبر بمقدار ما يسع الميت، فيوضع الميت فيهن ثم يسد فم هذا التجويف بحجارة رقاق كي لا ينهال عليه التراب. فإن كانت الأرض رخوة وجب أن يكون القبر شقًا. والمقصود به شق في أسفل أرض القبر بمقدار ما يسع الميت. ويبنى طرفاه بلبن أو نحوه، فيوضع الميت فيه، ثم يسقف الشق من أعلى بحجارة رقاق، ثم يمهال فوقه التراب^(٤).

^(١) يوسف بن إبراهيم الأردبيلي: الأنوار لأعمال الأبرار، ص ٢٤٨.

^(٢) حسن بن عمار الشرنبلالي الحنفي: مراقي الفلاح بإمداد الفتاح شرح نور الإيضاح ونجاة الأرواح، علق عليه وشرح ألفاظه وخرج أحاديثه/أبو عبد الرحمن صلاح بن عويضة، دار الكتب العلمية (بيروت-لبنان)، الطبعة الثانية، ٢٠٠٤م، ص ٢٢٠.

^(٣) صحيح مسلم: ١١- كتاب الجنائز، (٢٩)- باب: في اللحد ونصب اللبنة على الميت، حديث ٩٠- (٩٦٦)، ص ٣٧٤.

^(٤) مصطفى الخن ومصطفى البغا: الفقه المنهجي على مذهب الإمام الشافعي، ص ٢٥٧، ٢٥٦.

كما أن اللحد أفضل من الشق إلا لضرورة، لقوله صلى الله عليه وسلم: "اللحد لنا والشق لغيرنا"، وألحد له صلى الله عليه وسلم، وكذلك السلف بعده وعليه عمل الأمة^(١).

وروي أن النبي صلى الله عليه وسلم لما تُوِّفِّي، اختلف الناس أن يشق له أو يُلحد، وكان أبوظلفة الأنصاري لحاداً، وأبو عبيدة بن الجراح شاقاً، فبعثوا رجلاً إلى أبي عبيدة، ورجلاً إلى أبي طلحة، فقال العباس بن عبد المطلب: "اللهم خِر لنبيك أحب الأمرين إليك"، فوجد أبا طلحة من كان بعث إليه، ولم يجد أبا عبيدة من بعث إليه، والعباس رضي الله عنه - كان مستجاب الدعوة، وأهل المدينة إنما توارثوا الشق لضعف أراضيهم بالبيع؛ ولهذا اختار أهل بخارى الشق دون اللحد؛ لتعذر اللحد لرخاوة أراضيهم^(٢).

ويؤكد ذلك حديث أنس بن مالك التالي:

عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ قَالَ لَمَّا تُوِّفِيَ النَّبِيُّ ﷺ كَانَ بِالْمَدِينَةِ رَجُلٌ يُلْحِدُ وَآخَرُ يَضْرَحُ فَقَالُوا نَسْتَخِيرُ رَبَّنَا وَنَبْعَثُ إِلَيْهِمَا قَائِمًا سَبَقَ تَرْكَاهُ فَأَرْسَلِ إِلَيْهِمَا فَسَبَقَ صَاحِبُ اللَّحْدِ فَلَحَدُوا لِلنَّبِيِّ.

(٣)

الأحق بدفن الميت

يتولى إنزال الميت -ولو كان أنثى- الرجال دون النساء؛ لأمر منها: الأول: أن هذا هو المعهود في عهد النبي صلى الله عليه وسلم - وجرى عليه عمل المسلمين حتى اليوم.

^(١) عبد الوهاب البغدادي: المعونة على مذهب عالم المدينة "الإمام مالك بن أنس"، ص ٣٥٧، ٣٥٨.

^(٢) علاء الدين أبي بكر بن مسعود الكاساني الحنفي: بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع، ص ٣٥٣، ٣٥٤.

^(٣) سنن ابن ماجه: ٦-كتاب الجنائز، ٤٠-باب ما جاء في الشق، حديث ١٥٥٧، ص ١٧٠.

الثاني: أن الرجال أقوى على ذلك من النساء.

وقد اختلف الفقهاء في الأولى بالدفن؛ فقال: الشافعية والحنابلة: إن الأولى بدفن الرجل أولاهم بغسله والصلاة عليه، لأن النبي صلى الله عليه وسلم - لما توفي لَحَهُ الَّذِينَ تَوَلَّوْا غَسَلَهُ^(١) لحديث علي رضي الله عنه:

غسلت رسول الله فذهبت أنظر ما يكون من الميت فلم أر شيئاً، وكان طيباً صلى الله عليه وآله وسلم حياً وميتاً ولي دفنه وإجناته دون الناس أربعة: علي، والعباس، والفضل، وصالح مولى رسول الله ﷺ، ولحد رسول الله ﷺ لحداً ونصب عليه اللبن نصباً.^(٢)

أما النساء فالأولى عند جمهور الفقهاء أن يتولى دفنها محارمها الرجال، الأقرب فالأقرب، وهم الذين كانوا يحل لهم النظر إليها في حياتها، ولها السفر معهم، لقوله تعالى: "وأولوا الأرحام بعضهم أولى ببعض"^(٣). ولحديث:

عبد الرَّحْمَنِ بْنِ أَبِيزَى، أَنَّ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ كَبَّرَ عَلَى زَيْنَبَ بِنْتِ جَحْشٍ أَرْبَعًا، ثُمَّ أَرْسَلَ إِلَى أَزْوَاجِ النَّبِيِّ ﷺ مَنْ يُدْخِلُ هَذِهِ قَبْرَهَا؟ فَقُلْنَ: مَنْ كَانَ يَدْخُلُ عَلَيْهَا [٤/٢٧] فِي حَيَاتِهَا

وَرُوِيَنَاهُ عَنْ يَعْلَى بْنِ عُبَيْدٍ عَنْ إِسْمَاعِيلَ فَرَادَ فِيهِ: وَكَانَ عُمَرُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يُعْجِبُهُ أَنْ يُدْخِلَهَا قَبْرَهَا، فَلَمَّا قُلْنَ مَا قُلْنَ قَالَ: صَدَقْنَ^(٤)

^(١) عبدالله بن محمد الطيار: الفقه الميسر، ص ٥٠٠، ٥٠١.

^(٢) المستدرک علی الصحیحین: ١٣- کتاب الجنائز، (١/٣٦٢)، حديث ٧٥/١٣٣٩، ص ٥١٥.

^(٣) سورة الأنفال: آية ٧٥.

^(٤) السنن الكبير: كتاب الجنائز، باب الميت يدخله قبره الرجال ومن يكون منهم أفقه وأقرب بالميت رحماً، (٤/٥٣)، حديث ٧١٢٩، ص ٤٣٦.

واستثنى الشافعية الزوج، فقالوا: إنه أحق من غيره^(١). ويشترط فيمن يدفن المرأة ألا يكون قد وطأ أهله في تلك الليلة، والا لم يشرع له دفنها وكان غيره هو الأولى بدفنها ولو كان أجنبياً^(٢). ودليل ذلك أن النبي صلى الله عليه وسلم - لما ماتت ابنته زوجة عثمان رضي الله عنهما، خرج إلى المقبرة وحان وقت دفنها، قال: "أيكم لم يقارف الليلة؟" - لم يقارف قال العلماء: أي لم يجامع - فقال أبوظلحة: "أنا، فأمره أن ينزل في قبرها"، مع أن النبي صلى الله عليه وسلم وهو أبوها، وزوجها عثمان بن عفان رضي الله عنه كانا حاضرين^(٣).

وقت دفن الميت

هناك بعض الأوقات من النهار لا يجوز دفن الميت خلالها إلا لضرورة، وهذه الضرورة قد تتمثل في الحرارة الشديدة التي تؤدي إلى تغير الميت وانتشار رائحة كريهه منه تؤدي حامليه ومشيعيه. طبقاً لما ورد في هذا الحديث:

سَمِعْتُ عُقْبَةَ ابْنَ عَامِرِ الْجُهَنِيِّ يَقُولُ : ثَلَاثُ سَاعَاتٍ كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَنْهَانَا أَنْ نُصَلِّيَ فِيهِنَّ ، أَوْ أَنْ نَقْبُرَ فِيهِنَّ مَوْتَانَا : حِينَ تَطْلُعُ الشَّمْسُ بَارِغَةً حَتَّى تَرْتَفِعَ ، وَحِينَ يَقُومُ قَائِمُ الظَّهِيرَةِ حَتَّى تَمِيلَ الشَّمْسُ ، وَحِينَ تَضِيْفُ الشَّمْسُ لِلْغُرُوبِ حَتَّى تَغْرُبَ .

(٤)

^(١) عبدالله بن محمد الطيار: الفقه الميسر، ص ٥٠١.

^(٢) حسين بن عودة العوايشة: الموسوعة الفقهية الميسرة في فقه الكتاب والسنة المطهرة، ص ١٦٠.

^(٣) محمد بن صالح العثيمين: الشرح الممتع على زاد المستقنع، المجلد الخامس، دار بن الجوزي، د.ت، ص ٣٦١، ٣٦٢.

^(٤) صحيح مسلم: ٦- كتاب الصلاة، (٥١)- باب: الأوقات التي نهي عن الصلاة فيها، حديث ٢٩٣-(٨٣١)، ص ٣٢٢.

وعن الدفن ليلاً، ذهب جمهور الفقهاء إلى جواز الدفن ليلاً، واستدلوا لذلك بأن أبا بكر رضي الله عنه وابن مسعود وعائشة وفاطمة بنت رسول الله -صلى الله عليه وسلم- كلهم دفنوا ليلاً، لكن قالوا: يستحب أن يكون الدفن نهاراً إن أمكن؛ لأنه أسهل على من يتبع الجنازة، ولأنه يكثر فيه المصلون^(١).

إذا ماتت ذمية حامل من مسلم

وإذا ماتت ذمية حامل من مسلم تدفن في مقبرة المسلمين لكفرها، ولا تدفن في مقبرة الكفار، لأن ولدها مسلم، بل تدفن مفردة ظهرها إلى القبلة، لأن وجه الجنين إلى ظهرها. وإن ماتت امرأة حامل وولدها يتحرك ورجبت حياته سطت عليها القوابل فأخرجته، ولا يشق بطنها؛ لأن فيه هتكاً لحرمة متيقنة لإبقاء حياة موهومة بعيدة، فإن لم يخرج تركت حتى يموت ثم تدفن، ويحتمل أن يشق بطنها إن غلب على الظن أنه يحيا لأن حفظ حرمة الحي أولى^(٢).

دفن اثنين أو أكثر في قبر واحد

يستحب أن يدفن كل ميت في قبر، ولا يدفن في قبر واحد ميتان إلا لحاجة، ويقدم الأفضل بالعلم أو العمل أو الأبوة أو الأمومة إذا كانوا من جنس واحد، كأن يقدم الأب على الابن والأم على البنت. ولا يجوز الجمع بين الرجال والنساء إلا لشدة الحاجة، ثم يجعل بينهما حاجزاً من تراب ليكونا كأنهما منفصلان، وبصير كل واحد منفرداً كأنه في قبر مفرد، ويجعل الرجل أمامها اعتباراً بحال الحياة. وإن دفن رجل وصبي وامرأة في قبر واحد جعل الرجل في القبلة والصبي خلفه والمرأة خلفهما، وقال الخري: تقدم المرأة على الصبي. ويؤكد ذلك ما فعله النبي -صلى الله عليه وسلم- عندما كان يجمع

^(١) عبدالله بن محمد الطيار: الفقه الميسر، ص ٥٠٢.

^(٢) موفق الدين عبدالله بن قدامة المقدسي: الكافي في فقه الإمام أحمد بن حنبل، ص ٣٧٣.

الاثنين من قتلى أحد في قبر واحد، ثم يقول أيهما كان أكثر أخذًا للقرآن، فإذا أشير إلى أحدهما قدمه في اللحد^(١).

كيفية الدفن

يستحب أن توضع رأس الميت عند مدخل القبر ثم يسلم سلاً رقيقاً، لما روى ابن عباس رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم - سل من قبل رأسه سلاً، ولأن ذلك أسهل. كما يستحب أن يقول عند إدخاله القبر بسم الله وعلى ملة رسول الله، لما روى ابن عمر رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم - كان يقول ذلك إذا أدخل الميت القبر. ويستحب أيضاً أن يضعه في اللحد على جانبه الأيمن مستقبلاً القبلة، لقول النبي صلى الله عليه وسلم: "إذا نام أحدكم فليتوسد يمينه"، ويتوسد رأسه بلبنة أو حجر كالحاي إذا نام ويجعل خلفه تراب يسنده لئلا يستلقي على قفاه. ويكره أن يجعل تحته مضرية أو مخدة أو يدفن في تابوت، لما روي عن عمر رضي الله عنه أنه قال: إذا أنزلتموني في اللحد فأفضوا بخدي إلى الأرض. وعن أبي موسى: لا تجعلوا بيني وبين الأرض شيئاً. وينصب اللبن على اللحد نصباً، لما روي عن سعد بن أبي وقاص قال: اصنعوا بي كما صنعتم برسول الله صلى الله عليه وسلم انصبوا علي اللبن وأهيلوا علي التراب. ويستحب لمن على شفير القبر أن يحثوا في القبر ثلاث حثيات من التراب، لأن النبي صلى الله عليه وسلم -

^(١) انظر في ذلك:

- يوسف بن إبراهيم الأردبيلي: الأنوار لأعمال الأبرار، ص ٢٥٠.
- شرف الدين موسى بن أحمد المقدسي: الإقناع لطالب الانتفاع، تحقيق د/عبدالله بن عبدالمحسن التركي بالتعاون مع مركز البحوث والدراسات العربية والإسلامية بدار هجر، الجزء الأول، الطبعة الثالثة، ٢٠٠٢م، ص ٣٧١.
- موفق الدين عبدالله بن قامة المقدسي: الكافي في فقه الإمام أحمد بن حنبل، ص ٣٧١.

حتى في قبر ثلاث حثيات من التراب. كما يستحب أن يمكث على القبر بعد الدفن لما روى عثمان بن عفان رضي الله عنه قال: كان النبي صلى الله عليه وسلم - إذا فرغ من دفن الميت وقف عليه وقال: "استغفروا لأخيكم واسألوا له التثبيت فإنه الآن يسأل"^(١).

تلقين الميت

أجمعت كتب الفقه الحنبلي على أنه مستحب تلقين الميت بعد دفنه، حتى وإن لم يكن مكلفاً؛ لأن النبي صلى الله عليه وسلم - لقن ابنه إبراهيم وكان عمره ثمانية عشر شهراً، وصفة التلقين ما روى أبو أمامة الباهلي أن النبي - صلى الله عليه وسلم - قال: "إذا مات أحدكم فسويتم عليه التراب، فليقم أحدكم عند رأس قبره ثم يقول: يا فلان ابن فلانة، فإنه يسمع ولا يجيب، ثم ليقل: يا فلان ابن فلانة ثانية، فإنه يستوي قاعداً، ثم ليقل يا فلان ابن فلانة الثالثة، فإنه يقول لك: أُرشدنا يرحمك الله، ولكن لا تسمعون، فإن لم يعرف اسم أمه نسبه على حواء. ثم يقول: اذكر ما خرجت عليه من الدنيا: شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً عبده ورسوله، وأنتك رضيت بالله رباً، وبالإسلام ديناً، وبمحمد نبياً، وبالقرآن إماماً، وبالكعبة قبلَةً، وبالمؤمنين إخواناً، وأن الجنة حق، وأن النار حق، وأن البعث حق، وأن الساعة آتية لا ريب فيها، وأن الله يبعث من في القبور"^(٢).

^(١) أبو إسحاق الشيرازي: المهذب في فقه الإمام الشافعي، ص ٢٥٥، ٢٥٤.

^(٢) ينظر في ذلك كلاً من:

- نصير الدين محمد بن عبدالله السامري الحنبلي: المستوعب، ص ٣١٧، ٣١٨.
- شرف الدين موسى بن أحمد المقدسي: الإقناع لطالب الانتفاع، ص ٣٦٥، ٣٦٦.
- مرعي بن يوسف الكرمي المقدسي الحنبلي: غاية المنتهى في الجمع بين الإقناع والمنتهى، ص ٢٦٨، ٢٦٩.

حكم نقل الميت من مكان إلى آخر

نقل الميت له حالتان:

الأولى: نقله قبل الدفن كأن يكون الميت في بلد ويراد دفنه في بلد آخر، فالحنفية والمالكية يرون أنه لا بأس في نقله مطلقاً. وذهب جمهور الشافعية والحنابلة إلى أنه لا يجوز نقله من بلد إلى آخر إلا لغرض صحيح، وعللوا لذلك بأنه أسلم به من أن تتغير رائحته واخف في المؤونة، أما إن كان لغرض صحيح كأن يراد دفنه في مكة أو المدينة المنورة ونحوه فيجوز ذلك. لكن بشروط؛ الأول: أن يكون الميت قد أوصى بنقله. والثاني: أن لا يترتب على نقله ضرر على الموصى كنوع كلفة مثلاً. أما الثالث: أن لا يترتب على نقله ضرر كتغير رائحته، أو أن ينفجر حال نقله، وتنتهك حرمة، ونحو ذلك.

الحالة الثانية: نقله بعد الدفن، ذهب جمهور الفقهاء إلى عدم جواز نقل الميت بعد الدفن مطلقاً، وخالف المالكية فقالوا بجوازه، وجعلوا لنقله شروطاً. والذي يظهر أنه لا يجوز نقل الميت بعد الدفن إلا لغرض شرعي، كأن يكون الميت موجوداً في مسجد فينبش وينقل إلى مكان آخر غير المسجد، أو لغرض مشروع مثل التأكد من جناية ونحوها، أو كان في نقلها مصلحة للمسلمين، كأن يكون هناك طريق يحتاجه المسلمون يوجد فيه قبر أو قبور، فهنا يجوز نبش القبور ووضعها في مقبرة أخرى، أما غير ذلك فلا يجوز مطلقاً^(١).

وأما عن أخذ الأجرة على الدفن، فقد ذهب جمهور الفقهاء إلى جواز ذلك، ولكن الأفضل أن يكون الدفن مجاناً؛ لأنها قربة. وتدفع أجرة الدفن من تركة

^(١) عبدالله بن محمد الطيار: الفقه الميسر، ص ٥٠١، ٥٠٢. وانظر أيضاً:

- محمد عبدالله الجرداني: فتح العلام بشرح مرشد الأنام في الفقه على مذهب

السادة الشافعية، ص ٢٠٦، ٢٠٧.

- عبدالله بن الشيخ الكوهجي: زاد المحتاج بشرح المنهاج، ص ٤٢٢، ٤٢٣.

المتوفى إن كان له تركة. وذهب الحنابلة إلى كراهة أخذ الأجرة على الدفن، لأن ذلك يذهب الأجر. والظاهر أنه لا بأس بأخذ الأجرة، لكن خلاف الأولى^(١).

زيارة المقابر

يستحب للرجال زيارة القبور، وتكره للنساء، ويكره الجلوس والاستناد عليها عند زيارتها، والسنة أن يقول: سلام عليكم دار قوم مؤمنين، وأنا إن شاء الله عن قريب بكم لاحقون، ويرحم الله المستقدمين منا ومنكم والمستأخرين، نسأل الله لنا ولكم العافية، اللهم لا تحرمنا أجرهم ولا تفتنا بعدهم واغفر لنا ولهم. وأن يدنو من القبر كما يدنو من صاحبه حيًّا، وأن يقف متوجهًا إلى القبر وأن يقرأ ويدعو، فإن الميت كالحاضر تُرجى له الرحمة والبركة^(٢).

^(١) عبدالله بن محمد الطيار: الفقه الميسر، ص ٥٠٧.

^(٢) يوسف بن إبراهيم الأردبيلي: الأنوار لأعمال الأبرار، ص ٢٥٠. وانظر أيضًا:

- موفق الدين عبدالله بن أحمد بن قدامة المقدسي: المقنع في فقه إمام السنة أحمد بن حنبل الشيباني رضي الله عنه، ص ٥٠، ٤٩.

أوجه الشبه والاختلاف بين الجنازة والدفن في اليهودية والإسلام:

اتفقت اليهودية والإسلام في الجنازة في بعض الأمور، منها:

(أ) عظمت الديانتين تشييع الميت

تعتبر الشريعة اليهودية: أن فريضة تشييع الميت إلى مئواه الأخير فريضة عظيمة ونبيلة، وجرمت كل من يرى الجنازة تمر أمامه ولا يشارك فيها واعتبرته أثمًا ومنبوذًا من المجتمع وسافك دماء. حيث يجب على الإنسان السير خلف الجنازة لمسافة أربع أذرع على الأقل وكل من شيع ميتًا أربعة أذرع ينال أجرًا عظيمًا. بل من المفترض أن يرافقها حتى المقابر. كذلك حذرت من الأحاديث الجانية بين المشيعين، لأن هذا ليس من آداب الجنازة. أيضًا حذرت من أن يخرج النساء خلف النعش وأمامه إلى المقابر وخاصة الحائض والحامل.

وورد في الإسلام: أن اتفق جمهور الفقهاء على أن تشييع الجنازة سنة، وذهب بعضهم إلى أن ذلك واجب على الكفاية أي فرض كفاية. والذي يظهر أن حمل الجنازة وإتباعها واجب على الكفاية؛ لأن ذلك من حق الميت المسلم على المسلمين. وهناك من يقول أنه يكون على مرتين:

الأولى: إتباعها من عند أهلها، حتى الصلاة عليها.

الثانية: إتباعها من عند أهلها، حتى يفرغ من دفنها.

ولا شك في أن المرتبة الثانية أفضل من الأولى، فعن أبي هريرة أن النبي - صلى الله عليه وسلم - قال:

«مَنْ شَهِدَ الْجِنَازَةَ [مِنْ بَيْتِهَا]، (وفي رواية: مَنْ اتَّبَعَ جِنَازَةَ مُسْلِمٍ إِيْمَانًا وَاحْتِسَابًا) حَتَّى يُصَلِّيَ عَلَيْهَا فَلَهُ قِيْرَاطٌ، وَمَنْ شَهِدَهَا حَتَّى تُدْفَنَ، (وفي الرواية الأخرى: يُفْرَغُ مِنْهَا) فَلَهُ قِيْرَاطَانِ [مِنْ الْأَجْرِ]، قِيلَ: [يَا رَسُولَ اللَّهِ] وَمَا الْقِيْرَاطَانِ؟ قَالَ: مِثْلُ الْجَبَلَيْنِ الْعَظِيمَيْنِ. (وفي الرواية الأخرى: كُلُّ قِيْرَاطٍ مِثْلُ أَحَدٍ)».

ويستحب في الإسلام لمن مرت به جنازة أو رآها القيام لها؛ لقوله صلى

الله عليه وسلم:

عَنْ عَامِرِ ابْنِ رَبِيعَةَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِذَا رَأَيْتُمُ الْجِنَازَةَ فَقُومُوا لَهَا، حَتَّى تُخَلَّفَكُمْ أَوْ تُوضَعَ».

ويكره في الإسلام اللغط أثناء السير في الجنازة والحديث في أمور الدنيا، كذلك يكره سير النساء وحملهم للنعش في الجنازة، بل يكون حمل الجنازة للرجال دون النساء لأن حمل الجنازة بر وإكرام للميت، ولا يتولاه غير الرجال حتى وإن لم يكن الميت ذكراً.

واختلفوا في أن اليهودية قالت: لا بد عند خروج الميت من البيت من تأبينه والنياحة عليه بصوت مرتفع، وبأقوال تؤثر في قلوب ونفوس السامعين حتى يزدادوا في البكاء. وفي بعض الأماكن تعود اليهود تأجير نادبات **מקוננות** لتأبين الميت والنواح عليه، ويلزم الزوج بهذا اتجاه زوجته المتوفاة وإن لم يفعل يقوم والدها بهذا العمل ويدفع زوجها الأجرة المطلوبة رغم أنه.

أما الإسلام فقد ورد فيه: بتحريم النياحة والصياح وراء الجنازة، وكذا القراءة بالتمطيط بالإجماع.

اتفقت اليهودية والإسلام في الجنازة في بعض الأمور منها:

(أ) وجوب دفن الميت

ذكرت اليهودية: أن دفن الميت يعتبر واجباً قد فرضته التوراة، ويلتزم بهذا الواجب ورثة الميت الذين يجب عليهم الحداد عليه. وإذا قام الأبناء بدفن أبيهم لابد أن يجتهدوا في دفنه بجوار آبائه، وذلك على غرار ما ورد في وصية يعقوب -عليه السلام- **וּשְׂכַחְתִּי עִם אֲבוֹתַי** وارقد مع آبائي. ولن لم يكن للميت ورثة ولا أهل يقومون بواجب الدفن اتجاهاه فإن واجب الدفن في هذه الحالة يكون على كل أبناء المدينة، وبالأخص على المحكمة وعلى رئيس الطائفة في المدينة أما إذا كان يوجد في المدينة جماعة الحفرا قاديشا فإن هذا الواجب يسند إليهم. كما يجب على الزوج القيام بما يلزم الزوجة من إعداد ودفن إذا ماتت في حياته. وتنفيذ وصية الميت إذا أوصى أن يدفن في بيته بدلاً من أن يدفن في المقابر.

أما في الإسلام فقد ورد: أن دفن الميت فرض على الكفاية، لأن من تركه على الأرض فإن ذلك هتكاً لحرمة، ويتأذى الناس برائحته، والدفن في المقبرة أفضل، لأن النبي صلى الله عليه وسلم - كان يدفن الموتى بالبقيع. ولأنه يكثر الدعاء له ممن يزوره. ويجوز الدفن في البيت، لأن النبي صلى الله عليه وسلم - دفن في حجرة عائشة رضي الله عنها. فإن قال بعض الورثة يدفن في المقبرة، وقال بعضهم يدفن في البيت، دفن في المقبرة؛ لأن له حقاً في البيت فلا يجوز إسقاطه.

(ب) كيفية الدفن

ذكرت اليهودية: أنه يتم إنزال الميت عن طريق قدميه وتكون ناحية بيت المقدس. ويوضع في القبر على ظهره ووجهه إلى أعلى وقدميه ناحية بيت المقدس، وذلك دليل على أن الإنسان عندما يبعث بعد ذلك ينهض من مرقده

ويتجه ناحية بيت المقدس. ويوضع حجر تحت رأس الميت، كما أوصت الشريعة اليهودية عند عملية دفن الميت من وجوب اتصال الجسد بالتراب كما ورد في التوراة **כִּי-עִפֹּר אֶתָּהּ، וְאֶל-עִפֹּר תְּשׁוּבָתְךָ תִּרְאֵב، וְאֵלַי תִּרְאֵב** تَعُود. لذلك وجب على الذين يقومون بعملية الدفن في الأماكن التي يدفن فيها الميت في تابوت من الخشب سواء كان من الكهنة أو الأولاد البواكير الذين يصنع لهم توابيت. أو كان منقولاً من مدينة إلى مدينة أخرى في تابوت، أن يقوموا بإزالة اللوح الخشبي السفلي من التابوت من أجل اتصال الجسد بالأرض.

أما في الإسلام فقد ورد: أنه يستحب أن توضع رأس الميت عند مدخل القبر ثم يسلم سلاً رقيقاً. لما روى ابن عباس رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم - سل من قبل رأسه سلاً، ولأن ذلك أسهل. كما يستحب أن يقول عند إدخاله القبر بسم الله وعلى ملة رسول الله، لما روى ابن عمر رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم - كان يقول ذلك إذا أدخل الميت القبر. ويستحب أيضاً أن يضعه في اللحد على جانبه الأيمن مستقبلاً القبلة، لقول النبي صلى الله عليه وسلم: "إذا نام أحدكم فليتوسد يمينه"، ويوسد رأسه بلبنة أو حجر كالحي إذا نام ويجعل خلفه تراباً يسنده؛ يسنده لئلا يستلقي على قفاه. ويكره أن يجعل تحته مضرية أو مخدة أو يدفن في تابوت، لما روي عن عمر رضي الله عنه أنه قال: إذا أنزلتموني في اللحد فأفضوا بخدي إلى الأرض. وعن أبي موسى: لا تجعلوا بيني وبين الأرض شيئاً.

(ج) دفن اثنين أو أكثر في قبر واحد

ذكرت اليهودية: أنه لا يجب دفن الموتى بجوار بعضهم البعض إلا إذا كان الجدار الذي يفصل بينهم يبلغ طوله ستة أصابع. وإذا كان في الإمكان يجب أن يشدد على أن يكون الجدار الفاصل يبلغ ارتفاعه ستة طفاحيم. وقد ورد ارتفاع هذا الجدار في موضع آخر سبعة طفاحيم.

أما في الإسلام: فإنه يستحب أن يدفن كل ميت في قبر، ولا يدفن في قبر واحد ميطان إلا لحاجة، ويقدم الأفضل بالعلم أو العمل أو الأبوّة أو الأمومة إذا كانوا من جنس واحد، كأن يقدم الأب على الابن والأم على البنت. ولا يجوز الجمع بين الرجال والنساء إلا لشدة الحاجة، ثم يجعل بينهما حاجزاً من تراب ليكونا كأنهما منفصلان، ويصير كل واحد منفرداً كأنه في قبر مفرد.

الفصل الثالث: الربا بين اليهودية والإسلام

أولاً: في اليهودية

تجدر الإشارة أولاً إلى أن التوراة قد أقرت قيمة من القيم الإنسانية الأخلاقية الرفيعة، وهي قيمة العطاء ومساعدة الغير دون مقابل: « وَإِقْفَلْ أَوْحُوكَ وَقَصْرَتْ يَدُهُ عِنْدَكَ فَأَعْضُدْهُ غَرِيباً أَوْ مُسْتَوْطِناً فَيَعِيشَ مَعَكَ بَلَا حُذْمٍ مِنْهُ رِباً وَلَا مُرَابِحَةً بَلْ أَحْسَنَ إِلَيْهِكَ فَيَعِيشَ أَوْحُوكَ مَعَلِّقِضَّتَكَ لَا تُعْطِهِ بِالرِّبَا وَطَعَامَكَ لَا تُعْطِيهِ بِالرِّبَا »^(١).

وواضح من النص السابق أن الشريعة تحرم على اليهودى الإقراض بربا، ليس ذلك فحسب، بل قضت بإبراء المدين وإسقاط الدين عنه في نهاية كل سبع سنين، إن كان معوزاً^(٢).

وتأكيداً على حرمة الربا فقد وصف العهد القديم المرابي بأبشع الصفات^(٣)، كما أشار في الغالب إلى مفهوم الربا - لغة - بلفظ "נשח" (نَشَح) من الفعل "נשח" (نَشَح) بمعنى قرض أو عَضَّ، مما يدل على أن هذا المفهوم فيه معنى أكل لحوم البشر^(٤).

والتعريف البسيط للربا في اليهودية هو أن يقرض الشخصُ آخرَ مالاَ إلى مدة معلومة نظير زيادة على المبلغ الأصلي^(٥).

ولا يقتصر تحريم الربا على التداول بالنقود فقط، بل يدخل فيه كذلك كل ما هو متقوم بمال كالطعام والثمار ونحوه، حسبما يستفاد من النص التوراتى السابق، فهو الزيادة على الأصل بأى حال.

(١) لاويون: ٣٥/٢٥-٣٨.

(٢) «فِي آخِرِ سَبْعِ سِنِينَ تَعْمَلُ إِبْرَاءً. وَهَذَا هُوَ حُكْمُ الْإِبْرَاءِ: يُبْرِئُ كُلُّ صَاحِبِ دَيْنٍ يَدَهُ مِمَّا أَقْرَضَ صَاحِبِيلاً يُطَالِبُ صَاحِبَهُ وَلَا أَحَاهُ لِأَنَّه قَدْ نُودِيَ بِإِبْرَاءٍ لِلرَّبْلِابِلَاءِ جُنْبِيَّ تُطَالِبُ وَأَمَّا مَا كَانَ لَكَ عِنْدَ أَخِيكَ فَتُبْرِئْهُ يَدَكَ مِنْهُ» (تثنية: ١٥/٤).

(٣) من هذه الصفات أنه ملعون: (إرميا: ١٥/١٠)، كذلك وصف باللص: (حزقيال: ٢٢/١٣).

(٤) (משנה תורה، מלוה ולוה، ד : א).

(٥) (מקראות גדולות، ויקרא، עמ' 355).

كما لا يقتصر تحريم الربا على المرابي، وهو المقرض أو الدائن، وإنما كذلك يحرم على المقرض، بل وإمعاناً في الحرمة يحرم كذلك على كل من الضامن والكاتب والشاهد، لقول التوراة^(١) "لا تضعوا عليه"^(٢).

ولشدة حرمة الربا فقد اعتبر حزقيال المشتغلين بها مستحقين للموت^(٣)، ومع ذلك فلا يوجد في العهد القديم ذكر لأي عقوبة مقدرة بشأنها، وإن كانت تصنف ضمن المخالفات أو النواهي عموماً، والتي قدر الفقهاء عقوبتها بالجلد أربعين جلدة، إلا أنه رغم مخالفة كل من المقرض والمقرض، فلا حد أو جلد على أي منهما؛ ذلك لأن الفائدة أو الزيادة قابلة لرد، فتحصل من الدائن، أو المقرض وترد إلى المدين^(٤).

وعلاوة على ذلك، فإن المتأمل نص سفر اللاويين السابق يستشعر، وعن قرب روح الوحي الإلهي المحمّلة بمعاني الخير والعدل المطلق اللذين لا يعرفان التحيز، إلا أننا نواجه بنص توراتي آخر يناقض أو يقيد النص السابق ورد في سفر التثنية على النحو التالي:

"لأ-تשִׁיף לְאָחִיךָ، נִשְׁפֹּךְ כֶּסֶף נִשְׁפֹּךְ אֶכֶל: נִשְׁפֹּךְ، כָּל-דָּבָר אֲשֶׁר יִשְׁפֹּךְ.
כג, כא לְנִכְרֵי תִשְׁפֹּךְ، וְלְאָחִיךָ לֹא תִשְׁפֹּךְ"

لَا تُقْرِضُ أَخَاكَ بَرِيًّا رِبَاً فِضَّةً أَوْ رِبَاً طَعَامٍ أَوْ رِبَاً شَيْءٍ مِمَّا
يُقْرِضُ بَرِّلاً جَنْبِيَّ تُقْرِضُ بَرِيًّا وَلَكِنْ لَا خَيْكَ لَا تُقْرِضُ بَرِيًّا^(٥).

ويبدو أن اليهود وأحبارهم قد فسروا تحريم الربا، فيما بعد، في نطاق الجماعة اليهودية فحسب، لتظل ازدواجية المعايير الأخلاقية

(١) خروج: ٢٤/٢٢.

(٢) חמשה חומשי תורה עם פירושי רש"י, ויקרא, שם, עמ' 205.

(٣) حزقيال: ١٣/١٨.

(٤) משנה תורה, מלוה ולוה, ד: ג - קצור שולחן ערוך, חלק א, עמ' 196.

(٥) תּנִיּוֹת: ١٩/٢٣-٢٠.

شاهداً على تشاوبية التوراة الحالية ومزجها بين المقدس البشرى. وقد أكدت المشنا أيضاً على إباحة التعامل بالربا مع الأغيار فى النص التالى:

"אין מקבלין צאן ברזל מישראל, מפני שהיא ריבית. אבל מקבלין צאן ברזל מן הגויים, ולוויים מהן ומלוויים אותם בריבית; וכן בגר תושב."

"لا يُقبل ضأن الحديد^(١) من الإسرائيلى؛ لأنه بمثابة ربا، ولكن يُقبل من الجوييم (الأغيار)، فنقترض منهم ونقرضهم بربا، وكذلك (الحال) مع الجيرتوشاف (الغريب المقيم)"^(٢).

على أن إباحة الربا مع الأغيار بوجه عام قد تصعُدت إلى مستوى الوجوب^(٣)، والذى هو معلوم بالتواتر^(٤).

وعليه فقد حاول فقهاء اليهود تبرير التعامل بالربا مع غير اليهود بعدة أسباب، منها ما يأتي من قبيل المعاملة بالمثل؛ ذلك أنه لما كانت الشعوب الأخرى تتعامل بالربا، سواء فيما بينها وسواء مع اليهود، فقد جاز لليهود كذلك أن يعاملوهم وفق أعرافهم تلك^(٥)، فكيف يكون

(١) مصطلح فقهي يشير إلى ضرب من ضروب الربا، وهو نوع من استثمار الأموال والممتلكات، ومله الاتفاق بين شخصين على أن يراعى أحدهما ضأن الآخر نظير المناصفة فى الصوف واللبن وما يولد، بحيث يشترط صاحب المال على الآخر ضمان ماله فى كل الأحوال دون خسارة إذ يتحملها متعهد ذلك المال بمفرده.

- מדריך לתלמוד ، שם ، עמ' 208

(٢) ששה סדרי משנה, בבא מציעה , ה : ו

(٣) משנה תורה , מלוה ולוה , ה : א

(٤) משניות מבוארות , נזיקין , בבא מציעה , עמ' 173

(٥) שם שם

من العدل أن يباح للغريب إقراض الإسرائيلى بربا، بينما يحرم على الإسرائيلى أن يقرض هذا الغريب بربا أيضاً^(١).

ومن الفقهاء من قصر التعامل بالربا مع الأغيار على الأنشطة التجارية فقط، ورأى أنه ليس ثمة عيب أخلاقى فى ذلك المنطق البشرى، لكن يحرم أخذ الربا من الأجنبى إن كان القرض بسبب العوز والحاجة^(٢)، ومنهم من أباحه كذلك، طالما أن ذلك القرض الربوى يتم برضا الطرفين^(٣)، بينما أجازته البعض الآخر فى ضوء معطيات الواقع الاجتماعى-الاقتصادى الذى يعيشه اليهود، فعلى سبيل المثال قد وجد حاخامات أوروبا فى العصور الوسطى المبرر للتعامل بالربا مع النصارى نتيجة حرمان اليهود من تملك الأراضى، علاوة على أعباء الضرائب التى كانت مفروضة عليهم^(٤).

غير أنه وأياً كانت المبررات، ومهما تعددت، فإنها بالطبع لن تكون مقبولة، على الأقل، بالمنطق نفسه الذى قد حرم الربا فيما بين اليهود أنفسهم.

وعلاوة على ذلك فإذا كان الضغط والتضييق على المدين اليهودى لأجل رد الدين يعتبر إثماً، وخاصة إن كان فقيراً وغير قادر على الرد، فإنه على العكس من ذلك يجب على اليهودى أن يضيق على الجوى (الأجنبى)^(٥).

وبالرغم من وجوب التعامل بالربا مع غير اليهودى، فإن إقراض اليهودى لليهودى دون مقابل مُقَدَّم على إقراض اليهودى للأجنبى بربا^(٦).

(١) عتوري تורה ، دברים ، شם ، عم' 142

(٢) دود زوهر ، شם ، عم' 228

(٣) מקראות גדולות ، דברים ، شם ، عم' 279

(٤) מרק כהן ، شם ، عم' 139.

(٥) משנה תורה ، מלוה ולוה ، א : ב

(٦) שם ، ה : ז

وإن كنا نفهم أن "دفع الضرر" فيما بين اليهود مقدم على "جلب المنفعة" من غير اليهودي، فإن هذا المبدأ، ولو أنه يمثل ضرورة شرعية وأخلاقية في آن معاً، فإنه قد لا يأتي هنا إلا تنويجاً للفكر العنصري المتحيز ضد غير اليهودي، سيما وأن مبدأ "دفع الضرر" نفسه لا ينطبق على غير اليهود، إذ أن عدم إقراض غير اليهودي حتى بالربا قد لا يُقصد منه إلا الإضرار.

ثانياً : الربا في الإسلام

إذا كان الإسلام قد حضَّ على العطاء والصدقة والتعاون والتكافل، فإنه على العكس من ذلك قد أكد على حرمة الوجه المقابل لهذا البر، وهو العطاء بمقابل أي القرض الربوي، الذي يعنى استرداد الدين بزيادة مقتطعة من لحم المدين (إن جاز التعبير). وفي ذلك قال تعالى: ﴿يُهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَذَرُوا مَا بَقِيَ مِنَ الرِّبَا إِن كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾^(١).

وقد ورد تحريم الربا في القرآن الكريم والسنة النبوية وأجمع عليه علماء الأمة من السلف إلى الخلف، ويعنى بوجه عام الزيادة على رأس المال، وكل زيادة - مهما قلَّت - رباب لأنه لا يحل إلاّ رأس المال، فكل زيادة على رأس المال حرام، مهما تكن الأسباب الباعثة على الاستدانة، ومهما تكن مقاديرها^(٢).

ودون الاستفاضة في تفاصيل وأحوال الربا والتي تحفل بها المؤلفات الفقهية، فإن ما يعنينا في هذا الشأن هو أثر اختلاف الدين في التعامل بالربا في الإسلام.

بداية لقد اتفق الفقهاء المسلمون على أن الربا بكل أنواعه، كما هو محرّم بين المسلمين أنفسهم محرّم أيضاً بين المسلمين والذميين في دار الإسلام. أما المعاملة بالربا بين أهل دار الإسلام (مسلمين وذميين) وبين أهل دار الحرب فحمها مختلف بين الفقهاء.

يذهب أبو حنيفة وبعض الحنابلة إلى أنه يجوز للمسلم أو الذمي المستأمن أن يتعامل بالربا مع أهل دار الحرب في دار الحرب^(٣)، بينما ذهب أبو يوسف وسفيان الثوري وبعض الحنابلة إلى حرمة الربا سواء في دار الإسلام أو في دار الحرب إلاّ بين مسلم وحربي

(١) البقرة : ٢٧٨ - ٢٨١ .

(٢) محمد أبو زهرة : تحريم الربا تنظيم اقتصادي (الدار السعودية للنشر، الرياض ، ١٩٨٥) ، ص ٣٤ .

(٣) المبسوط للسرخسي ، ج ١٠ ، ص ٢٨ ، ج ١٤ ، ص ٥٧ - الجصاص ، ج ١ ، ص ٤٧١ .

لا أمان بينهما^(٤)؛ بحجة أن مال الحرب مباح ، وإنما حظره الأمان، وبدون الأمان يرجع إلى أصله، وهو الإباحة.

أما جمهور الفقهاء، وهم مالك والشافعي وأحمد وأبو يوسف والزيدية والظاهرية فعندهم لا يجوز لأهل دار الإسلام من المسلمين والذميين أن يتعاملوا بالربا مع أهل دار الحرب مطلقاً، سواء في دار الإسلام أو في دار الحرب، وحجتهم في ذلك عموم الآيات الدالة على تحريم الربا مطلقاً، كما أن ما كان حراماً في دار الإسلام كان حراماً في دار الحرب كسائر الفواحش والمعاصي، علاوة على أن تحريم الربا ثابت كذلك في حق الكفار، لأنهم مخاطبون بالمحرمات^(٥)، لقوله تعالى: "وأخذهم الربا وقد ذُهِبوا عنه ..."^(٦).

والواضح أن رأى الجمهور هو الراجح للأسباب الواردة، من جهة ومن جهة أخرى لأنه يأتي اتساقاً مع مساواة الإسلام المطلقة في تحريم الظلم والفواحش بين البشر أجمعين.

(٤) المغنى، ج ٨، ص ٤٥٨ .

(١) انظر بالتفصيل: إسماعيل لطفى فطانى، مرجع سابق، ص ٢٨١ - ٢٨٤ .

(٢) النساء: ١٦١ .